الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

La république algérienne démocratique et populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement supérieur et de la Recherche scientifique

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

Université 8 mai 1945 Guelma
Faculté des sciences humaines et sociales
Département D'histoire

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

محاضرات في مقياس تاريخ وحضارة المغرب القديم -1-

ألقيت على طلبة السنة الثانية ليسانس تخصص: تاريخ عام

السداسي الثالث

إعداد الدكتورة: سلوى بوشارب

الموسم الجامعي: 2025

مفردات المقياس:

ـ مصادر دراسة تاريخ المغرب القديم

ـ سكان بلاد المغرب القديم من حيث أصولهم و أهم المجموعات البشرية.

ـ بوادر الحضارة الليبية و صلاتها بالعالم القديم (فينيقيا، مصر، اليونان).

ـ المصادر المادية و الادبية.

ـ الموروث الحضاري القرطاجي(الحياة الاقتصادية و الاجتماعية).

ـ النقوش البونية.

ـ العمارة

ـ الامارات المحلية والممالك النوميدية.

ـ مظاهر الحضارة النوميدية.

ـ المغرب في الصراع القرطاجي الروماني.

ـ الاحتلال الروماني لشمال افريقيا القديم.

ـ يوغرطة

ـ يوبا و سقوط نوميديا.

مقدمة.

أولا: مصادر دراسة تاريخ المغرب القديم:

المحاضرة الاولى: المصادر الأدبية (كتابات المؤرخين القدامي الاغارقة و الرومان).

المحاضرة الثانية: المصادر الكتابية(نصوص النقوش).

المحاضرة الثالثة: المصادر المادية (الأثرية).

ثانيا: سكان المغرب القديم من حيث أصولهم و أهم المجموعات البشرية.

المحاضرة الرابعة: التسمية و أصل السكان.

المحاضرة الخامسة: أهم المجموعات البشرية.

ثالثا: بوادر الحضارة الليبية و صلاتها بالعالم القديم(فينيقيا، مصر، اليونان).

المحاضرة السادسة: بوادر الحضارة الليبية وصلاتها بالحضارة المصرية.

المحاضرة السابعة: بوادر الحضارة الليبية و صلاتها بالحضارة الفينيقية و اليونانية).

رابعا: قرطاجة نشأتها و تطورها و دورها السياسي و الحضاري في تاريخ المغرب القديم.

المحاضرة الثامنة: قرطاجة الموقع و التسمية و النشأة.

خامسا: الموروث الحضاري القرطاجي و دوره في تاريخ بلاد المغرب.

المحاضرة التاسعة: الحياة السياسية والعسكرية

المحاضرة العاشرة: الحياة الاجتماعية و الفكرية.

المحاضرة الحادية عشر: الحياة الاقتصادية.

سادسا: الامارات و الممالك المحلية القديمة.

المحاضرة الثانية عشر: الممالك النوميدية الشرقية و الغربية و المورية الموقع، التسمية والنشأة.

سابعا : الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الفكرية للمملكة النوميدية الموحدة.

المحاضرة الثالثة عشر: أهم مظاهر الحياة السياسية والفكرية للمملكة النوميدية

المحاضرة الرابعة عشر : الحياة الاقتصادية في نوميديا.

ثامنا: المغرب في الصراع القرطاجي ـ الروماني.

المحاضرة الخامسة عشر: الحروب الرومانية ـ القرطاجية الثلاثة أسبابها مراحلها و نتائجها.

تاسعا: الاحتلال الروماني لشمال افريقيا و مراحله

المحاضرة السادسة عشر: حرب يوغرطة.

المحاضرة السابعة عشر: يوبا الأول و سقوط نوميديا.

خاتمة.

قائمة المصادر و المراجع.

مقدمة :

مرت بلاد المغرب القديم بتعاقب العديد من الشعوب عليها مما جعلها مليئة بالأحداث المتنوعة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي تركت لنا موروثا حضاريا ماديا وأدبيا معتبرا أثار تساؤلات الكثير من الباحثين و الدارسين حوله كما فتح شهيتهم للبحث في تفاصيله التي عالجت الكثير من القضايا والفرضيات المتعلق بمدى تأثر شعوبه بمختلف اجناسهم و عرقياتهم و انفتاحها على معظم الحضارات المتعاقبة عليها أو المجاورة .

أحدثت المرحلة الاستعمارية تراكما معرفيا كبيرا للأدبيات التاريخية و التنقيبات التاريخية التي أعطت من دون شك المعرفة التاريخية سندا توثيقيا لا يمكن لأي باحث معاصر الاستغناء عنه إلا أن طرق و مناهج معالجتها لجل المواضيع والفرضيات خاصة تلك المتعلقة منها بالهوية المحلية و محاولتهم لربط تاريخهم بتاريخنا جعلتهم يؤسسون لمعرفة تاريخية أحادية النظرة ظلت تتحكم في التاريخ المغاربي القديم حتى و قتنا الحاضر، على الرغم من البوادر الفردية التي شهدتها الجامعات المغاربية بمختلف توجهاتها و مناهجها.

إن تحكم المدارس الغربية في مختلف المصادر التوثيقية من مخططات و تقارير للحفريات جعل حضورها أقوى في مجال التأليف و الكتابة هذه الأخيرة التي من خلالها يمكن التحكم في توجيه الجدل التاريخي لبعض القضايا بكل سهولة. الأمر الذي يدفعنا حتما إلى اعادة النظر في فحوى تلك الكتابات أو بعبارة أخرى يتوجب علينا التنقيب أولا في تلك الكتابات و إعادة غربلتها للحصول على مادة معرفية نقية بعيدا عن أية توجهات أيديولوجية قبل الخوض في معالجتها ميدانيا.

تكمن أهمية هذا العمل الأكاديمي الذي يهدف أساسا تقديم محاضرات للطلبة في هذا المقياس المعنون بتاريخ و حضارة المغرب القديم 1 وهو عمل يندرج ضمن العمل البيداغوجي للأستاذ من خلاله سنوضح مساهمة المغرب القديم في البناء الحضاري للمنطقة المتوسطية بصفة خاصة و الانسانية بصفة عامة من خلال إبراز أهمية الموروث الحضاري الذي تركه أسلافنا دون إهمال دور الشعوب الوافدة عليه مؤكدين على نظرية التأثير و التأثر و التفاعل الحضاري بين شعوب المنطقة دون الخضوع لنظرية سيطرة

الغالب على المغلوب التي تكرس ظاهرة تأثر المغاربة القدامى بكل الوافدين عليهم دون التأثير فيهم.

و الهدف الرئيسي من التعريف بذلك الموروث الحضاري و تدريسه لطلبتنا هو تقوية الصلة بينهم و بين أسلافهم في محاولة منا للتأكيد على تمسكهم بهويتنا المحلية و انتمائنا الأصيل و هذا طبعا بعد معالجتنا لكل محاور هذا العمل المتمثلة في:

المحور الأول المعنون بمصادر دراسة تاريخ و حضارة المغرب القديم و الذي قسمناه إلى ثلاث محاضرات عالجنا في المحاضرة الأولى: المصادر الأدبية (كتابات المؤرخين القدامي الاغارقة و الرومان). في حين تطرقنا في الثانية إلى المصادر الكتابية(نصوص النقوش). بينما تناولنها في الثالثة المصادر المادية (الأثرية).

المحور الثاني: سكان المغرب القديم من حيث أصولهم و أهم المجموعات البشرية. قسمناه إلى محاضرتين درسنا في الأولى التسمية و أصل السكان في حين عالجنا في الثانية أهم المجموعات البشرية.

المحور الثالث المعنون ببوادر الحضارة الليبية و صلاتها بالعالم القديم(فينيقيا، مصر، اليونان)، قسمناه هو الأخر إلى محاضرتين تناولنا في الأولى بوادر الحضارة الليبية وصلاتها بالحضارة المصرية و في الثانية بوادر الحضارة الليبية وصلاتها بالحضارة الفينيقية و اليونانية.

المحور الرابع المعنون بقرطاجة نشأتها وتطورها ودورها السياسي والحضاري في تاريخ المغرب القديم. تناولت فيها التسمية والموقع والنشأة

أما المحور الخامس الخاص بالموروث الحضاري القرطاجي ودوره في تاريخ بلاد المغرب قسمته إلى ثلاثة محاضرات تعرضت في الأولى إلى الحياة السياسية والعسكرية، وفي الثانية الحياة الاجتماعية والفكرية وفي الثالثة الحياة الاقتصادية.

في حين خصصت المحور السادس لدراسة الإمارات والممالك المحلية القديمة حيث تناولت فيه الممالك النوميدية الشرقية والغربية و المورية الموقع، التسمية والنشأة،

بينما تناولت في المحور السابع الأوضاع السياسية والاقتصادية والفكرية للمملكة النوميدية الموحدة. و قسمته إلى محاضرتين عالجت في الاولى أهم مظاهر الحياة السياسية الفكرية للمملكة النوميدية، بينما خصصت الثانية لدراسة الحياة الاقتصادية في نوميديا.

أما المحور الثامن المتعلق بالمغرب في الصراع القرطاجي ـ الروماني تناولت فيه محاضرة واحدة عنونتها بالحروب الرومانية ـ القرطاجية الثلاثة أسبابها مراحلها ونتائجها،

بينما خصصنا المحور التاسع للاحتلال الروماني لشمال افريقيا ومراحله الذي قسمناه لمحاضرتين تناولت في الأولى الاحتلال الروماني و ثورة يوغرطة و في الثانية الاحتلال الروماني يوبا الأول وسقوط نوميديا.

ليكون مجموع المحضرات سبعة عشر (17) محاضرة موزعة على المحاور المذكورة أعلاه.

ختمت عملي بالتطرق لأهم الاستنتاجات التي يمكن للدارس التوصل إليها بعد معالجته لكل محاور المقياس، وفي الأخير وضعت قائمة للمصادر والمراجع المعتمد عليها في العمل و فهرس للموضوعات.

المحاضرة الأولى: المصادر الأدبية (كتابات المؤرخين القدامى الإغريق و الرومان و النوميد).

تتنوع و تختلف المصادر الأدبية أو ما يصطلح عليه بكتابات المؤرخين القدامى (الاغريق و الرومان) التي وصلتنا لدراسة تاريخ وحضارة بلاد المغرب القديم أولا من حيث انتمائها كما سبق و أشرت فمنها ما هو يوناني، روماني و كذلك نوميدي بوني و افريقي وأيضا من حيث قيمتها العلمية و التاريخية، فقد جاء البعض منها عاما حيث أشار أو تطرق لتاريخ المنطقة المدروسة دون التدقيق و التمحيص في الكثير من القضايا غير مقيد بزمن معين في حين كان البعض الآخر أكثر تخصصا و دقة و ارتباطا بالزمن و هو ما سنحاول التعرف عليه مع بقية عناصر هذه المحاضرة.

1 ـ الكتابات اليونانية العامة والمتخصصة: وسنحاول في هذه المحاضرة تسليط الضوء على بعض الكتابات اليونانية العامة منها و المتخصصة و يتعلق الامر بكتابات كل من المؤرخ هيرودوت، ثوكيديدس، أرسطو بالنسبة للصنف الأول و بوليبيوس و ديودور الصقلي بالنسبة للصنف الثاني.

1ـ 1 الكتابات العامة:

1ـ 1 ـ 1 كتاب المؤرخ هيرودوت:

أبد أولا باسم " هيرودوت " Hérodote " المركب من لفظتين، " هيرا " و هي اسم لمعبودة إغريقية و كلمة " دوت " أو دوتا" المشتقة من الفعل أهدى أو " أعطى" ليصبح معناه " هدية هيرا" أو "عطاء هيرا " و بذلك يشبه اسم " عطاء الله " باللغة العربية.

و لد المؤرخ " هيرودوت" في مدينة " هاليكارناسوس" من مدائن الركن الغربي من أسيا الصغرى و اسمها حاليا " بودروم " Budrum "[1].

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مولده، منـــهم من يجعله ولد 489 ق.م ، في حين ذكر آخرون سنة 485 بينما السنة الأكثر تداولا عند المؤرخين هي سنة 484 ق.م . و كان

[1] Azineres et Suran, Auteurs Grecs et Latins, 4 eme édition , Librairie Hautier, Paris, 1923, p.150.

من أسرة معروفة و ميسورة و مؤثرة في توجيه السياسة التي كانت تهدف يومئذ إلى الحرية و الخلاص من ظلم الطغاة، حيث كان عمه أو خاله يدعى " بانياس" من الشعراء المعروفين في عصره[1].

غادر المؤرخ " هيدودوت" مسقط رأسه مبكرا، حيث اضطر إلى الهجرة و التنقل و الترحال بين العديد من الأماكن في آسيا الصغرى و بلاد ما بين النهرين و سواحل البحر الأسود و تراقيا فزار بابل و مصر و فلسطين و قورينا في ليبيا لينتهي به المطاف و يستقر في أثينا ، حيث ألف كتابا تناول تاريخه الشهير[2]. توفي " هيرودوت" في حدود سنة 424 ق.م أو 425ق .م بمدينة " تيريوم " Thurium " بجنوب إيطاليا، كما دفن في سوق المدينة من شدة حبه لها أسموه " هيرودوت التيري "[3].

ألف هيرودوت كتابا عرف بتاريخ هيرودوت يتكون من تسعة كتب تحدث فيها على الحروب الفارسية ـ الاغريقية بالدرجة الاولى[4]، كما تحدث أيضا على البلدان التي زارها مثل مصر و بابل و فينيقيا، و قد أطلق هيرودوت على كل كتاب من كتبه اسم ربة من ربات الفنون التسعة الاغريقيات[5].

أطلق أيضا على كتاب التواريخ لهيرودوت "Iotopins Attaeievs" أي " تمحيص و إثبات الأخبار"، بحكم أن كلمة " Iotopins" الإغريقية و Historia " اللاتينية تعني " الفحص " أو " البحث" و عليه فقد امتاز هذا الكتاب بخاصيتين، اشتهر بهما الفكر الإغريقي في ذلك الوقت و هما " الرؤية (المشاهدة) و التســـاؤل (الاستفهام).

---

[1] العابد مفيد رائف: تاريخ الاغريق، دمشق،1995، ص 139.

[2] فهمي خشيم علي: نصوص ليبية من: هيرودوتس و سترابون و بليني الأكبر و ديودوروس الصقلي و بروكوبيوس و القيصري و ليون الإفريقي، منشورات دار مكتبة الفكر ، طربلس، ليبيا ، 1967، ص.15، الصفدي هشام: تاريخ الشرق القديم،حضارات آسيا الغربية،دمشق،1982، ص،15.

[3] العابد رائف: المرجع السابق، ص، 139.

[4] Judge.Hary : World History, Vol,3 , Oxford, p.164.

[5] ربات الفنون التسعة من الربات الثانويات في الديانة الاغريقية و هن : الربة ميليتي المختصة في التأمل، نيمي المتعلقة بالذاكرة، و أودي المغنية ،و كيلو للتاريخ و يوتيربي للشعر الوجداني، و تاليا للكوموديا و ملبوميي للتاجيديا تيربيسيخوري للرقص، و إيراتو للشعر الغزلي. ينظر العابد مفيد رائد: المرجع السابق، ص140، فهمي خشيم علي: المرجع السابق، ص16.

و نظرا لسعة اطلاعه لقب هيرودوت بأبي التاريخ من قبل الخطيب الروماني الشهير شيشرون(106 ـ 43ق.م)، ليس هذا فحسب فقد اعتبر أول من حاول جمع المادة التاريخية و قام بتنقيحها على حد تعبير الباحثة ليلى الصباغ التي قالت أيضا بأن ما قدمه هيرودوت ليس كله دراسة نقدية و علمية ممحصة و لكن مهما كان الذي أتى به بسيطا و ساذجا فيكفيه أنه سبق كتاب عصره و حاول تقديم بعض التفسير و التعليل لإعادة بناء حقيقة الاحداث الماضية كما عيشت في الماضي[1]. لذلك لا نستغرب أبدا استعانة هيرودوت بخياله كونه كان يؤمن بالتنبـــؤات والمعجزات، حيث أخذت الأساطير الإلهية مكانا مهما في مؤلفه الكبير، مما دفع بأحد معاصريه إلى انتقاده و هو المؤرخ ثوكيديدس الذي اتهمه بعدم تقصي الحقائق و الغوص في الخرافات و الاساطير[2] و مع ذلك لا يمكننا في الوقت الحالي أبدا أن نطالب هيرودوت بتحري الحقيقة و الموضوعية المطلقة.

يعتبر الجزء الرابع من كتاب هيرودوت الذي يعرف بالكتاب الليبي " Libykoi Logoi " ، من أهم المصادر و أقدمها التي تناولت تاريخ الليبيين و علاقتهم بالوافدين الجدد عليهم مثل الفينيقيين حيث تناول فيه عادات و تقاليد القبائل الليبية[3] الممتدة من غرب مصر حتى سواحل المحيط الأطلسي، كما تحدث عن تأسيس " قورينة[4] " و جوانب أخرى هامة في علاقات الليبيين بالفينيقيين خاصة فيما يتعلق بالتبادلات التجارية و طريقة إقامتها و التي عرفها بالمساومة الخرساء ، التي كانت تقوم على أساس الثقة المتبادلة مما عمق الروابط الحضارية بين المجتمعين[(5)].

يذكر هيرودوت معلومات هامة حول نشاط الملاحين الفينيقيين و كشوفاتهم البحرية، حيث أشار إلى دورانهم حول افريقيا انطلاقا من البحر الأحمر و مرورا بأعمدة هيركليس(مضيق جبل طارق حاليا) و العودة إلى مصرو ذلك بمساعدة فرعون الأسرة السادسة و العشرين المصرية نخاو(609ـ 593ق.م)، فقد روى بهذا الشأن أنهم لا لما دارو

---

[1] الصباغ ليلى: دراسة في منهجية البحث التاريخي، دمشق، 1997، ص، 21.

[2] الصفدي هشام: المرجع السابق، ص 16.

[3] غانم محمد الصغير: معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2003، ص103.

[4] فهمي خشيم علي: المرجع السابق، ص 17.

[5] عبد الملك سلاطنية، المصادر التاريخية و الأثرية و أهميتها في البحث التاريخي و الأثري، ط.1 ، دار الإرشاد للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر 2013، ص.15.

حول لوبة كانت الشمس على يمينهم، لان السفن باتجاهها غربا حول رأس الرجاء الصالح تكون الشمس عن يمينهم[1].

كما تحدث هيرودوت أيضا على بعض المدن الفينيقية مثل صور وعلاقتها بالليبيين من[2] مثلما وصف أيضا أسلوبا من أساليب التجارة التي كانت بين الطرفين القرطاجي و الليبي و هو المقايضة الخرساء[3] أو مبادلة سلعة بسلعة بكل أمانة و ثقة و هو أسلوب أقل ما يقال عنه في عصرنا الحالي قمة الرقي و الثقة المتبادلة بين الطرفين.

1ـ 1ـ 2ـ كتابات ثوكيديدس(Thucydid)(460ـ 399 ق.م):

ثوكيديدس رجل دولة أثيني كان رئيسا للحزب الديموقراطي 409 ق.م ، أدخل أثينا في حرب البيلوبونيز[4] التي شارك فيها كقائد لحملة أثينا في تراقيا حيث فشل في الدفاع عن مدينة أمفيبوليس فنفاه الاثينيون عام 424 ق.م و بقي في منفاه عشرين سنة اختص خلالها بكتابة تاريخ حرب البيليبونيز[5] محللا شخصيات أبطالها و محللا أحداثها فكان بذلك أول من استخدم بعض التحليل في كتاباته خاصة أنه دعم دراسته النظرية بشهادات ميدانية فاعبره البعض من أصدق المؤرخين القدماء[6].

قسمت أعمال ثوكيديدس عن الحرب إلى خمسة أجزاء منها حرب صقلية التي كانت قرطاجة طرفا فيها، حيث انهزمت فيها قرطاجة في معركة هيميرا سنة 480ق.م[7]. كما كانت هناك إشارات أخرى مقتضبة في كتابات لثوكيديدس تخص قرطاجة و علاقتها باليونان فقد تحدث عن فينيقيين كانوا قد تجمعوا غربي صقلية عند قدوم الاغريق إليها ليحتموا بقرطاجة،

---

[1] حتى فليب : تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين، تر، جورج حداد، ج1، بيروت، 1958، ص 250.

[2] غانم محمد الصغير : التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003 ، ص 67، المملكة النوميدية و الحضارة البونية، دار الامة، الجزائر، 1998، ص 37.

[3] هيرودوت: تاريخ هيرودوت، تر عبد الاله الملاح، مجمع اللغة العربية، الامرات العربية المتحدة، 2001، ص ، بورتر هارفي: موسوعة مختصر التاريخ القديم ، القاهرة، 1991، ص 115.

[4] الصباغ ليلى : المرجع السابق، ص 20.

[5] العابد رائف: المرجع السابق، ص 144.

[6] الصباغ ليلى: المرجع السابق، ص 21، العابد رائف : المرجع السابق، ص155.

[7] غانم محمد الصغير: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، المرجع السابق، ص 42.

و تحدث أيضا عن هزيمة هذه الأخيرة أمام اغريق أيونيا الذين حاولوا استعمار مرسيليا سنة 600 ق.م[1].

1ـــ 1ـ 3ـــ كتابات أرسطو(384ـــ 322 ق.م):

ولد الفيلسوف الاغريقي الشهير أرسطو سنة 384 ق.م في مدينة استاجيرة في تراقيا المطلة على بحر ايجة، تتلمذ على يد أستاذه أفلاطون في أكاديميته بأثينا قبل أن يأسس هو مدرسته الخاصة به سنة 335 ق.م التي اشتهر بعدها ليصبح من أهم مفكري البشرية حيث ألف في المنطق، السياسة، الطبيعيات و الالهيات و الاخلاق[2].

بحث أرسطو في النظم السياسية للدول التي عاصرها، حيث قدم معلومات هامة عن النظام السياسي والإداري في قرطاجة التي استوقفته مؤسساتها السياسية معتبرا إياها نموذجا يحتذى به في السياسة ليس هذا فحسب بل دفعه اعجابه إلى وصف دستورها بأنه أرقى دساتير العالم القديم[3].

تحدث أرسطو عن أهم المؤسسات السياسية القرطاجية حيث ذكر في مقدمة تلك المؤسسات اثنان من القضاة (الاشفاط) يتم انتخابهم سنويا بالإضافة إلى وجود مجلس الشيوخ المكون من ثلاثمائة عضو و هيئة أمن عام قوامها مائة و أربعة أعضاء[4].

و قد اختير رؤساء القضاة حسبه من العائلات الارستقراطية و كانت مهامهم الاشراف على مجلس الشيوخ (Gérousia) و الدعوة لانعقاده مع وضع جدول اعماله لكنهم لم يكونوا مخولين بالأمور العسكرية، أما مجلس الشيوخ فهو بمثابة مجلس تشريعي كلف أعضاؤه بكل المسؤوليات السياسة الخارجية و الدبلوماسية و شؤون الحرب، ضمن هذا المجلس كانت هناك هيئة مكونة من خمسة أعضاء سماها أرسطو الهيئة الحاكمة خماسية) (Pentarchies، عهد إليها برعاية قطاعات خاصة من النشاط التشريعي و تعيين أعضاء هيئة المائة و الأربعة المذكورة سابقا[5].

---

[1] الفرجاوي أحمد: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة، تونس، 1993، ص 53، عصفور أبو المحاسن المدن الفينيقية، بيروت، 1981، ص 73.

[2] نعيسة يوسف جميل : تاريخ تطور الفكر السياسي، دمشق،1982، ص 114.

[3] ديورانت ول : قصة الحضارة، تر، محمد بدران، ج1، مج3 ، ص 91

[4] غانم محمد الصغير : معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، 94.

[5]غانم محمد الصغير: المرجع نفسه، ص 95.

1ـ 2ـ الكتابات المتخصصة: و نقصد بها تلك الكتابات التي ألفها أصحابها خصيصا لتاريخ بلاد المغرب القديم نذكر منها كتابات كل من المؤرخ بوليبيوس و دويودور الصقلي وسترابون.

1ـ 2 ـ 1ـ كتابات بوليبيوس(Polybius) (204ـ 122):

بوليبيوس ابن ليكورتاس مؤرخ إغريقي عاش في الفترة الممتدة ما بين 204 إلى 122 ق.م. ولد في ميقالوبوليس بأركاديا وسط البيلوبونيز و ذلك حوالي 204 ق.م، و يعتبر من أعظم المؤرخين القرن الثاني ق.م. و هو يتوافق في منهجه مع المؤرخ " ثوكيديدس"[1].

كان والد المؤرخ من رؤوس الحلف الآخي، حيث حضيت عائلته بمهام سياسية و عسكرية، استطاع بواسطتها لعب الدور الأساسي في اتحاد المدن الاغريقية(الحلف الآخي)[2] و قد أنهزم "بريسيه " في الحرب المقدونية الثالثة سنة 168 ق.م ، و عندها أسر "بوليبيوس" في روما ، حيث قضى فيها ثماني عشرة سنة ، و إذا كان قد رحل عنها عام 150 ق.م ، فإنه كان يعود إليها بين الحين و الأخر للإقامة مع صديقه " سيبيون إمليانوس"[3].

و قد مكنته صداقته للعائلة السيبيونية من الاطلاع على المكتبات العمومية و دور الوثائق العامة خاصة و الحوليات البابوية بالإضافة لزيارته العديدة ليبيا (بلاد المغرب القديم) و مصر و غالـــة و اسبانيا من جمع المادة الضرورية لمؤلفاته و التعرف على مسرح الأحداث. توفي " بوليبيوس" إثر سقوطه من على جواده في بلدته الأصلية حوالي 122 ق.م[4]

ألف المؤرخ " بوليبيوس" أربعين كتابا (تاريخه العالمي) و قد درس في كتبه الفترة الواقعة ما بين (220 ـ 145 ق.م) كتبا عديدة أهمها كتابه الذي عنوانه التواريخ " Historiac " و للأسف أن خمسة فقط من كتبه هي التي بقيت إلى الآن[5].

---

[1] الصباع ليلى: المرجع السابق، ص 23.

[2] نعيسة يوسف جميل : المرجع السابق، ص 144.

[3] الصباع ليلى: المرجع السابق، ص 25.

[4] محمد الهادي حارش، التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة " يوبا الأول " (203- 46 ق.م)، 1985، ص33.

[5] الصباغ ليلى : المرجع السابق، ص 15

تتضمن مكتبته التاريخية حروب روما المختلفة وأحوالها بداية من الحروب البونية الأولى 264 ق.م حتى سقوط "قرطاجة" سنة 146 ق.م. و يقسم الكتاب إلى أربعين جزء، فلم يصل منها إلا الخمسة الأولى أما الأجزاء الأخرى فقد وصلت في شكل شذرات عن مقتطفات منها وردت ضمن مؤلفات " ليفيوس" و " ديودوروس الصقلي و أبيانوس...
إلا أن " بوليبيوس" اعتبر مؤرخ الحروب البونية ، حيث عاش الصراع الروماني القرطاجي . كما وقف على دمار "قرطاجة" سنة 146 ق.م[1].

تطرق بوليبيوس في تاريخه إلى الكثير من الاحداث المتعلقة بتاريخ المغرب القديم عموما و قرطاجة على وجه الخصوص و لنا في الأمثلة التالية بعضا من نصوصه التي قمنا باختيارها لتناسبها و الموضوع المدروس فقد قال عن دستور قرطاج مثلا أنه واحد من أفضل الدساتير في العالم و الأفضل خارج اليونان وهذه حقيقة قد افق فيها جل المؤرخين الاغريق الذين سبقوه.

و من المعاهدات الموجودة في تاريخ بوليبيوس المعاهدة الأولى بين قرطاج و روما عام 509ق.م و التي أبرمها القرطاجيون مع الرومان لتجنب خطر تصاعد قوة روما، و لتعزيز عملياتهم الحربية ضد الاغريق في الصراع حول صقلية ورد في قوله (إن قيام علاقات ودية بين الرومانو حلفائهم من جهة و القرطاجيين و حلفائهم من جهة أخرى، تحدده الشروط التالية: يحظر على الرومان و حلفائهم الإبحار إلى ما بعد منطقة الوطن القبلي إلا في ظروف استثنائية كهبوب العواصف أو مطاردة عدو.... و في هذه الحالة يمنع شراء ما هو غير ضروري لاصلاح سفينة أو اقامة أضحيات، على أن تتم مغادرة المكان خلال خمسة أيام و إذا ذهب الرومان إلى الجزء القرطاجي من صقلية..... و اذا وطئت أقدامهم منطقة عسكرية فإنهم لن يتمكنوا من قضاء ليلتهم هناك....)[2].

1ـ 2ـ 2كتابات ديودوروس الصقلي (80ـ 20 ق.م):

نشأ المؤرخ ديودور الصقلي فيما بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد بجزيرة صقلية التي أخذ منها اسم شهرته، عاصر يوليوس قيصر وأغسطس و كتب تاريخ العالم منذ أقدم

[1] الصفدي هشام: المرجع السابق، ص 15.

[2] حارش محمد الهادي: دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة و النشر، 2001، ص 213، بورتر هارفي : المرجع السابق، ص 392.

العصور حتى حرب قيصر في بلاد الغال(58 ق.م) في كتاب أطلق عليه المكتبة التاريخية[1].

بقي من المكتبة التاريخية لديودور الصقلي الكتب التالية:من 1ــ4، و من 9ــ20 و بالتحديد كتاب التاريخ الأسطوري لليبيا و مصر و آشورو اثيوبيا و اليونان و أحداث السنوات الممتدة من 480ـ 302 ق.م إلى جانب فقرات متفرقة. قدم الكاتب وصفا للبلاد الليبية حيث تحدث عن المظاهر الجغرافية و الطبيعية لها في الفقرتين رقم:50 و 51ليتجه بعدها للحديث عن الامازونات وهن نوع من النساء اللواتي يتمتعن بقوة البدن و شجاعة القلب و شدة المراس فيصف مغامراتهن المثيرة في ليبيا و اكتساحهن للشرق حتى يصلن آسيا الصغرى بقيادة ملكتهن مورينا.

يبدو أن ديودور كان يميل في بعض الأحيان إلى التقاط الجوانب الطريفة و المثيرة في تاريخ بعض الجماعات البشرية أي اعتماد الأسطورة كمصدر لبعض الحوادث التاريخية و هو المنهج السائد عند الكثير من المؤرخين القدامى فهذا لا ينقص أبدا من القيمة العلمية و التاريخية لكتابات هذا المؤرخ خصوصا أننا استفدنا كثيرا من كتاباته حول حملة أغاتوكليس الاغريقي على قرطاجة، كذلك تعرض لثورة الجنود المرتزقة و المناطق التي كانت مسرحا لهذه الثورة ، و من جهة أخرى يشير ّ ديودوروس" إلى النوميديين مرات عديدة في معرض حديثه عن قرطاج[2].

1ـ 2ـ 3ـ كتابات سترابـــــون(Strabon)(63ـ 20 ق.م):

ولد الجغرافي اليوناني " سترابون" Strabon " في مدينة " أماسيا" Amasia " في منطقة بحر مرمرة، و ذلك إما عام 64 ق.م أو 63 ق.م، كان " سترابون " من أسرة ثرية لها حضور سياسي و عسكري ، حيث مكنته من تكريس حياته للعلم.

سافر " سترابون" إلى روما حوالي عام 11 ق.م لمواصلة تعليمه الذي بدأه في وطنه على يد الجغرافي " تيرانيون " Tyrannie "، كما ذهب إلى مصر و وصل حتى أسوان و عاش في الإسكندرية مدة خمس سنوات ، حيث أستغل مكتبتها العظيمة و أنتفع بأسفاره كما هو واضح

[1] غانم محمد الصغير: معالم التواجد الفينيقي البوني، المرجع السابق، ص 106.

[2] فهمي خشيم علي: الرجع السابق، ص 177.

في كتابه الذي يعتقد أنه انتهى من كتابته في سنة 7 ق.م. عاش ذلك الجغرافي لمدة أربع و ثمانين سنة ، حيث توفي في مسقط رأسه[1].

لقد أشتهر " سترابون" ، بكونه جغرافي وضع في جغرافية العالم القديم سبعة عشر مجلدا اتصفت كتاباته بالدقة حسب ما أثبتته المكتشفات الحديثة خاصة في الشرق الأدنى القديم، كما ترك لنا معلومات هامة حول جغرافية بلاد المغرب القديم، حيث قدم وصفا شاملا لكل سواحل شمال إفريقيا ابتداء من " دلتا النيل " حتى نهر " ليكوس Lycus بالمغرب الأقصى، فتنوعت معلوماته وشملت الوصف و الإحصاء و نقد الاخبار وقد اختصت في الدين و التجارة و السكان و التوسع الفينيقيين حسب الأمثلة التالية:

أكد سترابون أن الفينيقيين اجتازوا أعمدة هرقل وأسسوا مدنا على شواطئ البحر الخارجي و قرب الساحل اللوبي و يقول أنهم احتكروا تجارة القصدير من قادس و أخفوا الطريق اليه[2].

كما وصف بيوت صور و أرواد على أنها كانت عالية وذات طوابق فكانت أعلى من بيوت روما نفسها، كما أشار أيضا إلى عادة دينية كانت قد اشتهرت بها كل من جبيل، بابل، قبرص، اليونان، صقلية، قرطاجة و هي ظاهرة البغاء المقدس[3].

من المعلومات الديموغرافية الهامة التي قدمها سترابون حول عدد سكان قرطاجة الذين بلغوا 700.000 سبعمائة ألف نسمة مع مطلع الحرب البونية الثالثة وقد كانوا حسب نفس المؤرخ محكومون جيدا[4].

علق أيضا سترابون على رحلة القائد القرطاجي حنون الاستكشافية على أنها خرافة، على الرغم من أن نص الرحلة مسجل على نقيشة برونزية في معبد الاله بعل حمون بقرطاجة جاء في النص أن حنون المنتمي للاسرة الماقونية و الرجل الأول في قرطاجة نظم في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد رحلة بحرية لتأسيس عدة مستعمرات و كشف عدد من الأسواق في غربي افريقيا و ذلك بقرار من مجلس الشيوخ القرطاجي[5]. و في هذا الصدد يقول

---

[1] الصفدي هشام: المرجع السابق، ص 16.

[2] باقر طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، 1956، 253.

[3] حتي فليب: المرجع السابق ، ص127.

[4] ميادان مادلين هورس: تاريخ قرطاج، تر: اراهيم باشا، بيروت، 1991 ص 49.

[5] عصفور محمد أبو المحاسن : المرجع السابق، ص ص 124ـ 126، مايادان مادلين هورس: المرجع السابق، ص 86.

الخطيب الاغريقي ديون خريستوموس: (... إن شخصا يسمى حنون هو الذي حول القرطاجيين من صوريين إلى لوبيين... بفضله سكنوا في لوبة، و نالوا الكثير من الثروات و اكتسبوا أسواقا جديدة.)[1].

2. المصادر اللاتينية: وقد قمت أيضا بتصنيفها إلى صنفين العامة منها والمتخصصة وسنبدأ أولا بالكتابات العامة.

2ـ1ـ الكتابات اللاتينية العامة: وأخص بالذكر كتابات كل من بمبونيوس ميلا، بلينوس الأكبر

2ـ 1ـ 1ـ بمبونيوس ميلا (Pomponius Méla) (القرن الأول الميلادي):

بمبونيوس ميلا جغرافي و مؤرخ اسباني كتب باللاتينية عاصر الامبراطور الروماني كلوديوس(41ـ 54م) جمع بين الادب و الجغرافيا و التاريخ، ترك لنا ملخصا جغرافيا لكامل الساحل الافريقي و كان وصفه دقيقا حسب الباحث الفرنسي مرسيي[2]. تطرق في كتاباته إلى الفينيقيين بشكل عام حيث وصفهم كالاتي: (... كان الفينيقيون شعبا حاذقا، أبدع في السلم و الحرب و امتاز بالأدب و فنون أخرى كفن الإبحار و بناء السفن و قد نجح في حكم الإمبراطورية...)[3].

2ـ 1ـ 2ـ كتابات بلينيوس الكبير(Plinius Secuhdus)(23ـ 79م):

لقد عرف " بلينوس الكبير بهذا الاسم تمييزا له عن ابن أخيه بلينيوس الأصغر. و يعتبر مؤرخ لاتيني . ولد بمدينة " كومو" Novum Comum " و ذلك حوالي 23 م. و قد عمل في الجيش في إفريقيا و ترأس فرقة الفرسان في سنة 16 م. غير انه أستقر في روما حتى 52 م.

[1] دوكريه فرانسوا: قرطاجة الحضارة و التاريخ، ص 75.

[2] Marcier :Historique des connaissances des anciens, Recueil.Constantine, 1874, p 28 .

[3] مهران محمد بيومي: المرجع السابق، ص 287.

و قد تقلد أيضا منصب حاكم إقليم في اسبانيا عام 68 –72 م. كما شغل منصب عالي في عهد الإمبراطور " فسباسيان ، و قائدا لأسطول في مسينا. توفى " بلينوس الأكبر" " من جراء هيجان بركان. والذي أنتقل خصيصا لمشاهدته فأختنق بغازاته السامة في سنة 79 م[1].

أشتهر " بلينوس الأكبر" ، بموسوعة ألفها في تاريخ الطبيعة و تشمل على 37 جزء ، أهداها للإمبراطور " تيبر " Tibère " ، و قد تناول فيها العديد من المواضيع كالجغرافيا وفيزياء و الكمياء و النبات ...الخ

ساهم بلينيوس من خلال بعض نصوصه في كتابة التاريخ الفينيقي والبوني فقد ذكر على سبيل المثال أن الابجدية الفينيقية اشتقت من الكتابة المسمارية المستعملة في اللغة الآشورية[2]. وحول الصناعة الزجاج يقر بلينيوس أن الكنعانيين والفينيقيين الذين برعوا في صناعة الزجاج هم أنفسهم مكتشفوا هذه المادة بعد أن خلطوا النطرون بالرمل في النار وذلك بالقرب من مدينة عكا لكن هذه المعلومة قد فندت من قبل بعض المؤرخين محدثين على أساس أن المصريين لهم الأسبقية في استعمال الزجاج، ومع ذلك فانه دليل على وجود صناعة زجاج فينيقية[3].

ذكر بلينيوس في تاريخه تأسيس الفينيقيين لمدينة أوتيكا عام 1101ق.م حيث قال في سنة77م إن العارضات الخشبية الارزية التي سقف بها معبد أبلو هي نفسها التي انتصبت في اوتيكا عند تأسيسها قبل ألف و مائة و ثمانية و سبعين عاما. كما قدم أيضا معلومات هامة عن صناعة مادة الشمع و التي استخدمت لعدة أغراض منها للتطبيب أي كأدوية حيث يقول أن الشمع البوني كان مشهورا بجودته[4].قدم بلينيوس أيضا تفسيرا منطقيا لحريق قرطاج ابان غزو الرومان لها عام 146ق.م حيث ذكر أن سطوح منازل المدينة كانت مطلية بالقار و هي مادة قابلة للاشتعال بسرعة.

أما بخصوص باقي بلاد المغرب القديم فقد كانت مقسمة حسبه إلى عدة مناطق منها موريطانيا و نوميديا بقسميها المازيسيل و الماسيل و على الشرق منهما منطقة السيرت و

[1] فهمي خشيم علي: المرجع السابق، ص 109.

[2] غانم محمد الصغير : التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط المرجع السابق، ص 31.

[3] باقر طه: المرجع السابق، ص 246.

[4] Fantar. Mohamed : North Africa from the phoenicians, bompiani, 1988, p 166.

قورينة .كما أشار أيضا إلى سيقا كمدينة عاصمة حوالي سنة 106ق.م لملك المازيسيل سيفاكس[1]. تحدث أيضا في كتابه الثالث عشر عن شجرة اللوتس و الغار ، أما في الكتاب التاسع عشر و الكتاب الثاني والعشرين لقصة نبات السلفيوم الشهير[2].

2ـ 2ـ الكتابات اللاتينية المتخصصة (الأساسية): و نقصد بها تلك الكتابات التي ألفها أصحابها للتأريخ لبعض الاحداث التي وقعت ببلاد المغرب القديم أو لها علاقة وثيقة بهانذكر على سبيل لمثال لا الحصر كتابات المؤرخ الروماني سالوستيوس، و تيتيوس ليفيوس و تاكيتوس.

2ـ 2ـ1.كتابات كايوس سالوستيوس كريبوس(C.G.Sallustuis) (86ـ 35ق.م):

و لد كايوس سالوستيوس كريسبوس Caius Sallustuis Gripus " سنة 86 ق.م بمقاطعة الصابين Sabine " بمدينة " أميتونوم " Amiterrum "المعروفة اليم باسم أمتريس في أسرة من عامة الناس أي أنه لم ينشأ في اسرة من الطبقة النبيلة لكنه تقلد مناصب عديدة منها خازنا " Qaestor " في سنة 55 ق.م ، و هو في سن الواحدة و الثلاثين، كما انتخب ممثلا للعامة في مجلس الشيوخ في سنة 52ق.م[3]. لكنه أبعد عن هذا المجلس بتهمة أخلاقية سنة 50 ق.م، و لعل هذا ما أدى به إلى الانضمام إلى قيصر، و بهذا حصل للمرة الثانية على منصب الخازن سنة 49 ق.م. مما سمح له بالعودة إلى مجلس الشيوخ ، و عين " بريتورا" سنة 47 ق.م. إلا انه و بعد انتصار الإمبراطور " قيصر " بمعركة " تابسوس" في 6 أفريل 46 ق.م ، عين سالوستيوس حاكما على أراضي " يوبا الأول " الذي تحول جزء منها إلى مقاطعة رومانية جديدة (Africa Nova)[4].

درس سالوستيوس الأدب اللاتيني ، و كان مولعا بالأدب الإغريقي لكن هدفه منذ البداية كان احياء أهم مراحل الخمسين سنة الأخيرة للجمهورية الرومانية و مع ذلك فلم يتتبع التسلسل التاريخي،حيث بدأ بتاليفه لمؤامرة كاتالينا التي كان عليه جعلها في أخر كتاباته ثم ألف بعدها بسنة واحدة حرب يوغرطة، أما آخر كتاباته فهو الذي عنونه بالتواريخ أو

---

[1] غانم محمد الصغير: معالم التواجد الفينيقي البوني، المرجع السابق، ص 110.

[2] فنطر محمد حسين: الحرف و الصورة في قرطاج، ألف منسورات البحر الأبيض المتوسط، تونس1999، ص 326.

[3] سالوستيوس: حرب يوغرطة، تر محمد التازي سعود، جامعة محمد الخامس ،فاس 1979، ص 13.

4

الروايات و هو للاسف مفقود و لم يصلنا منه سوى بعض المقاطع ضمن مخطوطات العصور اللاحقة له[1].

و بعد اغتيال الديكتاتور في 25 مارس 44 ق.م ، أقلع عن السياسة و بفضل الأموال التي جمعها من إفريقيا أشترى ضيعة زينها بالحدائق الشهيرة باسمه " Houti sallustian " أين عاش هناك حياة البذخ حتى وفته المنية في 13 ماي 35 ق.م[2].

إن أهم كتاب لسالوستيوس هو " حرب يوغرطة " الممتدة من(112-105) ق.م ، و قد تعرض فيه بالدرجة الأولى لشخصية " يوغرطة كيفية و استلائه على السلطة في نوميديا[3]، فقد تضمن الكتاب إشارات عديدة للنوميديين سواء في تلك الفترة و حتى في الفترات السابقة خاصة أيام ماسينيسا. يرى الباحث ولتر أن سالوستيوس في كتابه حرب يوغرطة لم يكن موضوعيا فقد اهتم بنزعاته الشخصية السياسية و الأخلاقية أكثر من التزامه بتحليل أحداث الحرب بين الملك النوميدي و الرومان.[4]

أما بشأن قرطاجة فقد قدم سالوستيوس معلومات هامة منها قصة حول نزاع حدودي حدث بين قرطاج و قورينة احدى المستعمرات الاغريقية حيث ذكر أن الطرفان قد اتفقا على أن ينطلق عداؤون من كلا البلدين لتكون الحدود المتنازع عليها على خط لقائهم ففاز العداءان الاخوان فلين من قرطاجة إلا أن قورنا طعنت بالحكم و طلبت وأد الاخوان الفائزان كشرط لتنفيذ الحكم فقبل الاخوان ذلك فداء لقرطاجة[5]، كم هي راقية الحضارة القرطاجية.

2ـ 2ـ 2ـ كتابات تيتوس ليفيوس (Titus-Livius)(59 ق.م ـ 17م):

تيتوس ليفيوس مؤرخ روماني من مواليد سنة 59ق.م بإجماع المؤرخين[6]، بدأ في كتابة تاريخه بعد تنصيب الامبراطور أغسطس و أنهاه في السنوات الأولى من حكم الامبراطور

---

[1] Walter : Historiens Romains, T1, p 658.

[2] بلعابد زينب : المقدس و الرمز من خلال نصب معبد الحفرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006ـ 2007، 9.

[3] غانم محمد الصغير : معالم التواجد الفينيقي البوني، المرجع السابق، ص 112.

[4] Walter : Op-cite, p 666.

[5] فنطر محمد حسين: قرطاجة و حضارتها، مجلة المنهل، ع454، 1987، ص 35.

[6] Walter : Op-cite, 10.

تيبيريوس ، يتكون مؤلفه من 142 جزء وصل إلينا منها 35جزء فقط قدمت لنا تاريخ روما[1] منذ تأسيسها إلى نهاية الحرب السامنية الثانية(293ق.م) ثم منذ بداية الحرب البونية الثانية إلى نهاية الحرب ضد برسيوس ملك مقدونيا (221 ـ 167 ق.م) أما البقية فقد ضاعت و لم يصلنا منها أي شيء[2].

تجدر بنا الإشارة أن تيتيوس ليفيوس لم يكن معاصرا للحروب الرومانية القرطاجية بل اعتمد في كتابته على ما تمت كتابته من قبل المؤرخين السابقين[3] خاصة بوليبيوس فقد اعتمد عليه تقريبا في كل الاحداث التي نقلها بدا من كتابه الرابع و العشرين[4].

تنوعت رواياته حول مختلف الاحداث السياسية و العسكرية في قرطاجة و المتعلقة أساسا بالحروب الرومانية القرطاجية أو كما يسميها كل المؤرخين القدامى الاغارقة و الرومان الحروب البونية هده التسمية التي لم تكن موضوعية و الدليل هو عدم موضوعيتهم في سرد الاحداث فلو أخذنا على سبيل المثال تيت ليف الذي ركز على تطلعات حنبعل قبيل الحرب الرومانية القرطاجية الثانية و كيف كان يحث فرقه العسكرية على التقدم أكثر نحو جبال الالب ممهدا لهم الطريق للمسير نحو روما التي ستسقط في أيديهم بعد معركة أو معركتين[5] فقط فهل كان اظهاره لحماس حنبعل احتراما لشخص حنبعل أم هو مجرد محاولة لاظهار عداء حنبعل الشديد للرومان[6].

أما عن علاقات قرطاجة بالوطن الام صور فقد ذكرها خلال حديثه عن لجوء حنبعل للمدينة صور و احتمائه بها كما تحدث في ذات السياق عن تأثر مدينة قرطاجة بالمدينة الام صور

---

[1] Judge. Hary : Word History, p. 208.

[2] الفرجاوي أحمد: المرجع السابق، ص 36.

[3] نذكر من بينهم لوكيوس كويليوس أنتيبيباتر (L ; Coelius Antipater) و فاليريوس أنتياس(Valirius Antias) و كلوديوس كادريقاريوس(Claudius Quadrigarius) و فابيوس بيكتور (Fabius Pictor)، ينظر فنطر محمد حسين: يوغرطة ، ص 240.

[4] Tite-Live : T1, p : 15.

[5] Brzzi, Giovanni, Hanibal's Expidition, Ed,s, Moscati, Milan, 1988, p 64.

[6] لودفيغ اميل: البحر المتوسط، تر عادل زعيتر، مصر، 1952، ص 229.

في جانبها السياسي ذاكرا وجود محكمة عدل قرطاجية تشبه نظيرتها في صور مقدما بعض التفاصيل عن أعضائها و الأدوار التي تقوم بها[1].

2ـ **2ــ 3ــ بروكوبيوس (Procopuis):** مؤرخ بيزنطي ، ولد في قيصرية بفلسطين حوالي القرن الخامس ميلادي، و يقال أنه اشتغل بالمحاماة في القسطنطينية ، ثم عين أمين سر خاصا للقائد " ببلا سيريوس عام 527 م و صاحبه في حملاته إلى فارس ، إفريقيا و إيطاليا ، ثم عاد إلى القسطنطينية عام 510 م ثم لم يعرف عنه شيء عدا أنه كان على قيد الحياة عام 599م,

أعماله:

أنجز بروكوبيوس كتابات شملت ثلاث أقسام :

– التواريخ عن حروب فارس و الوندال و إفريقيا و كانت تشمل ثمانية كتب.

– و كتاب " عمائر جوستنيان"، و شملت ستة كتب.

– و الذكريات غير المنشورة، و قد سمت كذلك لأنها لم تنشر في حياة الكاتب.

أما ما يهمنا من تلك الكتابات هو كتاب "التواريخ " Histoires " الذي تحدث فيه عن الحرب الوندالية ، و التي تحكي قصة التغلب على الوندال قي لإفريقيا ثم القوطية.

و الملاحظ أن بروكوبيوس كان مناصرا متعصبا للنصرانية الكاثوليكية و هو المذهب الذي كان يدين به " جوستنيان" [(2)].

3ــ الكتابات البونية النوميدية الإفريقية : و نقصد بها تلك الكتابات التي كتبها مؤرخون بونيون (قرطاجيون) و نوميديون أوافرقيون في المراحل التاريخية اللاحقة للمرحلتين البونية و النوميدية و سنحاول فيما يلي ذكر نماذج عن كل صنف .

3 ــ 1ــ الكتابات البونية : في الحقيقة لم يصلنا و لا حتى مصدر واحد مكتوب بالبونية بصفة مباشرة و لكن وصلتنا العديد من المقتطفات منها كان الكتاب الاغارقة و الرومان قد استعملوها و قاموا بترجمتها سواء إلى الاغريقية أو اللاتينية نذكر منها تلك المقاطع التي أدمجها أفلوطيوس في مؤلفه بونولوس و كذلك ترجمات رحلة حنون و قسم حنبعل

---

[1] ديورانت ويل: المرجع السابق، ج1، مج9، ص 102، الفرجاوي: المرجع السابق، ص 55، Bondi, Sandro Filippo, Political and Adminstrative Organization from the Phoenicians, p 128.

[2] علي فهمي خيشم ، المرجع السابق، ص. 130.

ومقتطفات من موسوعة ماقون الزراعية و اذا كان هذا كل ما تبقى لنا من الأدب البوني فإنه من دون شك كان غزيرا خصوصا اذا استعنا بالكم الهائل من نصوص النقوش البونية التي تؤكد في نظر الباحث موريس شنيسار على تعدد فروعه و اختلاف ميادينه التي تشمل الميادين الدينية و التاريخية و القانونية و السياسية و الجغرافية[1] و غيرها و سنحاول فيما يأتي ذكر نماذج منها:

3ـ 1ـ 1ـ بعض المقاطع من الكتابات الشعرية البونية في كتاب بونولوس: و هي مقاطع شعرية تمت ترجمتها الى اللغة اللاتينية من قبل الكاتب أفلوطيوس في كتابه بونولوس على لسان حنون القرطاجي في بداية المشهد الأول من الفصل الخامس ذكر حوالي عشرين بيتا (من البيت رقم 930 إلى البيت 949) إضافة إلى أربعة عشر بيتا أخر على شكر جمل قصيرة متناثرة في المشهدين الثاني و الثالث من نفس الفصل[2].

3 ـ 1ـ 2 ـ ترجمة وثيقة رحلة حنون القرطاجي: وصل الينا نص رحة حنون القرطاجي عبر السواحل الافريقية للمحيط الأطلسي المؤرخ بنهاية القرن الرابع قبل الميلاد و الذي تمت ترجمته من البونية الى اليونانية[3]، كما أشار المؤرخ روفوس فستوس أفيانوس (Rufus Festus Avienus)الذي عاش خلال القرن الرابع الميلادي إلى وجود ترجمة لرحلة أخرى قام بها القرطاجي خيملك[4].

3 ـ 1ـ 3 ـ ترجمة وثيقة قسم حنبعل القرطاجي: نقل المؤرخ بوليبيوس في جزء من الكتاب السابع لتاريخه المعروف نحت عنوان تاريخ بوليبيوس نص قسم حنبعل القرطاجي الذي أداه سنة 215 ق .م و الذي اعلن بعده تحالفه مع الملك المقدوني فيليبيوس الخامس. تمت دراسة هذه الوثيقة المحفوظة في الفاتيكان من قبل الباحث بيكرمان الذي بين أنها أصلية و لم يتم كتابتها من قبل بوليبيوس مؤكدا على أنها ترجمة يونانية لنص بوني الأصل على حد تعبير شنيسار الذي اقترح أن المسؤول على الترجمة لم يكن بوليبيوس بل أستاذ حنبعل اليوناني صوصيلوس(Sosylos)[5].

---

[1] Sznycer(M), La littérature punique, Archéologie, vol1, n2, 1968-1969, p 141.

[2] Sznycer(M),Opcite, p 11.

[3] غانم محمد الصغير: معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، المرجع السابق، ص 102.

[4] Sznycer(M), Opcite, p36, Carcopino, Le Maroc Antique, p 74.

[5] Sznycer(M),Ibid, p 36.

3 ـ 1 ـ 4ـ الموسوعة الفلاحية لماقون: تعد الموسوعة الفلاحية لمؤلفها القرطاجي ماقون من أهم الأعمال المهمة في عالم الزراعة و الفلاحة بصفة عامة حيث ذكر بلينوس الكبير أنه بعد احتلال قرطاج من قبل الرومان 146 ق.م قامت روما بمنح الملوك الأفارقة المكتبات البونية باستثناء ثمانية و عشرون كتابا لماقون التي قررت الاحتفاظ بها و ترجمتها إلى اللغة اللاتينية نظرا لأهميتها البالغة من خلال استعمالها في استغلال الأرض الافريقية بعد احتلالها.

على الرغم من أن كاتون كان هو الاخر قد انهى دراسة مشابهة للموسوعة فقد أوكل مجلس الشيوخ الروماني مهمة ترجمتها إلى مجموعة من المثقفين الرومان الضليعين في اللغة البونية على رأسهم ديكيموس سيلانوس (Decimus Silanus) الذي ترجم أكبر جزء منها.

كما ترجمت الموسوعة أيضا إلى اللغة اليونانية على يد كاسيوس ديونيسيوس الاوتيكي (Cassius Dionysius) الذي روج لهاذا العمل على نطاق واسع خلال القرن الثاني قبل الميلاد ، لكن للأسف أن كلا الترجمتين اللاتينية و الاغريقية قد فقدتا و لم يصلنا سوى مقتطفات تمثلت حوالي في أربعين اشهادا مبعثرا في بعض المؤلفات اليونانية و اللاتينية أهمها كتابات كل من فارو و كولومال في كتابه الشأن الافريقي و الجغرافيا البونية و بلين في تاريخه الطبيعي[1] و قارجيليوس مارتياليس[2].

3ـ2 ـ الكتابات النوميدية: و نقصد بها تلك الكتابات التي الفها بعض الأمراء و الملوك النوميد الذين شغفوا بالعلم و المعرفة وبقيت لنا شذرات منها في المؤلفات الاغريقية و الرومانية نذكر على سبيل المثال مؤلفات هيمصال، يوبا الثاني.

3ـ 2ـ 1ـ كتابات همصال: أولا تجدر الإشارة هنا إلى أنه هناك خلاف بين المؤرخين المحدثين أمثال ستيفان قزال و قابريال كامبس حول شخصيتين تحملان نفس الاسم همصال فالأول هو همصال بان الملك ميسيبسا و قد حكم مابين 118- 116 ق.م و الثاني ابن الملك قودا ووالد يوبا الأول حكم مابين 80- 60 ق.م فقد اعتقد قزال مثلا أن صاحب

[1] عقون محمد العربي: موسوعة الفلاحة الافرقية الهوية و الأهمية ، اعمال ملتقى المدينة و الريف في الجزائر القديمة ، 6- 7 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد، ص 253.

[2] Sznycer(M), Opcite, p 148.

الكتب البونية هو همصال الثاني في احين رأى كامبس العكس لكن الأهم بالنسبة لنا أن أحدهما قد ترك كتابات حول تاريخ المنطقة النوميدية أما بالنسبة لكتابته بالبونية و ليس الليبية فقد كانت الكتابة و اللغة الرسمية للمملكة النوميدية هي البونية.

3ـ 2ـ 2ـ كتابات الملك يوبا الثاني: و هو ابن الملك يوبا الأول حكم ما بين 25ق.م **و** 23ق.م يعد حسب المرخ بلين الأكبر أنه من بين الملوك النوميد الذين عرفو بعلمهم أكثر مما اشتهرو بحكمهم[1]، حيث قال فيه بلوتركيوس نقلا عن ستيفان قزال أحسن مؤرخ من بين الملوككما عده من خيرة المؤرخين اليونانيين[2].

كما مجد و أشاد مؤرخون آخرون بثقافته الموسوعية فقد سخر حياته حسبهم لدراسة الآداب و الجغرافيا و التاريخ و مختلف الفنون و حتى الشعر لكن الذي أخذ عنه أنه لم يهتم بالإشارة كثيرا إلى مصادره، حيث لا يستبعد قزال أنه قد حصل كل معلوماته من تلك الكتب البونية التي حصل عليها بعد أن تخلى عنها الرومان لصالح الامراء النوميد الذين سبقوه.

أضاف قزال أن الملف الذي يأسف لفقدانه هو الذي عنونه يوبا الثاني بليبكا حيث اعتقد أنه كان يحتوي على معلومات جد هامة حول البلاد الافريقية لتنوع مواضيعه الموزعة على ثلاث كتب جغرافية و تاريخية و ميثولوجية، فحسب أثينوس كان يوبا قد استعمل رحلة حنون مما جعل قزال يفترض بأنه قد وصف السواحل الافريقية[3].

نقل لنا أيضا ايتيان البيزنطي أن يوبا قد ترك مؤلفين آخرين الأول تحت عنوان التاريخ الروماني و علم الاثريات الروماني و قد أشار بلين أيضا إلى مؤلف آخر تحت عنوان أربيكا كما تمت الإشارة أيضا إلى كتاب حول المسرح وصل إلينا نبذة من الكتاب السابع عشر منه تدل حسب قزال على كبر حجمه[4].

3 ـ 3ـ الكتابات الافريقية: و نقصد بها تلك الكتابات التي تركها لنا كل من القديس أغستينوس و أبوليوس المادوري و غيرهم من الكتاب الذين عاشوا بعد احتلال روما لبلاد المغرب القديم الذي عرف باسم افريقيا خلال تلك المرحلة.

1

2 Gsell, H. A.A. N. TVIII, p 251

3 Gsell, Ibid, p 262.

4 Gsell , Ibid, p 269.

3ـ 3ـ 1ـ كتابات القديس أوغستينوس:

ولد القديس أوغسطينيوس(Saint Augustin) سنة 354 م بتاغست (سوق هراس حاليا)، و مات سنة 430 م بهيبو ريجيوس" (عنابة حاليا).و هو من أشهر آباء الكنيسة الكاثوليكية

درس القديس الفلسفة و البلاغة بقرطاجة كما اشتغل بمسرحها لمدة . و عندما صار عمره 32 سنة حسب ما صرح به أعتنق النصرانية ، و لما بلغ 42 سنة أصبح رجل دين بمدينة عنابة .

لقد ترك القديس أوغسطينوس " العديد من الكتب أشهرها ترجم إلى لغات العالم ، منها كتاب اعترافات و كتب الدولة الإلهية و كتابه " مدينة الله"[1]. و كان أوروسيوس من تلامذته فكلفه بكتاة تاريخ الإنسانية[2] و يرجع الفضل إلى القديس في تطرقه إلى تاريخ قرطاجة حيث يصفها بعد سبعة قرون من سقوطها قائلا: (لقد كان فيها الكثير من الأشياء التي خلدت ذكراها في عقول الناس..... انك إذا سألت أحدا من سكان أي بلد في افريقيا من أنتم يجيبون باللغة البونية إننا كنعانيون)حيث يعتبر هذا القول دليلا كافيا على استمرار الثقافة البونية قرونا طويلة بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م [(3)].

كما يمكننا أيضا في هذا النص الوقوف على استمرارية استعمال لفظ الكنعانيون بدل الفينيقيون الذي شاع استعماله بعد الميلاد في المؤلفات الرومانية و الاغريقية.

أنجز بروكوبيوس كتابات شملت ثلاث أقسام :

و تجدر بنا الإشارة أيضا إلى ما سجله المؤرخون و الجغرافيون العرب خلال العصور الوسطى أمثال " عبد الرحمان بن خلدون" في كتابه " العبر و ديوان المبتدأ و الخبر " في سبعة أجزاء . و البكري في كتابه " المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب " ، و الشريف الإدريسي في كتابه " نزهة المشتاق لاختراق الأفاق ". و كتاب الاستبصار في عجائب الأنصار لمؤلف مغربي غير معروف . كما يضاف إلى هذا ما كتبه المستعمرين حول شمال

[1] القديس أغسطين: مدينة الله، مج 12، الكتاب الثاني، تر الخور أسقف يوحنا الحلو ط2، دار المشرق ، بيروت لبنان، 2007، ص

[2] أوروسيوس : تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، ص 6.

[(3)]- عبد الملك سلاطنية ، المرجع السابق، ص ص.(57-58).

إفريقيا في الفترة الاستعمارية أمثال " ستيفان جزيل St. Gsell " و شارل أندري جوليان Ch. A. Jullienو سينتاس Cintas و فيفري Février و مرسييه Mercier وغيرهم .

المحاضرة الثانية: المصـــادر الكتابية (نصوص النقوش):

بعد تعرفنا على أغلب ما تركه لنا المؤرخون القدامى من مؤلفات حول تاريخ بلاد المغرب القديم و كيف كانوا يؤرخون لها رأينا أنه من الضروري أن يتعرف الطالب أيضا على نوع آخر من المصادر التي تجمع بين الصنفين المادي و الكتابي كونها وجدت مكتوبة على مخلفات مادية سواء كانت أنصابا جنائزية أو نذرية سواء كتبت بالليبية، البونية، الاتينية أو الاغرقية أو مزدوجة اللغة أي باللغتين الليبية و البونية أو بونية لاتينية أو ثلاثية اللغة بونية لاتينية اغريقية. باللغات الثلاث.

و نظرا لأهمية هذا الصنف من المصادر بالنسبة للمؤرخين و المساعدة الكبيرة التي يقدمها من خلال تلك المعطيات التاريخية المتنوعة الموضوعات السياسية و العسكرية و بدرجة أكبر الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و هي الأهم بالنسبة لنا في إعادة تركيب مختلف الأوضاع التي تخص المجتمعات القديمة في بلاد المغرب القديم عبر مختلف المراحل التاريخية التي مر بها لذا فقد وجه بعض الباحثين اهتماماتهم بنوع أخر من الدراسات و هو علم النقوش حيث عرفت مختلف الكتابات و النقوش الليبية المكتشفة آنذاك عمليات جمع و نشر واسعة في مختلف المجلات مثل حوليات مجلة قسنطينة و المجلة الإفريقية و تلك الصادرة عن أكاديمية هيبون.

و ذلك خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر(19) و العشرين الميلاديين(20). كان أولها ما قام به الجينرال فيدهارب (Faidherb) الذي اكتشف أكثر من 186 نصب جمعها و نشرها في مدونة سنة 1867م[1]. حيث يعتبر هذا العمل الكتالوج الأول للكتابات الليبية التي عثر عليها في تلك الفترة.

[1] Faidherbe (M)General, Collection Faidherb complète des numidiques inscriptions ,Paris 1867.

و نظرا لتتالي الاكتشافات لعدد آخر من الأنصاب الحاملة للكتابات من طرف باحثين آخرين فقد قام الطبيب روبو(Dr.Reboud) باعداد مدونة جديدة نشرها سنة 1870م[1]تحمل عنوان مجمع الكتابات الليبية ـ البربرية.

عثر بعد هذا التاريخ على أعداد كبيرة من الكتابات الجديدة و ذلك في الفترة الممتدة من سنة ألف و ثمانمائة و سبع و ثمانين و ألف و تسعمائة و أربعين للميلاد (1887م ـ1940م) حيث قام الباحث شابو (Chabot)بجمعها من جديد في مدونة أخرى حملت عنوان مجمع الكتابات الليبية[2].و التي تحتوي على أكثر من 1125 نصب ،اعتمد الباحث في جمعها على ما جاء في البحوث السابقة .

لتبدأ بعد هذه السنة مرحلة جديدة ظهرت فيها بحوث أخرى تختلف عن المرحلة الأولى التي اكتفى فيها أصحابها بمجرد الجمع و التدوين ثم النشر. عالجت موضوعات المرحلة الجديدة موضوع نفس الكتابات و النقوش لكن من زوايا مختلفة و بمناهج أكثر علمية و دقة و ذلك من قبل باحثين مختصين في مجال علم النقوش كالباحث جوداس[3] و كانيا و ستيفان قزال هذا الأخير الذي كان سببا في ازدهار الحركة العلمية الأثرية مع بداية القرن العشرين حيث انفرد فيها الباحث ستيفان قزال (Gsell) بمكانة مرموقة و رائدة على رأس البعثة الأثرية في الجزائر بشكل عام حيث استطاع أن يجمع أكبر قدر من المعلومات التي استقاها من الأبحاث السالفة الذكر ليوظفها جميعا في كتابة مؤلفه الذي نشر عام 1901م[4] و المكون من جزأين تناول فيه الباحث المعالم القديمة في الجزائر بصفة عامة ذكر أشهر المعالم الموجودة بها كالمسرح والحمامات بعاصمة الولاية[5] و

[1]Reboud(M), Recueil des inscriptions libyico- berbère , Paris 1870

[2]Chabot(J-B), Recueil des inscriptions libyques, imprimerie nationale ,Paris 1940.

[3] Judas, Etudes démonstratives de la langue phéniciennes et de la langue libyque, Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France, Judas(A), Note sur quelques inscriptions puniques (dont une inédite) trouvées a Ghelma, Revu Archéologique, 1847, p. 188-193.

[4]Gsell(St), Les Monuments Antiques de L'Algérie, T1, T2, Ancienne librairie Thorin et fils Albert fontemoing, paris, 1927. Atlas Archéologique de l'Algérie, T1, (textes), Ed Alger,1997.

[5] Ibid T1 ,p 196, 351.

حمامات حمام دباغ و حمام الباردة (حمام برادع) و ضريح العائلة الفلافية[1] و غيرها. و الجدير بالذكر أن الباحث قدم شروحا وافية حولها بالرغم من عدم اهتمامه بذكر كل المعالم التي تتوفر عليها المنطقة مكتفيا كما سبق و أشرنا للبعض منها فقط.

كما قام الباحث خلال هذه الفترة أيضا بجمع و تدوين أكبر قدر من الدراسات و الأبحاث السابقة و المعاصرة له لكتابة أشهر مؤلفاته و أهمها بالنسبة لدارسي علم الآثار بالجزائر الذي نشره سنة 1911م[2]. حيث لا يمكن لأي باحث أن يدرس آثار أي منطقة في الجزائر دون الرجوع إليه. لأن هذا العمل في الحقيقة هو أكثر الاعمال السابقة جميعا شمولية من حيث عدد المواقع المدروسة فيه و دقة المعلومات المقدمة حولها إذ غطى تقريبا كل المواقع بمنطقة قالمة [3]، باستثناء بعض المواقع الريفية التي اكتفى في الكثير من الأحيان بمجرد ذكرها أو الاشارة إليها دون أي تفصيل شأنها. و لعل في اعتقادي هذا الذي ترك باب البحث لايزال مفتوحا أمام الباحثين لتصحيح ما جاء خاطئا أو ذكر ما بقي مهمشا أو التفصيل فيما جاء مختصرا.

تمكن الباحث خلال نفس المرحلة أيضا من اقتحام ميدان آخر في مجال البحث الأثري بإنجازه لكتاب خصصه لدراسة المعالم الجنائزية و حياة شعوب فجر التاريخ إلى غضون القرون الأخيرة قبل الميلاد في جزأين الخامس و السادس من موسوعته التاريخ القديم لشمال إفريقيا[4] معتمدا في ذلك أيضا على جمع كل المعطيات و المعلومات التي قدمها باحثوا القرن التاسع عشر و العشرين(19 ـ 20م) وضع من خلالها تصنيفا أوليا للمعالم الجنائزية مصحوبا بتوزيعها الجغرافي ،ثم ألحقه بتصنيف ثان أكثر وضوحا و دقة من الأول[5].

---

[1]Ibid,T2, p66.

[2] Gsell(St), Atlas Archéologique de l'Algérie, T1, (textes),Ed Alger, 1997.

[3] Ibid ,F9,N146.

[4] Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Edit Hachette, paris, 1927.

[5]Ibid , T5 p 228 , T6 p 302.

في الحقيقة أن الباحث ستيفان قزل كان موسوعي التكوين الأمر الذي جعله ينجح في دخول العديد من الميادين و التخصصات و هو ما يؤكده العمل الموالي له في مجال علم النقوش ،إذا ستطاع الباحث أن ينجز عملا هاما جدا نشره سنة 1922م[1].

جمع فيه كل النقيشات اللاتينية المكتشفة بمعظم المواقع في الجزائر مع بيبليوغرافية لكل منها نذكر على سبيل المثال لا الحصر بالنسبة للنقيشات الخاصة بمختلف المواقع التابعة لمدينة قالمة مثلا فهي موزعة على الجزئين الأول الخاص بالبروقنصلية و الثاني الخاص بنوميديا لأن الاطار الاداري لتل المواقع لم يك تابعا لنفس المقاطعة طيلة الفترة الرومانية فعلى سبيل المثال كانت مدينة تيبيليس(سلاوة عنونة حاليا) تابعة لمقاطعة نوميديا بينما كانت مدينة كالما(قالمة)تابعة لمقاطعة البروقنصلية بالرغم من تجاورهما جغرافيا.

إن أول محاولة لقراءة النقوش اللوبية كات سنة 1837عن طريق جزنيوس الذي اهتم بالنص الاهدائي لضريح دقة الاثري[2].

ان العثور على نقوش جديدة بكل من تونس و المغرب الأقصى أدى إلى ظهور دراسات جديدة أكثر احتمالا عن طرق جالند الذي قام بجمع نقوش المغرب الأقصى و قدم احتمالات جديدة يعتقد كامبس أن دراسات هذا الأخير مع ما قدمه شابو لا تزال تمثل أداة عمل قيمة لدراسة و قراءة نصوص النقوش اللوبية.

ان ترجمة نصوص النقوش البونية و اللوبية و اللاتينية فيما بعد قدمت لنا كثيرا من المعلومات الهامة و الحصرية حول مختلف المواضيع الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية المتعلقة خاصة بالفترة الرومانية و التي تخص مختلف الفئات الاجتماعية المكونة لجميع مجتمعات مدن و قرى المنطقة المدروسة.

المحاضرة الثالثة المصادر المادية (الاثرية): و سنحاول في هذه المحاضرة إعطاء أمثلة عن كل صنف من المصادر المادية مثل النقود و المعالم الاثرية و الانصاب و الفخار و غيرها.

1ـ المسكوكات: عرفت منطقة شمال افريقيا تغيرات سياسية و اقتصادية هامة مع نهاية القرن الخامس قبل الميلاد حيث سكت قرطاجة عملتها لأنها كانت قبل ذلك تتعامل

[1]Gsell, Inscriptions Latines de L'Algérie, T1,T2, librairie ancienne Edouard champion , 1922.

[2] Gesenius, scripturealinguaeque phonenica monumenta quot super suntleipzig, p 183.

بالمقايضة حوالي سنة 410 ق.م و حملت قطعها النقدية اسم المدينة قرط حدشت و استمر تداولها سبعة عشر عاما[1]. حملت تلك النقود الذهبية و الفضية على وجهها الأول صورة الالهة تانيت و على الوجه الثاني رأس حصان أو حصانا و نخلة أو أسدا و نخلة ينظر الصورة رقم 1.

و في السنوات الأولى من القرن الرابع قبل الميلاد تمكنت قرطاجة من سك عملة ذهبية أخرى حملت أوجهها صورا لملوك و نخلة و حصانا في حالة عدو و نخلة بمفردها ينظر الصورة رقم 2[2]. و بدأت تعزز اصداراتها النقدية السوق المالية منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد و قد تعددت أسبابها في ذلك حسب الباحثين ففي الوقت الذي اعتبرها البعض ردة فعل عسكري حيث كانت تريد دفع مستحقات الجند المرتزقة أرجعها البعض الاخر إلى تزايد تعاملاتها التجارية مع الدول المجاورة[3].

لقد شكل التسلسل الزمني للاصدارات النقدية القرطاجية مشكلة بالنسبة للباحثين في تاريخ قرطاجة النقدي حيث شكلت عدم توفر كل الإصدارات النقدية القرطاجية مشكلة[4] تسببت في اختلافهم حول متى بالضبط بدأت قرطاجة في سك عملتها لأن البعض منهم رفض فكرة سك قرطاجة لعملتها الأولى من صقلية على الرغم من أن هذه الأخيرة كانت تحت الحكم القرطاجي وهي سابقة لسك قرطاجة للعملة في العاصمة قرطاجة بحوال قرن من الزمن[5].

و في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد بدأت قرطاجة بسك عملة برونزية التي بدأت باستعمالها في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م و هذا طبعا استنادا إلى ماعثر عليه من قطع نقدية في مدينة قرطاجة.

أما في بداية القرن الثالث قبل الميلاد فقد سكت قرطاجة عملتها من الفضة حملت على وجهها رأس تانيت و على الوجه الاخر حصانا يلتفت الى الوراء و نخلة ينظر الصورة رقم

---

[1] الفرجاوي احمد: المرجع السابق، ص 106.

[2] بن رمضان خالد: النقود التونسية عبر العصور، ص 19.

[3] وارمانجينتون: تاريخ افريقيا العام، مج2 حضارات افريقيا القديمة، ص 462.

[4] تسيركين يولي بركوفيتش: الحضارة الفينيقية في اسبانيا، تر يوسف أبي فاضل، 1988، ص 98.

[5] بن رمضان خالد: المرجع السابق، ص 20.

3، حيث عثر في اسبانيا على سلسة من الإصدارات النقدية الفضية ذات النمط البوني لوجود صورو أمراء قرطاجيون مثل حنبعل عزر بعل ينظر الصورة رقم 4.

عثر في موقع بولا ريجيا حمام دراجي حاليا بتونس سنة 1973 على جرة فخارية احتوت على نقود ذهبية و برونزية مسكوكة في قرطاجة ارخت بالنصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد إضافة إلى بعض الحلي هذه الأخيرة هي الأخرى تعد مصدرا هاما من مصادر دراسة الجانب الحضاري في قرطاجة[1]. كما توالت إصدارات قرطاجة لنقودها حيث عثر في مدينة الجم على كنز نقدي به قطع فضية ارخت بالفترة الممتدة من 230- 220 ق.م ينظر الصورة رقم 10.

عثر أيضا في مختلف المدن و القرى النوميدية على قطع نقدية ذهبية و فضية و برونزية حملت صورا مختلفة على أوجهها منها رأس ماسينيسا و صيفاقص و يوغرطة و على الوجه الاخر صور لحصان في حالة ركض ينظر الصورة رقم5. فقد أسند دوشاليت للملك ماسينيسا مجموعة نقدية فضية و أخرى برونزية نقش على احد وجهيها صورة شخص امرد مملوط الشعر و على الوجه الثاني صورة لحصان و نخلة و أيضا لرأس حصان[2]. ت

يعتمد المؤرخ على المصادر المادية لإتمام النقص في المعلومات التي تقدمها المصادر الكتابية . و ذلك لأن هذه الأخيرة قد اهتمت ببعض الجوانب و الأحداث البارزة في حياة المجتمع.

كما تم الكشف على الكثير من الكنوز النقدية التي تعود إلى فترات زمنية مختلفة من المرحلة الاستعمال الروماني و أخرى للاستعمار الوندالي و حتى البيزنطي في شمال افريقيا القديم و الأهم هو ما قدمته تلك الكنوز على اختلاف معدنها ووزنها و ما حملته من دلالات سياسية و اقتصادية و حتى دينية من معلومات ساعدت الباحثين و المرخين على استعادة تركيب الاحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة خاصة و هم يعانون من نقص المعطيات التاريخية حول الكثير من الفجوات التاريخية الهامة و على هذا الأساس كان لجوؤهم لهذا النوع من المصادر المادية أمرا حتميا.

[1] 30 ثلاثون سنة في خدمة التراث المعهد القومي للآثار و الفنون، تونس، 1986، 134.

[2] ءMazard, Corpus nummorum, p 23.

2ـ المعالم الاثرية: بالنسبة لهذا الصنف من المصادر المادية سنحاول تقسيمها حسب الفترات الزمنية أو بالأحرى الحقب الحضارية التي مرت بها البلاد المغاربية القديمة و البداية ستكون بالمعالم الأثرية البونية و النوميدية ثم تليها نماذج عن المعالم الاثرية الرومانية و أخيرا البيزنطية.

2ـ 1ـ المعالم الاثرية البونية و النوميدية: للأسف أن كلا من البونيون و النوميديون لم يتركوا لنا الكثير من المعالم الاثرية باستثناء المعالم الجنائزية و التي يمكن تقسيمها بحسب فخامتها إلى قسمين يضم القسم الأول منها القبور الميقاليتية و الجلمودية و الثاني الأضرحة.

2ـ 1ـ 1ـ القبور الميقاليتية و الجلمودية: لقد ارتبطت أغلب دراسات الفترة البونية والنوميدية في بلاد المغرب القديم ارتباطا وثيقا بدراسة المعالم الجنائزية، حيث اعتبرها معظم الباحثين مجالا خصبا يمكن الاعتماد عليه في غياب أو ندرة المعطيات الأخرى، و الجسر الوحيد الذي يربط بين عالم الأحياء وعالم الموتى ليمكنهم من معرفة مختلف الجوانب الحياتية الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية والعقائدية لشعوبه خلال المرحلة التاريخية الأولى أي المرحلة البونية ثم النوميدية.

إن المعلومات التي تقدمها تلك المعالم حول دراسة الموقع بحد ذاته من تنظيم للمقبرة أو استغلال و تسيير فضاءاتها في عمليات الدفن، و كذلك الخصائص المعمارية للمعالم، ضف إلى ذلك ما تحتوي عليه من مرفقات جنائزية تبين هي الأخرى مختلف الطرق و الطقوس المتبعة في الدفن[1]، كل هذه الأمور جعلت اهتمام الباحثين يزداد بتلك المعالم التي عكفوا على دراستها منذ نهاية القرن التاسع عشر(19م) لفهم من خلفوا هذه الأدلة و كانوا وراء هذه المنجزات المعمارية الضخمة التي تدل على تطور المستويين الفكري و التقني لدى تلك الشعوب من جهة و من جهة ثانية كانت سببا في نشأة علم الآثار الجنائزي.

أبدى معظم الباحثين الأوائل منذ القرن التاسع عشر بأوروبا و بلاد المشرق عموما اهتمامهم بالمعالم الجنائزية، و كانت ثمرة ذلك الاهتمام المتزايد بداية نشأة علم الآثار الجنائزي بأوربا أولا، الذي اعتبروه مكملا لدراسة المخلفات المادية الأخرى لهذه الحقبة

[1] مروان رباحي : التعمير البشري لفجر التاريخ بالأطلس الصحراوي، المرجع السابق، ص 61.

كآثار بقايا التجمعات السكنية و التهيئات الزراعية و غيرها. بينما شكل هذا العلم المحور الأساسي في دراسة المراحل التاريخية الأولى كما سبق و أشرت ببلاد المغرب و ذلك راجع إلى ندرة المخلفات المادية الأخرى[1]. في حين لجأ باحثون آخرون أمثال ستيفان قزال إلى الاستعانة بالنصوص القديمة و استعمال ما ورد فيها من معلومات و إن كانت مقتضبة و غير كافية[2].

أقبل الباحثون اقبالا كليا على دراسة عالم الأموات في محاولة منهم لاتخاذه جسرا يوصلهم لعالم الأحياء. غير أن الواقع الذي اصطدموا به بعد حوالي قرن من الأبحاث والحفريات الأثرية والدراسات التاريخية جعلهم يتحفظوا من تبنيهم لهذه المقاربة خاصة أنهم اقتصروا على دراسة الأثاث الجنائزي فقط[3].

بالرغم من ذلك بقيت اهتمامات جل الباحثين منصبة على دراسة المعالم الجنائزية ، حيث وضعوا أسسا منهجية وجهوا فيها اهتماماتهم بدراسة كل ما هو مرتبط بالمعالم بدأ بتوزيعها الفضائي و الجغرافي ومختلف خصائصها المعمارية كما أوجدوا معايير لتصنيفها و دراسة محتوياتها من مرفقات جنائزية و هياكل عظمية وهو ما قام به كل من كامبس[4] و قزال و ريقاس و غيرهم.

في الأخير يبقى عدد الدراسات و الأبحاث المتعلقة بهذه الفترة قليل مقارنة بعدد المعالم الكثير جدا، حيث يصعب وضع جرد لكل المعالم الجنائزية المنتشرة عبر كامل التراب الوطني و يرجع السبب في ذلك إلى الانتشار الكبير لأعداد لا تحص من المقابر التي تحتوي على آلاف المعالم الموزعة على آلاف الهكتارات هذا فضلا عن تلك المتواجدة في الأماكن المعزولة في شكل قبور فردية.

توجد بعض المعالم الجنائزية على قمم الجبال و في المنحدرات كما يتوزع بعضها الآخر في السفوح و على السهول مشكلا مقابر واسعة خاصة في مناطق الشرق الجزائري و الأطلس الصحراوي. تعتبر الجثي و البازينات و المصاطب أكثر أنماطها

---

[1] Camps (G.), monuments et rites, Op.cit., p. 44.

[2] Gsell(St.), Herodote textes relatives, Op.cit., p. 253.

[3] مصطفى رميلي: المرجع السابق، ص42.

[4] Camps, monuments et rites Op.cit., p.7.

انتشارا وذات أهمية بالغة في بلاد المغرب و هي تمتد إلى ما بعد الأطلس الصحراوي[1](ينظر الشكل رقم: 1).

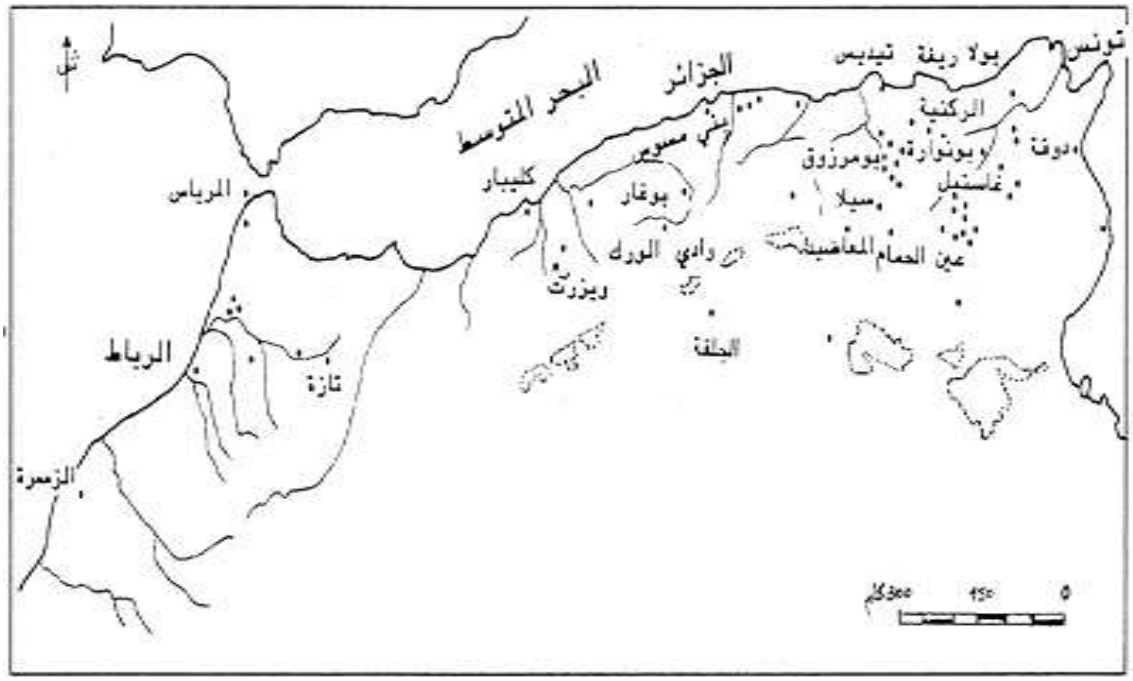

الشكل رقم: 1 انتشار المقابر الميغاليتية و الشبه الميغاليتية في شمال إفريقيا[2].

تعد المعالم الجنائزية من نوع النشاز الأكثر انتشارا بالمغرب الأقصى و تونس لاسيما المناطق الممتدة من على طول الساحل الشرقي ما بين المهدية و العالية. غير أنها تندر في الجزائر، باستثناء تلك التي أشار إليها الباحث قبريال كامبس و المتواجدة في الهضاب العليا و سهوب الحضنة[3].و تجدر الاشارة إلى أنه تم تنقيب واحد منها بقمة جبل كاف لخضر بمنطقة آشير بالتيطري، وهو نشاز متميز ذو غطاء مكشوف لم تشر يبليوغرافيا القرن الماضي لآخر مثله بالمنطقة[4].

يرى الباحث طارق ساحد بأن ندرة هذا النوع هو متعلق بعدد المعالم المكتشفة ولا يعني أنها غير موجودة لأن الباحث قد اكتشف مقبرة تحتوي على أكثر من ستين(60)

[1] طارق ساحد: التعمير البشري ببلاد المغرب، المرجع السابق، ص49.

[2]طارق ساحد: التعمير البشري ببلاد المغرب، المرجع نفسه، ص 50.

[3]Camps, Monuments et rites funéraires, p 7.

[4] تم اكتشاف و حفر هذا المعلم الجنائزي خلال مهمة أثرية نظمها المركز الوطني للبحوث في ما قبل التاريخ و علم الانسان و التاريخ سابقا المركز الوطني للدراسات التاريخية في سبتمبر 1992م. ينظر طارق ساحد: للتعمير البشري ببلاد المغرب، المرجع السابق، ص 51.

معلما من هذا النوع على بعد 1كلم من مدينة الدوسن خلال عمليات التحري التي قام بها هو و فريق عمله خلال سنة2006م[1].

أما بالنسبة للحوانيت المعروفة أكثر بمنطقة الشرق الجزائري خاصة في تبسة، الركنية بوشقوف و كذا المناطق التلية التونسية في سجنان بين تبرقة و بنزرت خاصة في و غائبة كليا في الصحراء[2]. في حين تنتشر المصاطب على امتداد السواحل ببلاد المغرب حتى جنوب الأطلس و هي موجودة أيضا بكثرة في الشرق الجزائري خاصة في قالمة، قسنطينة و ضواحيهما و غربي تونس بينما تنعدم بالصحراء و غالبا ما توجد مع الشوشات[3]. و كذلك بالنسبة للبازينات فهي أكثر الأنواع تنوعا و وجودا ببلاد المغرب حيث نجدها موزعة على عدد من مناطق الأوراس و سهل الحضنة والمناطق السهلية حيث نجدها عموما إلى جانب الجثي[4].

2ـ 1ـ 2ـ الاضرحة: لدينا ثلاثة نماذج منها ضرح المدراسن و هو أقدمها و ضرح دقة ثم ضيح الصومعة بالخروب.

2ـ 1ـ 2ـ 1ـ ضريح المدراسن: يوجد هذا الضريح في الشمال الغربي للأوراس بالقرب من عاصمة النوميديين سيرتا(قسنطينة حاليا) وصفه قزال على أنه صرح نوميدي لكنه مكسوا بغطاء يوناني بوني لوجود الطراز اليوناني على مستوا الاعمدة و البوني من خلال الافريز[5]. أما كامبس فقد اعتبره بازينة بربرية لكن قاعدته الاسطوانية و رأسه المخروطي دفعته إلى تصنيفه ضمن الاشكال المتطورة و القبور ذات البنية الجديدة[6].

انطلقت أولى عمليات التنقيب و البحف في المدراسن من قبل العسكريا الفرنسيين على رأسهم النقيب كولينو(Collineau) تحت اشراف العقيد كربوسيا، ثم قدم لنا المهندس المعماري بيكر سنة 1854 وصفا صوب فيه الكثير من الأخطاء التي ذكرها بيسونال و بعده أتى العقيد برونو واعتمد على دراسة بيكر ، في حين وقعت أول حفريات بالضريح سنة

---

[1] المرجع نفسه، ص 49.

[2] بوشارب سلوى : المرجع السابق ، ص 21، طارق ساحد : التمير البشري، المرجع السابق، ص 51.

[3]Camps, Monuments et rites funéraires, Op.cit., p. 119-121.

[4] Ibid., p. 158.

[5] Gsell, M.A.A . Opcite. p68.

[6] Camps, Monuments et rites funéraires, Op.cit., p.62.

1873 عن طريق بوشيتي أما سنة 1893 فقد وقع انهيار وسط الضريح منع الباحثين من مواصلة التنقيبات إلى غاية سنة 1969 ين انطلقت الأبحاث و الدراسات من جديد.

2ـ 1ـ 2ـ 2ـ ضريح دقة: يوجد في مدينة دقة الاثرية يبعد عنها حوالي ب300 متر تقريبا يبلغ طوله حوالي 21م و يتألف من ثلاث طوابق ، يذكره كلود بونسو(Claud Poinsssot) على أنه ضريح بوني البناء مزيز من التأثيرات الهلييينية و المصرية و النماذج الشرقية القديمة[1]. استطاع أن يبقى قائما حتى القرن 16 م حيث بقي طابقه الأول و الثاني و بداية الثالث قائمين إلى غاية القرن 19م[2].

تعرض الضريح للتخريب حيث تسبب القنصل الإنجليزي توماس ريد في تحطيمه بسبب أخذه للنقيشة التي أضافها إلى مجموعته الخاصة لكن بعد وفاته فقد الحقت بالمتحف البريطاني.

زاره العديد من الرحالة و الباحثين بدأمن القرن 17م تاركين عدة دراسات وصفية و رسومات نذكر منهم المؤرخ بروس سنة 1765 من خلال وضعه لمخطط ساهم فيما بعد في إعادة ترميمه لأول مرة على يد لويس بيونسو و دامت سنتين 1908ـ 1910م.

أما فيما يخص صاحب هذا الضريح فقد تعددت الآراء من قبل الباحثين و الدارسين حول نسبه و تأريخه حسب النقيشة التي عثر عليها فيه ، فقد حاول قزال مثلا تأريخه انطلاقا من النقيشة بسنة 139 ق.م حيث جعلها معاصرة لنقش معبد ماسينيسا الموجود في نفس المكان[3] و غيرها من الآراء لكن الأرجح أنه ضريح لفرد من العائلة الملكية الأقرب هو ماسينيسا.

3ـ الانصاب: قدمت لنا قرطاجة و غيرها من مدن و قرى الممالك النوميدية الآلاف من الانصاب سواء النقوشية أو تلك الحاملة للمشاهد الايكونوغرافية و التي عثر عليها اما مجتمعة في معابدها المقدسة مثل معبد التوفاة بقرطاجة و معبد الحفرة بسيرتا أو متفرقة في جل المواقع الاثرية البونية و النوميدية ، و تجدر بنا الملاحضة فقط أن المواقع النوميدية هي الأخرى قدمت لنا عددا لابأس به من الانصاب الليبية لكن هذه الأخيرة كانت جنائزية

[1] Poinssot,Claud, Les ruines de Dougga, p 58.

[2] Poinssot,Claud, Ibid, p 59.

[3] Gsell, H.A . A . N., T . VI, p, 254.

فقط و لم تقدم الكثير اذا ما قورنت بنظيرتها البونية التي مثلت مشاهدها نصوصا وثائقة و صورا حية لمختلف المواضيع الحياتية للفرد البوني و النوميدي على حد السواء.

عثر في قرطاجة وحدها على الآلاف من الانصاب كما سبق و أشرت تعود إلى أنصابها الأولى إلى القرنين السابع و السادس قبل الميلاد و تتميز هذه الانصاب التي اكتشفت بمعبد بعل حمون و تانيت بحجمها الكبير و شكلها الذي اتخذ هيئة العرش انتصبت وحدها أو على قاعدة طويلة وهي بسيطة الصنع بدائية المظهر[1].

ظهرت بعد ذلك منذ القرن الخامس قبل الميلاد في قرطاجة أنصبا صغيرة الحجم مستطيلة ذات قمة مثلثية و استمر هذا الشكل من الانصاب حتى القرن الثاني قبل الميلاد[2]. على الرغم من أن وظيفة الانصاب البونية كانت نذرية دينية بالدرجة الأولى إلا أنها قدمت للباحثين و المؤرخين معلومات أخرى تتعلق بحياة المجتمع ونظرا لأهمية هذا النوع من الآثار المادية من الناحية الجمالية فقد حمل منها القائد الروماني سيبيون إميليانوس لما أسقط قرطاجة عام 146 ق.م الكثير منها إلى روما حيث يرى أندريه إيمار أنه حملها لقيمتها الفنية[3]. فهي تمثل لوحات فنية أراد صناعها تخليد المشاهد الوارد فيها على اختلاف مواضيعها و كأنها صور التقطت بطريقتهم في ذلك الزمن.

تعددت مواضيع تلك الأنصاب حيث تصدرت المواضيع الدينية بمختلف مشاهدها المرتبة الأولى على وجوه الأنصاب لتعبر بصدق عن قوة و مكانة الدين و المعتقد عند الفرد القرطاجي كما دلت أيضا في نفس الوقت على ظهور و تطور صناعة هذه الأنصاب على اعتمادها من قبل القرطاجيين كحرفة.

اختلفت الرموز الموجودة على الأنصاب البونية نذكر منها رمز الالهة تانيت و له عدة أشكال منبينها شكل المثلث متساوي الساقين و قرص يفصلهما قضيب أفقي تنتهي نهايتين غالبا بساعدين و الشكل يمثل امرأة ترتدي ثوبا طويلا وهو في نظر الباحثين رسم رمزي يعبر عن الشخصية الإلهية لتانيت و علاقتها بالعالم الدنيوي[4]. كما ظهرت رموز أخرى منها قرص الشمس المجنح الذي أرجعه الباحث المصري محمد بيومي مهران إلى التأثيرات

[1] الفرجاوي أحمد: المرجع السابق، ص 98.
[2] غانم محمد الصغير: معالم التواجد البوني، المرجع السابق، ص 169.
[3] المرجع السابق، ص 59.
[4] فرنسوا دوكريه، المرجع السابق، ص 116.

المصرية و هو من رموز الاله بعل حمون[1]. هناك أيضا رمز الصولجان هرمز و هو على شكل عصا تلتف حولها حية أو حيتان ظهر خاصة على أنصاب القرنين الثالث و الثاني قبل الميلاد وهو من التأثيرات الاغريقية[2]. وغيرها من الرموز مثلا القنينة والكف المبسوطة وزهرة اللوتس و باقي الاشكال الهندسية و صور الحيوانات كالفيلة، الثيران، الكبش، الارنب، الطيور المختلفة و النباتات و الأشجار كالنخيل[3].

4 ـ الفخار:

يحظى الفخار بمكانة مهمة في السجل الأثري و هذا لما يقدمه من معطيات و معلومات قيمة للباحثين بمختلف تخصصاتهم ، مما جعلهم يعتبرونه من أهم المخلفات الأثرية التي يمكن استعمالها كأدلة كرونولوجية بامتياز إما للتأريخ المطلق أو النسبي. حيث يرى الباحث الفرنسي كامبس بأن كثرة وجوده في موقعا إلى جانب مخلفات أخرى يعد دليل كافيا على أن الانسان قد استقر به و مارس الزراعة و بالتالي فهو حسبه يعد مؤشرا جيدا على نمط معيشة صاحبه[4].

تعود أقدم الأدلة على استعمال الانسان لمادة الطين في صناعة مختلف الأدوات والتماثيل في بعض مناطق العالم القديم إلى العصر الحجري القديم الأعلى. لكن عملية تعميمه و انتشاره كانت خلال العصر الحجري الحديث (النيوليتي) ، حيث عرف استعمال هذه المادة رواجا واسعا لدى مختلف الشعوب التي طورت صناعتها للأواني من حيث الشكل و كذا عملية تزيينها بزخارف متنوعة، إذاستخدموا جزء منها في حياتهم اليومية بينما خصصوا الجزء الآخر لمرافقتهم في حياتهم الأخرى بعد الموت[5].

في حين كان ازدهار صناعته(الفخار) بشكل بارز خلال مرحلة فجر التاريخ وقد ارتبطت بصناعة المعادن في الكثير من المناطق بأوربا و الشرق الأدنى. أما بالنسبة لظهوره فقد

---

[1] المدن الفينيقية، بيروت لبنان، 1994، ص 340.

[2] الفرجاوي أحمد: المرجع السابق، ص 100، دوكريه فرنسو: المرجع السابق، ص 114.

[3]الفرجاوي أحمد: المرجع السابق، ص102، غانم ا محمد الصغير: معالم التواجد البوني، المرجع السابق، ص 172.

[4]Camps (G.), Aux Origines de la Berbère, Massinissa ou le Début de l'Histoire, imprimerie Officielle, Alger, 1961, p. 287.

[5] Camps G., Aux origines de la Berbère, Monuments, Op.cit., p.213,214.

ارتبط أساسا بالمعالم الجنائزية و طقوس الدفن لأنه من أهم مكونات الأثاث الجنائزي المكتشف داخلها مما جعل الكثير من الباحثين يعتمدون عليه كمؤشر كرونولوجي لتأريخها رغم صعوبة ذلك[1].

أما في بلاد المغرب فقد عرف الإنسان المغاربي أيضا الفخار ابتداء من العصر الحجري القديم المتأخر، ليصبح أكثر انتشارا خلال العصر الحجري الحديث و فجر التاريخ و المرحلة البونية و النوميدية[2]. حيث سجل حضورا قويا و متميزا داخل القبور الميغاليتية كونه واحدا من المرفقات الجنائزية الهامة التي كانت تكتشف أثناء عمليات التنقيب المختلفة بالمقابر السالفة الذكر[3].

الفخار البربري و دوره تأريخ المعالم الجنائزية: يعتبر الفخار البربري أو المقولب أكثر أنواع الفخار انتشارا و تواجدا ببلاد المغرب عموما و الجهة الشرقية والوسطى خصوصا، حيث عثر على أغلبه خلال مختلف الحفريات و التنقيبات الأثرية داخل المعالم الجنائزية الميغاليتية و الشبه الميغاليتية بمختلف أنماطها.

يعد الباحث كامبس من بين الباحثين الذين أبدوا اهتماما كبيرا بدراسة الفخار المكتشف بكل من مقابر بونوارة، تيديس، الركنية، غاستل، سيلا و رأس العين بومرزوق المنتشرة في الشرق الجزائري[4] (ينظر الشكل رقم:2)

المقابر الكبرى	عدد الأواني المكتشفة بها
غاستل	350
سيلا	187
الركنية	148

[1] Camps G., Ibid., p. 215.

[2] Camps G, Les civilisations préhistoriques d'Afrique, Op.cit., p. 342.

[3] Camps G., Aux origines de la Berbère, Monuments Op.cit., p.218.

[4] Camps .G, Aux origines de la Berbère, Monuments Op.cit., p. 215.

تيديس	61
بني مسوس	57
عين الباي	40
بونوارة	24
رأس العين بومرزوق	22
سيقوس	14
عين الحمام	13

الشكل رقم: 2 جدول يمثل عدد الأواني الفخارية المكتشفة بأهم المقابر الكبرى بتصرف الباحثة[1].

تمكن كامبس بعد دراسته لما ورد في الجدول أعلاه من استنتاج ما يأتي:

ـ ندرة هذا النوع من الفخار في الجهة الغربية من الجزائر ماعدا اكتشاف البعض منه في المناطق الوهرانية ، بينما يكاد ينعدم في مقابر المغرب الأقصى.

ـ أغلب الفخار المكتشف أو الذي عثر عليه كان من مقابر الشرق الجزائري و مقبرة بني مسوس في الجزائر الوسطى.

ـ يمثل فخار كل من مقبرة الركنية و سيلا و غاسطل نسبة أكثر من نصف الفخار المعثور عليه في كل المقابر السابقة الذكر[2].

لقد وضع كامبس منهجية خاصة لدراسة ذلك الفخار مقترحا تصنيفا لأهم أشكاله حيث قسمها إلى ثلاث مجموعات كبرى، تتمثل المجموعة الأولى منها في فخار قزمي مخصص

[1]Camps (G), Ibid., p.222

[2]Camps (G.), Ibid., p. 270.

للطقوس الجنائزية و النذرية، في حين تشتمل الثانية على الأواني البسيطة من دون ملحقات، أما الثالثة فتحتوي على الأواني ذات الملحقات[1]،(ينظر الشكل رقم:3).

المجموعة	نوع الاستعمال	شكل الآنية	أصل التقنية
فخار قزمي الشكل	للطقوس الجنائزية	القصاع الصغيرة الطيسان مصابيح و غيرها	بدائية بونية
أواني ذات ملحقات (ذات الاستعمال المنزلي)	للطقوس الجنائزية	أواني محدبة الجوانب أواني ذات الكتف أواني بيضوية الشكل	بدائية بونية
	نسخ من أواني صغيرة للطقوس الجنائزية. أواني ذات مقبض واحد	قداح كؤوس جفان عميقة، صحون قداح ذات مقبض فناجين	بدائية بدائية بونية
	أواني ذات مقبضين	الجرار القدور	بونية بدائية
	أواني ذات المنقار	آنية ذات المرضعة	بونية

[1] Camps(G), Ibid., p. 274.

	الأنبوبي		
	آنية ذات المصفاة	ذات مصفاة ذات مصفاة وسطى	بدائية

الشكل رقم:3 جدول به تصنيف كامبس لمختلف الأنماط و الأشكال الفخارية المكتشفة بالمقابر الميغاليتية و الشبه الميغاليتية[1].

كما تعد الأواني الفخارية الملونة و المزخرفة المكتشفة في معظم المقابر السالفة الذكر أكثر أنواع الأواني التي جلبت انتباه الباحثين و المختصين في دراسة الفخار نظرا لتميز شكلها كفخار مقبرة تيديس[2]، (ينظر الشكلالموالي رقم:4).

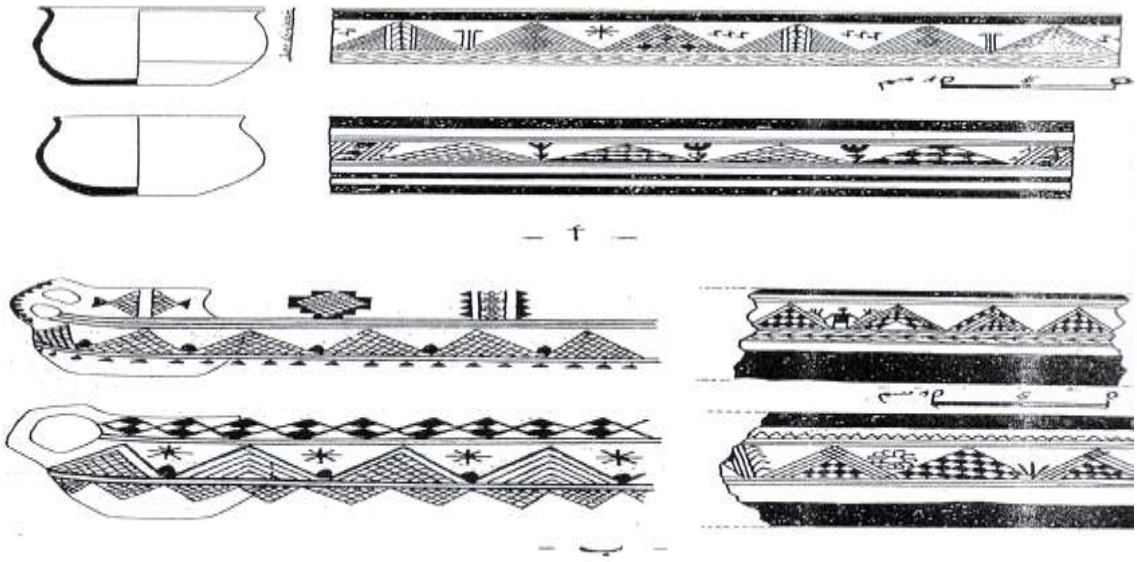

الشكل رقم4 :أهم الزخارف التي تم التعرف عليها في فخار تديس (بتصرف الباحثة)[1].

[1]Camps (G.), Ibid., p.275.

[2]Camps (G.), La céramique des sépultures berbères de Tiddis, Libyca. Anthrop. Archéol. Préhist., T.VI, 1956, p.p. 155-203.

إن اكتشاف بعض الشقف من الفخار البربري(المقولب) بعدد من المواقع النيوليتية وأخرى تعود لفجر التاريخ و المراحل التاريخية الأولى البونية و النوميدية تشابهه مع الفخار الذي لا يزال يصنع و يستعمل في وقتنا الحالي في الكثير من المناطق ببلاد القبائل و الأوراس، هو الذي دفع بالباحثين للقول بأنه صعب التأريخ. لذا فإن استعماله كمؤشر كرونولوجي أمر نسبي و غير دقيق[2]. وهو ما جعل الباحثين يصطدمون بصعوبات لا تسمح بتحديد دلائل التسلسل الزمني، نظرا للافتقار إلى المرفقات الجنائزية و اختلاف الأدوات و الأواني الفخارية التي تعود إلى عصور مختلفة[3]. وبالتالي اختلفت تأريخاتهم للمعالم الجنائزية المدروسة و التي يتراوح البعض منها ما بين القرن الثالث قبل الميلاد كحد أقصى بالنسبة للباحث ستيفان قزال[4] إلى غاية القرن الثاني الميلادي بخصوص فخار كل من تيديس ، غاستل، بوشن[5].

بعد كل ما تقدم من معطيات استطعت التوصل إلى استنتاج ما يأتي:

1ــ وجود نمطين هامين من الفخار المكتشف في شمال إفريقيا ، يتمثل النوع الأول في الفخار الكمباني (الريفي الشكل) كثير الانتشار في المناطق الغربية للجزائر و أغلب مواقع المغرب الأقصى وقد تم تأريخه.

---

[1] Camps (G.), Aux origines de la Berbère, Monuments, Op.cit., p. p. 364, 370, 371.

[2] Camps (G.), Ibid., p. 41

[3] طارق ساحد: المرجع السابق، ص 47.

[4]Gsell (St.), H.A.A..T 1, p. 232.

[5] يشير الباحث كامبس بأن هناك دورق ماء من نمط قبرصي عثر عليه في محفوظات متحف قسنطينة كان قد استخرج من مقبرة بوشن أرخ بالقرن الرابع قبل الميلاد (4 ق.م) بعد مقارنته بمثيل له عثر عليه الباحث سينتاس بموقع تيبازة و الذي يعود تأريخه إلى ما بين القرنين الرابع و الثالث قبل الميلاد(4ـ 3ق.م). ينظر كامبس:في أصول بلاد البربر. ماسينيسا أو بدايات التاريخ...ص125، Cintas (P.) , Fouilles punique a Tipasa, Rev. Afri., 1948, p.p. 263- 330.

Camps G, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique, Op.cit., p.p.7-8.

2ـ أما النوع الثاني منه فيعرف الفخار البربري (المقولب) و الذي يتواجد بكثرة في المناطق الشرقية و الوسطى للجزائر المعروف بصعوبة تأريخه[1].

4ــ يبدو أن مختلف الدراسات السابقة لا تزال ماضية في تحقيق مشروعها الاستعماري من خلال تأكيدها في كل مرة على تقسيم شمال إفريقيا إلى منطقتين حسب جهات التأثير الأجنبي، و حجتها في ذلك الاختلاف و التباين في الرصيد الحضاري لكل منهما.

5ــ وفي الأخير تبقى دراسة الفخار احدى الخطوات الأساسية لإعادة تشكيل أو رسم صورة حقيقية للطقوس الجنائزية التي كانت تمارس خلال مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها بلاد المغرب القديم رغم ما تطرحه من إشكاليات و صعوبات بالنسبة لتأريخها. لكن يكفي أنها دليلا ملموسا على الاستقرار البشري وممارسة الانسان للزراعة و ممارسة الكثير من الحرفة المرتبطة بها.

و بعد دراستنا لنماذج مختلفة من المصادر بنوعيها المادي و الكتابي يجدر بنا الإشارة إلى أنه توجد أنماط أخرى من المصادر المادية الأخرى التي لم نذكرها بقيت فوق سطح الأرض مثل أثار المباني و بقايا المنازل و القصور و المعابد و القلاع و الحصون و الأسوار والمسلات و التماثيل على اختلاف أشكالها يمكننا التفصيل فيها في حصص الاعمال التطبيقية.

و الملاحظ أن قيمة و أهمية هذا النوع من المخلفات لا يقل قيمة ، بل في كثير من المرات تكون أفضل عن تلك المصادر الأدبية باعتبار أن يد الإنسان و طريقة إنتاجه للأشياء و لا تقلان عما يصدر من فمه من أقوال ، فهي صادقة تصور الحياة اليومية للإنسان(1).

[1] . لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل تكفي ندرة تواجد النوع الأول بمواقع وجود الثاني والعكس دليلا كافيا للجزم بانعدام انتشار كلا منهما في مناطق الآخر؟ أم أن السبب الروتيني قلة التنقيبات و الأبحاث إذا ما قارنتها بالأعداد الهائلة للمقابر المنتشرة ليس فقط بالمناطق الأكثر شهرة كما اعتاد الباحثين ابرازها بل في الكثير من المواقع الأخرى التي لم تنل حظها من الدراسة و البحث بل لم تذكر إطلاقا. و يؤكد هذه الفكرة الباحث طارق ساحد قائلا: " بأن كامبس قد بالغ نوعا ما لأن أغلب المناطق في الوسط و الغرب الجزائري يكتنز مقابرة كثيرة لا تعد و لا تحصى و قد أثبتت ذلك تحرياتنا في بعض مناطقها خاصة بالجلفة و الأغواط و تيارت غير أنها لم تكن عرضة لأية تنقيبا أو دراسات" ينظر طارق ساحد: التعمير البشري، المرجع السابق، ص 91.

نقد المصادر المادية :

-رغم الأهمية التي تمثلها تلك المخلفات الأثرية ، إلا أن الاعتماد عليها لدراسة فترة المغرب القديم يكون بحذر و جدنا أن هناك هوة زمنية سحيقة تفصل بينها و بين ما تشير إليه المصادر الكتابية.

-كما أنها غالبا ما تخضع للتكهنات و التخمينات التي تكون صحيحة في كثير من الأحيان.

- كثيرا ما تلحق المصادر المادية ببلاد المغرب القديم بمثيلتها في المناطق المجاورة لها لاسيما في أوروبا و تكون هذه الاخيرة هي الأصل و السبب في ذلك كله راجع إلى أن المشرفين على أعمال الحفر و التنقيب و الدراسة كانوا من العلماء الأوربيين خاصة في الفترة الاستعمار الفرنسي [2].

[1] عبد العزيز بن لحرش، دور المخلفات الأثرية في دراسة التاريخ القديم ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 12 ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 1999، ص ص .(150-152، 143-156).

[2] محمد الصغير غانم ، المرجع السابق، ص. 37.

المحاضرة الرابعة: بلاد المغرب التسمية و أصل السكان: قبل البدء بالحديث عن أصل تسمية بلاد المغرب القديم و أهم التسميات التي أطلقت عليها جدير بنا أولا التعرف على موقع هذه المنطقة و أهم مظاهرها التضاريسية و البيئية.

1ـ جغرافية بلاد المغرب القديم :

إن بلاد المغرب القديم من البلدان المطلة على سواحل البحر المتوسط ، التي حضيت بسهول رسوبية ، تمتد من الغرب إلى الشرق ابتداء من المحيط الأطلسي حتى حدود مصر الغربية.

و الملاحظ أن تلك السهول تتميز بالضيق في الوسط و الاتساع في الغرب كما تتخللها وديان فصلية و خلجان صالحة للملاحة ، و كانت تلك السهول في كثير من الأحيان صالحة للزراعة.غير أن السهول الساحلية تنعدم في بعض الأحيان ، حيث ترتكز الجبال عمودية على الساحل ، مثل ما نلاحظه في المنطقة الممتدة ما بين " دلس حتى سهول " عنابة " كذلك منطقة الجبل الأخضر في ليبيا و إقليم الشاوية في المغرب الأقصى[1].

و حسب الدراسات الحالية، فإن سهول المغرب القديم تنقسم إلى سهول داخلية و أخرى ساحلية ، و بهذا فإن إنتاجها الزراعي يتنوع ما بين زراعة الفواكه و الخضر و زراعة الحبوب و المراعي . و من الطبيعي هذا ما ينتج عن هذا التنوع في السهول، تنوع السكان حيث نلاحظ:

– ازدواجية قديمة في المجتمع المغربي بين الفلاحين المستقرين كما يلاحظ أن هؤلاء كثيرا ما كانوا يسمحون لأنفسهم بتجاوز المناطق الرعوية إلى المناطق الزراعية هذا ما أدى إلى إثارة حساسية لدى الفلاحين ، فنتج بين الطرفين نوع من السلوك السلبي، أدى أحيانا إلى كثيرة الصراعات بين القبائل الرحل و المستقرين.

---

[1] F. Decret et M. Fantar, L'Afrique du Nord dans l'antiquité (Histoire et civilisation des origine au V^eme, siècle), Payot, Paris, 1981, p. 14.

أما عن السلاسل الجبلية التي تخص المغرب ، فإنها تتمثل في سلسلة جبال الأطلس التي تمتد نحو الجنوب الغربي و تونس ثم الجبل الأخضر بليبيا.

– **النجـــود:** يشمل كامل المنطقة الممتدة بين الأطلس التلي و الصحراوي و هي متجهة أيضا من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي و تعود إلى ترسباتها إلى الزمن الجيولوجي الثاني و الثالث و أهم سهول النجود نجد سهول تيزي وزو – بلعباس و منطقة تيارت والحضنة.

– و سلسلة الأطلس التلي التي تعود في تركيبها الجيولوجية إلى الزمن الجيولوجي الثالث ، و تعتبر امتداد لجبال الآلب ، كما أنها معاصرة لها في الظهور ، و من الأمثلة على هذه الجبال نجد جبال " تلمسان، جبال الونشريس ، جبال جرجرة و البابور و جبال سوق هراس و جبال الضرسة التونسية).

– سلسلة الأطلس الصحراوي ، تمتد تلك الجبال من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي تعود في ترسباتها إلى الزمن الجيولوجـــي الثـــــاني و الثالث . كما تعتبر الحد الفاصل بين الإقليم الشمالي و الصحراوي و تتخللها وديان و ممرات تربط بين الشمال و الجنوب و من مميزاتها أنها أعلى من سلسلة الأطلس التلي و من أهم الجبال الأطلس في المغرب الأقصى و الأطلس الكبير و الأطلس التلي ، نجد جبال عين الصفراء و القصور و العمور و جبال أولاد نايل بالجزائر.

– أما عن الإقليم الصحراوي ، فيقع جنوب الأطلس الصحراوي و يمتد عبر الصحراء الكبرى التي توجد بجنوبها الشرقي جبال الهقار ذات الصخور الرملية ، و حسب المظهر فإن شكلها مخروطي و يحدها جبال الأطلسي و التبسي[1].

و حسب الدراسات ، فإن منطقة الصحراء الكبرى مرشحة لأن تكون مصدر نشأة الإنسان و التي لم يهجرها إلا في الزمن الجيولوجي الرابع . عندما بدأ التصحر ينتاب المنطقة. فانتهجت مجموعة من السكان نحو الشمال متتبعة شرايين الحياة أي مصادر المياه ، لذلك نراها تخرج في مجموعتين ، تستقر المجموعة الأولى في الواحات المصرية الغربية للنيل

[1] اصطيفان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة ، محمد التازي مسعود، ج1، الرباط ، 2007،ص ص.(15-33).

التي تتقدم فيما بعد لتستقر على نهر النيل ، بينها تنعكس المجموعات الأخرى إلى بلاد المغرب (في برقا بليبيا و تونس ثم تتوزع على كامل بلاد المغرب). أما المجموعة الثانية اتجهت نحو الجنوب إلى أعالي نهر النيجر و المناطق الاستوائية الأخرى في إفريقيا[1].

المناخ:

يمتاز عموما بين الازدواجية بين المناخ المتوسطي الرطب و المناخ المتوسطي الجاف ، أي أن مناخ بلاد المغرب عبارة عن ثنائي لمناخين متباينين ، فالمناخ المتوسطي المتصف بالرطوبة و الاعتدال في هذا المناخ يسود السواحل في التناقص ليترك المجال للمناخ الصحراوي الذي يمتاز بالجفاف و ندرة التهاطل، كذلك هبوب الرياح الرملية. و تعتبر السهول الغربية في الجزائر أفضل مثال على ثنائي المناخين، في الشتاء تتعرض إلى المناخ المتوسطي الرطب البارد و من ثم تتلقى بعض الأمطار و الثلوج تجتاحها موجات من البرودة المؤثرة على النباتات بينما تصبح في الفصول الأخرى مجالا للمناخ الصحراوي ، فتصيبها الحرارة الشديدة صيفا و تغمرها رياح " السيركو"، فيلاحظ أن هذه التقلبات المناخية الضارة تقلل من أهمية المنطقة الأمر الذي أدى بها إلى الفقر الدائم، كما حتم على سكانها أن يبحثوا لهم عن مجالات أرضية أخرى تساعدهم على كسب القوت . و تعددت حركاتهم الموسمية نحو الشمال عبر التاريخ[2].

و الملاحظ أنه و بعد اللمحة الوجيزة عن النطاق الجغرافي للمغرب القديم ، فقد علق المؤرخين الأوربيين على ذلك ، حيث يرى الباحث " إيميل غوتيه E. Gautier " في كتابه الموسوم بماضي إفريقيا الشمالي " Le passé d'Afrique du Nord " : " على أن جغرافية شمال إفريقيا عاجزة و قاصرة و غير قادرة على تحقيق الوحدة السياسية عبر تاريخها الطويل"[3]، أكد كذلك الباحث " شارل أندري جوليان Ch. A. Jullien " على أن

---

[1] محمد الصغير غانم ، مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، 2005، ص ص.(50-53).

[2] عبد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم (السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، ط1، الجزائر 1995، ص ص.(13-17).

[3] E.F. Gautier , Le passé de l'Afrique du Nord, les siècles obscurs, ed. Payot, Paris, 1937, pp.(5-25).

البنية الجغرافية لها أثر فعال في تاريخ المغرب ، فهي التي فرضت عليه حالة دائمة من العجز السياسي ، و يضيف بأن المغرب لم يتمكن من الوصول إلى الوحدة السياسية و ذلك لانعدام الأودية الواصلة بعضها ببعض و عدم صلاحية الأنهار و عداء البحر و قلة الأراضي النافعة . كما أنه يخص مسؤولية هذا الإخفاق السياسي فيما سماه بالصراع الدائم بين البدو و الحضر ، الذي لم ينتبه واحد الآخر و يضيف بأن هذه الثنائية (بدو ، حضر)، التي يتعذر القضاء عليها هي التي تعلم في الظاهر كيف أن بلاد البربر كان لها دائما و هذا الرأي حقيقة لا يحتاج لإقامة دليل على أنه يرمي و يهدف إلى إقناع بفكرة التصور الذاتي للإنسان المغربي من أجل تبديد تبعيته السياسية التي أوجزها " إيميل غوتيه"[1] إلا أننا مع رأي الباحث " محمد الطاهر العدواني " عندما أوضح أن الكتابات الكولونيالية على الرقعة الجغرافية لشمال إفريقيا لم تنعم بالوحدة مبررنا في ذلك عدم وجود وحدة جغرافية، لكن الوحدة هنا و في مثل هذه الفضاءات الزمنية و المكانية يواصل الباحث السابق الذكر ، لا يمكن أن تكون وحدة بالمعنى التطابقي في كل شيء كلا ، ليس ذلك هو المعنى الوحدة ، من قال أن الوحدة تلغي التنوع و التمايز و الخصوصية؟ و الفردية ؟ أبدا ليس ذلك صحيحا و لا يمكن أن يكون كذلك[2].

و ذلك أن الوحدة في مفهومها هي وحدة المنطلقات و وحدة التوجهات و وحدة المبادئ الأساسية، و فيما عدا ذلك من المستحب و الأفضل أن تأتي البناءات متنوعة و متميزة و متخصصة. و لقد برهنت المنطقة المغاربية في نطاقها الكبير عن وحدة مطلقاتها الأزلية الأبدية ، و أن هذا التنوع و التمايز و التخصص لا يخيفنا لأنه ليس صحيحا أنه يمزقنا و يشردنا و يبددنا بل لأنه يسعدنا و يضاعف عن طاقتنا و من قدرتنا على التجديد و التجدد[3]

---

[1] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية ج1، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1969، ص ص.
(20-30).

[2] محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ و فجر التاريخ)، ج1، وزارة الثقافة و السياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص.208.

[3] نفس المرجع ، ص. 209.

2ـ التسمية و أصل السكان: أطلقت على بلاد المغرب القديم أو شمال افريقيا كما شاع استعمال المصطلحين للدلالة على نفس المنطقة الممتدة من الحدود المصرية الليبية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا و من البحر المتوسط شمالا إلى امتداد أراضي الجيتول جنوبا العديد من التسميات التي اختلفت حسب المراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة و لما كانت بعض التسميات قد أطلقت على المنطقة و على السكان معا مثل ليبيا و الليبيين ، بلاد النوميد و النوميديين بلاد المور و الموريين فقد ارتأينا تفاديا للتكرار الحديث عن التسمية و أصل السكان معا في محاضرة واحدة عنوناها بـ التسمية و أصل السكان : أما المحاضرة الثانية في هذا المحور و الخامسة في المطبوعة فقد خصصناها لتقيم أمثلة عن أسماء بعض المجموعات القبلية التي سكنت المنطقة المدروسة تحت عنوان أهم المجموعات القبلية بالمنطقة.

تتميز المصادر الكتابية المتعلقة بسكان المغرب القديم بالندرة و الاقتضاب، بل بالغموض في معظم الجوانب الخاصة بأصولهم على وجه التحديد ،حيث لاتكاد تجمع على مكان واحد قدموا منه. إلا أنها تتفق على الأقل بشأن الموقع الجغرافي[1].

حيث يحدد الجغرافيون القدامى المغرب القديم أو بلاد البربر بالمنطقة الممتدة من الحدود المصرية الليبية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والبحر المتوسط شمالا إلى امتداد الصحراء جنوبا[2]. ففي هذه المنطقة الجغرافية الواسعة تحدثت مجموعة من المؤرخين القدامى عن

[1] محمد البشير شنيتي : التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1984ص153.

[2] و من أشهر الجغارفة الإغريق : سترابون الذي خلف لنا معلومات نادرة الأهمية حول الأرض و السكان ضمن كتابه السابع من مؤلفه الجغرافيا. ثم بطليموس الذى تعد خريطته عن شمال إفريقيا من أهم الأعمال النادرة في التاريخ القديم . أما الرومان فأشهرهم بلينوس القديم صاحب كتاب التاريخ الطبيعي الذي يحتوي هو الأخر عن معلومات قيمة متعلقة بطبيعة المنطقة و سكانها . ينظر علي فهمي خشيم : نصوص ليبية ،منشورات دار مكتبة الحياة ،ليبيا،1967 ص 111 ، محمد الهادي حارش : دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة ،دار هومة الجزائر ص 191- 197 .

ظهور أولى أشكال التنظيمات الاجتماعية التي تطورت عبر الزمن لتشكل المجتمع المغاربي في صوره المختلفة طيلة الفترة القديمة. لكن الملفت للانتباه هو تساؤلهم الغريب من أين قدم قدماء المغرب القديم؟.

و قد لقي هذا التساؤل رواجا كبيرا في أوساط المؤرخين المحدثين خاصة رواد المدرسة الاستعمارية الفرنسية الذين بالغو في طرحه مما جعل المؤرخ محمد العربي عقون يعلق عليه بالقول " لم يترك مروجو هذا السؤال جهة من العالم إلا وافترضوا قدوم البربر منها "[1].وسنورد في ما يلي روايات بعض المؤرخين عن الأصول المختلفة للمجتمع المغاربي القديم التي تتراوح بين الأصول الأسطورية والشبه أسطورية والشرقية.

1 ــ 1 الأصول الأسطورية و الشبه الأسطورية : و من أشهر رواد هذا التيار المؤرخ الإغريقي الملقب بأبي التاريخ ، الذي أبدى اهتماما بجغرافية ليبيا التي اعتبرها ثالث قارات العالم القديم بعد آسيا و أوربا بقوله:" و الحق أن القارات الثلاثة ليبيا ،آسيا وأوربا تختلف عن بعضها أشد الاختلاف من حيث الحجم.[2]" و في نص آخر يقول:"يمتد ساحل ليبيا على البحر المتوسط من مصر حتى رأس صولوئيس ،و هو أقصى نقطة تسكنه مختلف القبائل الليبية إلا بعض أجزائه التي يسكنها الفينيقيين و الإغريق أما المنطقة جنوب الساحل فتحفل بالوحوش الضارية و إذا تجاوزها المرء كانت المنطقة الصحراوية.[3]"

إن الدارس لهذا النص يقف على ثلاث مجموعات بشرية ذكرها هيرودوت تتمثل الأولى في الليبيين و هم السكان الأوائل للمنطقة حتى لا أقول الأصليين لها لأنه في معرض حديثه عن القبائل الليبية تحدث عن قبيلة الماكسيز التي تسكن غرب نهر تريتون و هي من

[1] محمد العربي عقون :الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،الجزائر 2008 ص 157 .

[2] هيرودوت: تاريخ هيرودوت،تر عبد الإله الملاح،المجمع الثقافي أبوضبي الإمارات العربية المتحدة 2001 ص307.

[3] هيرودوت:المرجع نفسه، ص 147.

القبائل الأكثر تحضرا حسب رأيه بقوله:".... تسكن البيوت العادية يمارس أهلها الزراعة ... و يزعمون أنهم من نسل رجال جاؤوا من طروادة.[1]"

بينما يضيف في نص آخر له :" ....و لعلي أضيف فأقول في أمر هذا الصقع أنه مسكون من أربعة أقوام لا خامس لها .فالسكان الأصليون فيه هم الليبيون و الأثيوبيون .و الليبيون يسكنون البقاع الشمالية من البلاد بينما يسكن الأثيوبيون جنوبها.أما الوافدون فهم الفينيقيون والإغريق.[2]"

إن معلومات هيرودوت حول السكان الأوائل للمنطقة الليبية حسب النصوص السالفة الذكر تجمع على وجود أربعة مجموعات بشرية تتمثل في الليبيين و الأثيوبيين كعناصر محلية و الفينيقيين و الإغريق يمثلان العناصر الأجنبية. والتي يمكن حصرها في ما يسمى اليوم بمعلومات الأنماط أي تلك التي تتعلق بتصنيف فئات السكان حسب مواردهم الاقتصادية و أنماط معيشتهم.

حيث قسمهم إلى صنفين يتمثل الأول في البدو الرعاة و يسكنون المنطقة الممتدة من مصر حتى نهر تريتون ،و الثاني في الزراع المستقرون و يقطنون غرب النهر[3].

و من النص يمكن أن نستنتج أيضا أن هرودوت يقابل ليبيا الشرقية حيث يسكن الرحل و هي أرض منخفضة و رملية ،بليبيا الواقعة غرب تريتون وهي أرض جبلية تغطيها الغابات .و المقصود بالأرض الجبلية هي بلاد الأطلس حيث السلاسل الجبلية المعروفة ،أما تريتون فهو شط الجريد إلى خليج السرت الصغير (خليج قابس) ،الذي يمثل الحدود الطبيعية مابين نمطين من المعيشة و السكان أي ما بين البدو الرحل والمزارعين المستقرين.حيث لا

[1] هيرودوت:المرجع نفسه، ص367.

[2] هيرودوت: المصدر نفسه، ص369.

[3] محمد البشير شنيتي : المرجع السابق، ص 155 .

تزال الشطوط إلى الآن عند الجغرافيين تمثل الحد الطبيعي لإفريقيا المتوسطية.و إذ لم تكن الصدفة هي التي جمعت بين وصف هيرودوت و الجغرافيين للمنطقة فإن الطبيعة في الحقيقة هي التي على الطرفين هذا التقسيم[1].

إن ما تتضمنه نصوص هرودوت من فجوات و مغالطات تاريخية لا يعني بأنها خالية من بعض الحقائق الأمر الذي جعلها المنطلق الأساسي لدى علماء الأنثروبولوجيا في دراساتهم حول الليبيين القدامى . حيث انطلق المهتمون بعلم خصائص الشعوب و الأجناس البشرية في شمال إفريقيا من نصوص هرودوت و أثبتوا صحة ما جاء فيها خاصة فيما يتعلق بأسماء بعض القبائل و مواطنها و عاداتها و تقاليدها [2].

لكن القسم الأكبر من معلوماته تراوحت بين الخرافة و الأسطورة.و لعل طرحه حول أصل بعض القبائل المنتمية إلى الجنس الليبي الأصيل في المنطقة حيث عاد بها إلى أصول أجنبية كقبيلة الماكسيز السالفة الذكر. و السؤال المطروح كيف تجمع هذه القبيلة بين الأصلين المحلي و الأجنبي في آن واحد؟.

يبدو أنه ما من تفسير منطقي لرأي هرودوت سوى أنه يحاول الربط بين شعوب البلاد الليبية و بعض سكان المناطق الإغريقية من خلال إرجاع أصول القبائل الأولى بالمنطقة إلى الأصل الطروادي شأنه في ذلك شأن المؤرخ سالوست ما سنتطرق في العنصر الموالي

2 ــ رواية سالوس : أورد هذا المؤرخ في كتابه حرب يوغرطة رواية من سكان المغرب القديم جاء فيها" يتمثل السكان الأوائل لإفريقيا في الجيتول و الليبيين وهم عمالقة متوحشون يتغذون على لحوم الحيوانات الضارية أو على الأعشاب في شكل مجموعات لا يحكمهم

[1] محمد العربي عقون: المرجع السابق ،ص 187 .

[2] محمد البشير شنيتي : المرجع السابق، ص 155 .

عرف ولا قانون و لا زعيم ، يعيشون متجولين و مغامرين لا يتوقفون إلا عندما يداهمهم الليل.[1] "

يؤكد سالوست على ذكره هرودوت بشأن السكان الأوائل للمنطقة من حيث تسميتهم و حال معيشتهم ،إذ يجمع المؤرخان على إلحاق أقبح الصفات بهم بينما يختلف الأول مع الثاني بالنسبة للعناصر الوافدة إلى المنطقة حيث يشير في نص آخر له :" ....عبور كل من المديين و الأرمن و الفرس إلى إفريقيا بعد مقتل قائدهم هرقل في إسبانيا و هو رأي الأفارقة على الأقل حسبه ...اختلط الفرس بالجيتول تدريجيا عن طريق المصاهرة و كانوا يتنقلون كثيرا في محاولة منهم للعثور على بلد مناسب للعيش لذلك سموا أنفسهم نوماداس و هو الاسم الذي بقي إلى الآن . بينما انضم المديين و الأرمن إلى الليبيين لأنهم يقيمون قرب البحر الإفريقي و شيئا فشيئا حرف الليبيين اسم المديين ليأخذ في لغتهم البربرية صيغة مور.[2]"

يقدم سالوست بشأن أصل النوميد و المور رواية تبدوا أسطورية مما يدفعنا للتساؤل عن العلاقة بين الشعبين السابق الذكر و العناصر الوافدة ؟. الأمر الذي جعل المؤرخين المحدثين يوجهون لها انتقادات عديدة و يشككون في مدى صحتها .

على الرغم من ادعاء سالوست بأنه نقلها عن وثائق بونية تضمنتها كتابات الملك النوميدي هيمصال على رأسهم المؤرخان الجزائريان محمد الصغير غانم و محمد العربي عقون هذا الأخير الذي تساءل باستغراب شديد عن وجود علاقة تجمع الفرس و المديين بأعرق الاتحادات القبلية الليبية القديمة النوميد و المور الإشكال الذي لم يجد له تفسيرا لا في المصادر الأدبية الأحادية النظرة و لا حتى في الأدلة الأثرية المكتشفة لاحقا[3].

[1] Salluste ;Guerre De Jugurtha ,éd Les belles lettres, Paris1974, XVIII ,p 152.

[2] Salluste ; Ibid, XVIII ,p 153.

[3] محمد العربي عقون : المرجع السابق ،ص . محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص187.

وعليه فإذا كنا نؤمن بوجود التأثيرات الحضارية الشرقية و الغربية في الحضارات المغاربية القديمة فهذا لا يعني بالضرورة ربط أصول سكان المنطقة بأولئك القادمين من مناطق مختلفة عبر مراحل تاريخية معينة .

لقد خلف لنا المؤرخ الفرنسي ستيفان غزال قائمة بما ورد في المصادر القديمة عن أصول سكان شمال إفريقيا جاء فيها :ـ تحدث الجغرافي الإغريقي سترابون عن الأصول الهندية للموريين الذين قدموا إلى ليبيا مع هرقل.

ـ في حين أشار فلافيوس يوسيفيوس إلى الأصول الشرقية للجيتول،حيث تحدث عن خروج العبرانيين من مصر إلى فلسطين انطلاقا من سفر التكوين. ذاكرا أن أحد أبناء كوش و هو (Euilas إيلاس) و هم الجيتول[1]. و أن إبراهيم Euilaioi) هو أب الايويلايون(Ophren و ( ) استعمر ليبيا وأن أبناءه هم الذين أطلقوا اسم إفريقيا على الشمال الإفريقي في رواية أخرى ذكر أن ابني إبراهيم أفراس و إفرا دخلا ليبيا مع هرقل و أطلقوا اسمهم على مدينة دافرى و كامل المنطقة إفريقيا[2].

ـ كما أورد ديودور الصقلي الى مدينة ميشلا أو مسكيلا (Mescela) التي يحتمل أن تكون في شمال غرب تونس أو شمال شرق الجزائر،أثناء حديثه عن حملة أغاتوكليس.

و كذلك هيكاتوس الذي ذكر مدينة باسم كيبوس (Cybos) في ليبيا الخاصة بالفينيقيين أسسها الأيونيين بالقرب من إحدى الهيبونيتين (بنزرت أو عنابة) .

[1] St Gsell ; Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord, TI éd, Otto Zeller Verdage Osnabrück, 1972.

[2]St Gsell ; Ibid , 338.

أما بلوتارك فقد ذهب إلى أن قسما من الليبيين و الموكنيين فقد تركهم هرقل في إقليم طنجة و معتمدا في ذلك على الملك يوبا. وقد وافقه الرأي بطليموس الذي ذكر رواية شبيهةبروايته[1].

1 ــ2 الأصول الشرقية (الكنعانية):من أبرز مؤرخي هذا التيار :

1 ــ 2 ــ1 رواية القديس أغسطين :يذكر لنا القديس في إحدى رسائله إلى روما جاء فيها مايلي: " إذا سألتم أهل البادية من النوميديين عن أصلهم أجابوك نحن كنعانيون." متلفظيين بهذه العبارة محرفة عن أصلها بقلب الكاف شينا. و هذا النطق معروف في اللغتين الكنعانية و الليبية و حتى في بعض جهات البربر اليوم ، و يذكر القديس في موضع بأن هؤلاء النوميد يتحدثون البونية و لا يفهمون اللاتينية مما حتم على الوعاظ و المبشرين الاعتماد على المترجمين لنشر المسيحية بينهم [2].

الحقيقة أن النص يحتمل أكثر من قراءة لذا تعددت في نظرنا آراء المؤرخين حول استعمالهم له ،فقد جعل منه محمد البشير شنيتي نصا بالغ الأهمية للتدليل على الأصول الشرقية الكنعانية للنوميديين من خلال انتسابهم الصريح لهم و تمسكهم بلغة الأجداد رغم المحيط اللاتيني الذي يحاصرهم منذ أكثر من خمسة قرون . و دليل ذلك حسب رأيه أن القوم لم يدعو لأنفسهم نسبا لأمم كان مجدها قائما بينهم كالأمة الرومانية أواليونانية[3].

بينما يختلف معه في ذلك المؤرخ محمد العربي عقون الذي حمل النصوص القديمة مسؤولية الفكرة التقليدية القائلة بأن الشرق هو الموطن الأصلي للشعوب و أنه العنصر الشرقي هو الذي عمر شمال إفريقيا . و قد تحولت هذه الفكرة حسبه إلى كلام معاد و

---

[1]St Gsell ; Ibid , 344.

[2] محمد البشير شنيتي :أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث و دراسات،دار الحكمة الجزائر 2003 ص 150 .

[3] محمد البشير شنيتي : المرجع نفسه ،ص150 .

مألوف .و أن هذه العبارة الأغسطينية كانت محل نقاش كبير فهل كان سكان أرياف هيبون لا يزالون يتكلمون لهجة بونية بعد أكثر من خمسة قرون بعد سقوط قرطاج؟. و هو ما جعل البعض حسب رأيه يستنتج بأنها مثل كلمة عربي في أدبيات الاحتلال الفرنسي التي تعني كل سكان الشمال الإفريقي أي البربر[1].

كما يمكننا قراءة النص من زاوية أخرى كأن نقول بأن التأثير الكبير للحضارة القرطاجية و السلم الاجتماعي لذلك الشعب من جهة و وحشية الاستعمار الروماني الذي لم يترك لا الأرض و لا الشعب من جهة ثانية هو الذي دفع بسكان البادية للقول بأنهم كنعانيون أي بونيون ،تحديا صريحا منهم للاستعمار الروماني الذي لم يترك مجالا إلا وحاول قهر الشعب فيه من خلال سياسة الرومنة[2].

أما بالنسبة للأدلة اللغوية التي اعتمد عليها اللغويين في مقارباتهم بين اللغة الليبية و نظيرتها الفينيقية و جعل اللغة الليبية لغة سامية فهذا في اعتقادي ليس دليلا كافيا لجعل المجتمع المغاربي القديم ذو أصول شرقية بقدر ما هو دليل على التفاعل الحضاري القائم بين المنطقتين منذ أقدم العصور و هذا ما تكرسه الوحدة الجغرافية من خلال المعابر والحضارية الكبرى التي تربط المنطقتين.

1ـ 2 ــ 2 رواية بروكوب :

كان بروكوب قد جاء إلى إفريقيا في القرن السادس (6 م) مع الحملة البيزنطية التي قادها بليزار و خليفته سولومون الذي قاد معارك في الجنوب الشرقي من قسنطينة أين تقع مدينة تيجسيسTigisis (عين البرج حاليا) التي يوجد بها نصبين من المرمر بالقرب من

[1] محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص 190.

[2]محمدالبشير شنيتي : أضواء على تاريخ الجزائر... ص 157 .

الينبوع يحملان كتابة منقوشة بحروف فينيقية مضمونها "نحن القوم الذي فروا من بطش يوشع بن نون."[1]

لقد نقل لنا المؤرخ محمد الهادي حارش نصا نقله عن بروكوب يشير فيه إلى الهجرة الجماعية للشعوب التي كانت تسكن الساحل السوري بعد فتح أرض الميعاد من طرف يوشع. و قد حاولوا الاستقرار في مصر لكن اكتظاظها بالسكان دفعهم للاتجاه غربا نحو ليبيا وتوسعوا فيها من حدود مصر إلى أعمدة هرقل، فأسسوا عددا من المدن التي مازال سكانها يتكلمون اللغة الفينيقية . كما أسسوا أيضا حصنا في نوميديا حيث توجد الآن المدينة المسماة تيجسيس مكان وجود النصبين السالفين الذكر[2].

كما أورد لنا نفس المؤرخ نصا آخر تحدث فيه بروكوب عن علاقة الوافدين الجدد أي الفينيقيين بمن سبقهم من أجدادهم قائلا:"كانت تقطن إفريقيا قبل وصولهم شعوب كانت موجودة منذ عهود قديمة ،هم أبناء البلاد ،و من هنا أعطي اسم ابن الأرض لملكهم أنتيوس (Anté) الذي استعان به هرقل في الصراع ضد قليبية (Clipea). لاحقا الذين قدموا مع ديدون من فينيقيا جاؤوا لملاقاة سكان إفريقيا الذين تجمعهم بهم رابطة الدم .و بموفقتهم أسسوا قرطاجة و أقاموا فيها ...تنامت قوة قرطاجة و حاربت جيرانها الذين وصلوا الأوائل من فلسطين و يسمون الآن **الموريطانيين**. "[3]

يرى المؤرخ محمد البشير شنيتي أن الهجرات التي تحدث عنها بروكوب قد في ظروف قهرية موضوعية منها الضغط العبري على فلسطين بعد حادثة الخروج من مصر و ظهور حركة شعوب البحر،التي أحدثت تغيرات واضحة في الخريطة البشرية بآسيا الغربية ببلاد الشام على الخصوص ،و ما صاحبه من تطور في صناعة الأسلحة الحديدية ،و بناء السفن

[1]St Gsell ; Op.cit. p 304.

[2]محمد الهادي حارش :المرجع السابق، ص 195 .

[3]نفسه،ص 196.

و ركوب البحر مما أدى بهم الى البحث عن مجال تعويضي في بلاد المغرب. و من جهة أخرى ليس مستبعدا أن تكون الروايات العربية عن أصول البربر قد نقل أصحابها عن المصادر المسيحية و اليهودية بعد أن أسلم الكثير منهم[1].

لكن في اعتقادي أن تلك الهجرات البشرية التي تحدث عنها بروكوب و القادمة من فلسطين عبر أزمنة مختلفة إلى بلاد المغرب التي حكم عليها بالفراغ مسبقا من دون دليل كاف ليجعل من القادمين السكان الأصليين وهم الموريطانيين حسبه ليس دليلا قويا لأن هؤلاء المور ينحدرون من سلالة محلية و المعطيات الأنثروبولوجية تبين ذلك.

1 ـ 2 ـ 3 الروايات العربية:

يبدوا أن ما جاءت به المصادر الإغريقية و الرومانية قد وجد صدى لدى النسابة العرب الذين قال عنهم المؤرخ محمد العربي عقون: "... أنهم مبتدعو أنساب وهمية في بلاد لم تعرف شيئا اسمه الحالة المدنية ، وأكبر أولائك المؤرخين بن خلدون الذي لم يسلم هو الآخر من هذه الطريقة التي اتبعها مؤرخو القرون الوسطى الذين كثيرا ما كانوا يبتدعون لأنفسهم شجرة نسب شرقية."[2]و سنورد فيما يأتي ثلاثة روايات لكل من البكري ، المسعودي ، بن الكلبي وبن خلدون.

ـ **أبو عبيد البكري و المسعودي و بن الكلبي** : اللذين كرروا رواية المؤرخ البيزنطي بروكوب حيث تحدثوا جميعا البربر القادمين من فلسطين بعد أن أجلاهم اليهود عنها كسكان أصليين للمغرب القديم .

[1]محمد البشير شنيتي : أضواء على تاريخ الجزائر... ص ص 151 ،152 .

[2]محمد العربي عقون: المرجع السابق ،ص ص190 ،191 .

ــ **عبد الرحمان ابن خلدون:** ذكر هو الآخر بأن البربر من نسل كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. كما تحدث أيضا أصل كل من قبيلتي كتامة و صنهاجة اليمني، حيث ربطهما ببني حمير بن سبأ[1].

و في الأخير يمكننا أن نستنتج الأهمية الكبيرة للشعب المغاربي القديم و أرضه لدى الأمم الأخرى ، فقد حاولت كل مجموعة كما رأينا ربط أصله بها ليس حبا في المغاربة بقدر ما هو خدمة لمصالحها التي تقتضي نفي الأصالة عن هذا الشعب فوق أرضه. الأمر الذي شجع مجموعة من المؤرخين المحدثين على صياغة فرضيات عديدة أقل ما يقال عنها أنها غير موضوعية. في محاولة منهم لخلق مشكلة **الهوية** لدى سكان بلاد المغرب خاصة خلال الفترة الاستعمارية وحتى بعد الاستقلال.

2 ــ فرضيات المؤرخون المحدثون :

لقد حاولوا جاهدين تمرير فكرة حق الجميع في التواجد بهذا البلد انطلاقا من فرضية قائمة على أن جميع العناصر البشرية المشكلة للمجتمع المغاربي قد جاءت من أماكن مختلفة عن طريق الهجرة ،وعليه جعلها تفكر بأنها أجنبية فوق أرضها مما يسهل عملية اقتلاعها من جذورها . أو خلق حب انتمائها لعنصر بشري معين، و لما لا يكون العنصر المستعمر ذاته حتى يبرر وجوده بهذه الأرض التي يعتبرها أرض أجداده و أسلافه[2]. و بناء على ذلك يمكن تقسيم هذه الفرضيات إلى مجموعتين : فرضيات الأصول الشرقية الآسيوية و فرضيات الأصول الغربية الأوروبية .

[1] بن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأو الخبر في أيام العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مج 6 منشورات دار الكتاب اللبناني 1968 ،ص ص178، 179 .

[2] محمد العربي عقون : المرجع السابق ،ص191 .

2 ـ1 فرضيات الأصول الشرقية : لقد اعتمد المستشرقون على ماورد في المصادر العربية لإصبات الأصول المشرقية للبربر.حيث ذكر لنا المؤرخ الفرنسي ستيفان قزال نقلا عن موفر(Movers)الذي أيد روايتي كل من سالوست و بروكوب في عبور الكنعانيين الفارين من العبرانيين إلى إفريقيا في سفن الفينيقيين، حيث اختلطوا بالليبيين الأوليين(وهم أسلاف الفينيقيين) و احترفوا الزراعة ،و هم الذين عرفوا فيما بعد بالليبو- فينيقيين المذكورين في النصوص القديمة[1].

كما أشار وينكلار (Winckler) الى أن الهكسوس و هم من سوريا قد دخلوا إفريقيا و امتزجوا مع الليبيين .في حين ذهب كارل غيتي (Carl Ritter) إلى إثبات الأصل الهندي للبربر معتمدا على رواية سترابون التي جاء فيها اسم البربر قريب من اللفظ وارور (Warwara) الذي يطلق على سكان منطقة دكن (Dekhan) و هو مطابق لاسم مدينة باربرية القديمة الموجودة على الساحل الصومالي الذي يربط ببلاد اليمن و من ثمة إلى الهند. و يتطابق أيضا مع مصطلح البرابرة الذين يعيشون مابين الشلال الأول و الرابع للنيل[2].

بينما دافع برثولون(Bretholon) عن فرضية الأصل الإغريقية الإيجية من خلال حديثه عن العلاقات التي تجمع سكان الساحل الإفريقي و هم البربر بالشعوب القاطنة في الجزر و عل السواحل الإيجية منذ عصر البرونز خلال الفترة الممتدة من 200 ألف ـ 300 ألف سنة قبل الميلاد. و قد أحصى المؤرخ عددا من المفردات و الأسماء البربرية التي يرى فيها الأصل الإغريقي السابق للعصر الهليني[3]. و قد أنجز أيضا عملا هاما بعنوان أبحاث أنثروبولوجية في البربرية الشرقية دعم فيه آراءه بأدلة أنثروبولوجية و إثنولوجية و من النتائج

[1] St Gsell ; Op.cit. p 342 .

[2] St Gsell ; Ibid, p337.

[3] St Gsell ; Ibid, p347 .

التي توصل إليها هي عودة الفخار البدائي في تونس الشرقية إلى عصر الدولمان و هو خاص بقبائل إغريقية إيجية . في حين عاد بنماذج من فخار جربة و نابل إلى قبرص. وقد علق عليه الباحث التونسي محمد حسين فنطر بقوله :"لقد بالغ الباحث في فرضيته لدرجة الهذيان[1]."

2ـ2الأصول الغربية الأوروبية:

يبدوا أن الأسلوب الذي اتبعه أصحاب الفرضيات الأولى و هو المقاربات اللغوية لم يكن كافيا للإجابة على الإشكال المطروح حول أصول سكان المغرب . لذا اتجه أصحاب المجموعة الثانية للبحث عن الأدلة الأثرية كدليل على الأصول الأوروبية لنفس السكان و قد انقسمت هذه الأحيرة الى ثلاثة فرق نادت الأولى منها بالأصول الغالية للمعالم الميغاليتية و نفس الشيء بالنسبة للسكان . بينما ذهبت الثانية للقول بالأصول الشمالية. في حين رأت الثالثة انتماءهم للأصول الإبيرية.

شهد القرن التاسع عشر(19 م) حركية مشهودة للبحث عن آثار ما قبل التاريخ من طرف باحثين و عسكريين و أطباء فرنسيين عن طريق القيام بالحفريات التي أجري عدد كبير منها في المقابر الميغاليتية بالشرق الجزائري و تونس الوسطى .نذكر منهم الباحث الفرنسي شاو(Shaw) الذي أشار الى مدافن بني مسوس بالجزائر العاصمة[2]. كما قدمها الجراح قيون على أنها مطابقة تماما للنصب الدرويدية التي شاهدها في سومور و جهات أخرى من فرنسا . مما جعل بعض الأثريين ينسبونها إلى الغاليين الذين كانوا في الفيالق الرومانية.

إن البحث عن مبرر للاستعمار الفرنسي للجزائر دفع بالكثير من الباحثين إلى البحث آثار مطابقة لتلك الموجودة في شمال إفريقيا (في الجزائر على وجه الخصوص) في كامل

[1]محمد العربي عقون : المرجع السابق ،ص194 .

[2]. Shaw ; Voyages Dans Plusieurs Provinces De La Berbère 1843 P 150

البلدان المطلة على البحر المتوسط.و يعتبر المستشرق فيرو (Féraud) من أبرز المروجين لهذه الفكرة حيث أكد على الأصول الغالو- رومانية للمقابر الميغاليتية الشمال الإفريقية[1].

لقد ازداد حماس الباحثين الفرنسيين بشأن إثبات الأصل السيلتي أي الفرنسي لدولمان الجزائر،أدى إلى ظهور فكرة أخرى مضمونها أن دولمان شمال إفريقيا تعود إلى فترة سابقة للسيلتيين و الغاليين. إذا فاستمرار هؤلاء في اعتبار الدولمن إنتاج حضاري أوروبي متفق عليه ،فإن لم يكن من فرنسا فقد يكون من شمال أوروبا. وهو رأي الفرقة الثانية المنادية بالأصول الشمالية ،و المبتدعة لفكرة شعب الدولمن الذي نزح على مراحل من آسيا إلى أوروبا الشمالية فالجزر البريطانية ثم بلاد الغال و منها إلى شمال إفريقيا معتمدين عل المعطيات الإثنولوجية.

حيث وجدوا في المميزات الفيزيولوجية سببا لادعائهم . وهو تميز أفراد بعض قبائل المناطق الداخلية الجبلية باللون الأشقر و العين الزرقاء، إضافة إلى أنهم يتحدثون إحدى لهجات اللغة البربرية ،و بالتالي فهم امتداد واضح لقدماء الشمال الإفريقي حسبهم[2].

يبدو أن أصحاب هذه المجموعة قد عجزوا عن إقناع غيرهم من خلال الرأيين السابقين فاتجهوا لرأي ثالث يمثل الأصل الإيبيري . محاولين إثباته بشتى الوسائل الممكنة نذكر منها لجوءهم لمقاربة أسماء المناطق الجغرافية الموجودة على ضفتي البحر المتوسط حيث قدم الباحث دوزانج (Desanges) جردا لبعض الأسماء في لغة الباسك القريبة من البربرية التي منها كلمة (Ibères) وهي تصغير لباربار(ber_ ibéres)[3] .

[1]Camps, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques , pris 1968 , p 15.

[2]محمد العربي عقون : المرجع السابق، ص 195.

[3] محمد العربي عقون: المرجع نفسه ،ص 196.

و مع تعدد هذه الفرضيات و انتشارها فإن الإشكال الخاص بأصول سكان المغرب ظل قائما بين الباحثين المهتمين بهذا الموضوع بالرغم ظهور معطيات أنثروبولوجية جديدة ترجع بسلم الزمن إلى آلاف السنين و بالضبط إلى العصر الحجري القديم الأسفل حيث عثر على بقايا إنسان منها عظام الفك السفلي التي وجدت في رملية تغنيفين بالقرب من معسكر . وقد عرف بإنسان باليكاو نسبة للموقع الذي عثر على بقاياه فيه و هو ينتمي على الأرجح إلى الإنسان الموريتاني الأطلسي[1].

أما إذا انتقلنا إلى العصر الحجري القديم الأوسط فإن بقايا إنسان الحضارة العاترية التي عثر عليها بموقع هوافتيح بليبيا تحيط به بقايا الأدوات العاترية،مما دفع بعض الباحثين للقول بأن الموقع الليبي المشار إليه يمثل حلقة وصل بين شمال إفريقيا و آسيا الغربية لا سيما إذا أضيفت إليهما مواقع الواحات المصرية الواقعة غربي النيل . و الجدير الذكر أن أغلب الدراسات التي عالجت هذا الموضوع أشارت إلى أن الإنسان الذي صنع الحضارة الموستيرية بأوربا و العاترية بشمال إفريقيا هو إنسان نيوندرثال الذي تعود أصوله الباكرة إلى فلسطين[2]. و قد اكتشفت له مواقع أخرى منها موقع دار السلطان بالمغرب الأقصى و من هذا الإنسان العاتري يكون قد انحدر الإنسان المشتوي[3].

بينما تمثلت بقايا إنسان العصر الحجري القديم الأعلى في صانعي بقايا الحضارتين الابرومغربية و القفصية في شمال إفريقيا . و يميل أغلب الباحثين النثروبولوجيين الى القول بأن صانعي الحضارتين السابقتي الذكر هو الإنسان المشتوي (كرومانيون) التي توجد بقاياه في كل المنطقة الساحلية و التلية و هو معاصر للماغداليني (Magdalénien)و الأزيلي (Azilien)الأوروبيين .و قد حاول الباحثون الأوربيون أن يجدوا لإنسان المشتى أصلا

[1] L, Ballout, Préhistoire de l'Afrique du Nord, Paris 1955, p6.

[2] محمد الصغير غانم: مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم ،دار الهدى ،عين مليلة ،2005 ،ص 48 .

[3] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 199 .

خارجيا أي أوروبيا كرومانيونيا للشبه الكبير بينهما و أنه دخل إفريقيا عبر مضيق جبل طارق بإسبانيا،بينما اعتقد آخرون بإنحداره من الإنسان العاقل الذي ظهر في فلسطين [1].

يبدوا واضحا أن الروايات الأسطورية للمؤرخين القدامى تلاحق الأبحاث العلمية لإثبات الأصل الأوروبي أو الشرقي لقدماء البربر. مما دفع المؤرخ محمد العربي عقون لتساؤل و البحث عن قواسم مشركة بين الإنسان الناطوفي (Natoufien proto méditerranéen) و المشتوي (Technoïde) ،و لو كان هذا الأخير من أصول ناطوفية فكيف لا يترك أثرا أنثروبولوجيا و لو قليلا هناك ؟ لتبقى في الأخير فرضية الأصل المحلي التي يؤيدا المنطق وراء تقبل بعض المختصين مثل فريمباخ (frembach) و شاملا (M. C.Chamla) فكرة وجود سلالة مباشرة مستمرة من نيوندرتاليين الشمال إفريقيين (إنسان جبل آرحود) إلى الكرومانيونيين و يكون الإنسان العاتري حلقة الوصل بينهما حسب رأيه[2].

أما الإنسان القفصي ذو الملامح المتوسطية فهو جنس لا تزال جماعات عديدة من شعوب البحر المتوسط تحمل ملامحه (متوسط القامة1,75م للرجال و 1,62م للنساء تناسق في أقسام الوجه ،أنف مستقيم كما توضح الصورة الموالية) [3]. و الذي يحمل المغاربة الحاليون خصائصه ، فبعض هؤلاء المتوسطيين يمتاز بالنحافة و البعض الآخر بالبنية القوية . و هذان النوعان لا يزالان ينتشران في كل جهات الشمال الإفريقي،يتوزع النوع الأول منه (النحيف)في المنطقة التلية الساحلية بينما ينتشر الثاني (القوي) بالمناطق الداخلية و الصحراوية و عند بدو البربر الرحل[4].

[1]محمد العربي عقون: المرجع نفسه، ص ص 199 ، 200 .

[2]نفسه ،ص 200 .

[3]محمد الصغير غانم:المرجع السابق، ص 49.

[4]محمد العربي عقون :المرجع السابق،ص 200.

و في الأخير يمكننا أن نستنتج ما يلي: ـ إن الدارس لجغرافية بلاد المغرب القديم المتصلة بأكثر المناطق تحضرا في العالم القديم، قد سمحت بهجرة عدد كبير من الشعوب إليه. و ذلك عبر طرق كثيرة أهمها ممر سيناء، و طرق اليمن و الحبشة و مجازات البحر الأحمر بالنسبة للقادمين من الشرق برا و بحرا. و البحر المتوسط و أعمدة هرقل بالنسبة للقادمين من الشمال (أوروبا). فكانت حصيلة هذه الهجرات عبر أزمنة مختلفة تراكما بشريا صعب على المؤرخين القدامى وضع خريطة بشرية للمغرب القديم، فدخلوا في دوامة البحث عن أصول هذا الشعب.

ـ و حاول كل واحد منهم ربط أصله بأصلهم خدمة لمصالحهم الاستعمارية، لأنه لا يخفى على أحد أن معظم المصادر القديمة إغريقية و رومانية أي أجنبية، و بالتالي فكتاباتهم عن المنطقة جاءت في سياق حديثهم عن حروبهم فيها. بدء من هرودوت الذي تحدث عن حملة هيرقليس على مصر و منها إلى ليبيا . ثم سالوست الذي أشار إليهم هو الآخر في معرض حديثه عن حرب يوغرطة وغيرهما كثير .

ـ إذا تفهمنا حيرة المؤرخين القدامى الذين أبدعوا في نسج أساطيرهم المختلفة حول أصول سكان بلاد المغرب في غياب الأدلة الأثرية و عدم تحكمهم في قراءتها من جهة و سيطرت النزعة الاستعمارية التقليدية على أذهانهم البسيطة. فلا يمكننا إغفال مدى تعصب المؤرخين المحدثين الذين انطلقوا من تلك الروايات و حاولوا إثباتها بشتى الوسائل و الطرق الممكنة . لذا لم يتركوا الأدلة الأثرية تدل على نفسها بل جاءت قراءاتهم لها وفق ما تقتضيه مصالحهم الاستعمارية لدرجة أن الكثيرين منهم لم يكتفوا بصياغة فرضيات خيالية أو شبه خيالية حول أصول سكان المغرب ،بل حكموا عليهم بالوحشية و التخلف و العجز عن التطور إلا بتدخل أجنبي .

المحاضرة الخامسة: أهم المجموعات السكانية في بلاد المغرب:

يعتبر كتاب التواريخ للمؤرخ هيرودت أول مصدر كتابي تحدث عن ليبيا كمنطقة جغرافية ممتدة من واللوبيين كوحدة عرقية بالرغم من تعدد عناصرها القبلية بخصوصياتهم المتمثلة في اختلاف طرق المعيشة والعادات و التقاليد. حيث خص بالذكر قبائل القسم الشرقي من ليبيا و هي كالأتي:

1ـ الناسمون: و هم من أكثر القبائل الليبية عددا، و جرت عاداتهم على ترك ماشيتهم في الصيف ترعى عند الساحل بينما هم يمضون غالى واحة أوجلا للعمل في جني التمور . و من عاداتهم أن يقيم الرجل عند زواجه حفلا يتعاقب فيه ضيوفه على عروسه و يقدمون لها الهدايا قبل أن يدخل هو بها[1].

2 ــ الجيليجامس: تزين نساء هذه القبيلة كواحلهن بعقد من الجلد، حيث تصنع كل واحدة منهن حلقة من الجلد عن كل رجل اتصلت به و تشتهر تلك التي تضع أكبر عدد من الحلقات بأنها خير نساء القبيلة لأنه أحبها أكبر عدد من الرجال[2].

و كلتا القبيلتين حسب هيرودوت تقطنان شرق بحيرة تريتون ، و هي من قبائل البدو الرحل الذين يتغذون على لحوم الحيوانات و الأعشاب.أما غرب هذه البحيرة فيقطن الصنف الثاني من القبائل الليبية المستقرة و نذكر منها:

3 ــ الماكسيز: و هي من القبائل التي تسكن البيوت العادية و يمارس أبناؤها الزراعة. يطلقون شعورهم على الجانب الأيمن من الرأس و يحلقون الطرف الأيسر،و لهم صبغ أجسامهم و يزعمون أنهم من نسل رجال جاؤوا من طروادة[3].

[1] هيرودوت: المصدر السابق، ص 361.

[2] المصدر نفسه،ص162.

[3] المصدر نفسه،ص167.

4 ــ الزاويس:و هم الذين تقود نساؤهم العربات إلى الحرب و بعدهم تأتي قبائل الجيزانت و بلادهم غنية بالعسل[1].و غيرها من القبائل المستقرة التي تختلف ليس عن الأولى في نمط معيشتها باتخاذها للبيوت مساكن تأوي إليها ،و اعتمادها على نفسها في إنتاج ما تستعمل من طعام عن طريق الزراعة فحسب بل في عاداتها و تقاليدها التي تبدوا أكثر تحضرا من الأولى.

و بناء على ذلك يمكننا اعتبارها نواة لظهور الشكل الأول من أشكال التجمع السكاني في صورته المتطورة إذا مقارناه بالصورة البدائية السالفة الذكر.ألا و هو نموذج الحياة القروية البسيطة.

و الملاحظ من استنتاجات الأثريين أن السكان منذ القدم كانوا يختارون أماكن تمركزهم القروي في مواقع جد إستراتيجية تتوفر على جميع الظروف الملائمة للعيش الكريم. و هي الحصانة الطبيعية للموقع أي في المكان الذي يساعدهم على حماية ممتلكاتهم في حال تعرضهم للخطر، و كذا وفرة الماء أي بجوار الينابيع حتى يكون تزودهم بالماء أمرا يسيرا.و هي الشروط الأساسية في تخطيط القرى و المدن[2]. حيث يرى المؤرخ لويس ممفورد أن الحياة المستقرة في القرية تمتاز على مختلف أشكال الحياة في جماعات صغيرة مفككة الروابط بأنها كانت تهيأ أقصى الوسائل الملائمة للتكاثر، التغذية ، الوقايةو هو الذي جعل الحياة الحضرية أمرا ميسورا[3].

و قد ظل الشكل الأول للتنظيمات الاجتماعية ببلاد المغرب القديم أي القبيلة مستمرا فترات طويلة من الزمن عرفت خلالها القبائل المغاربية تطورات كبيرة في مختلف الجوانب

---

[1] المصدر نفسه، 168.

[2] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 179.

[3] لويس ممفورد:المدينة على مر العصور أصلها و تطورها و مستقبلها ،ج1 ، تر إبراهيم نصحي ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، 1964. ص20.

الحياتية الاجتماعية الاقتصادية منها و السياسية لتظهر في شكلها الثاني و هو الكنفدراليات (الاتحادات)القبلية ابتداء من نهاية القرن الرابع و بداية القرن الثالث إلى غاية القرن الثاني.

5 ـ **النوميد في الشرق:** لا ندري بالضبط متى انقسم النوميد إلى قسمين ماسيل في الشرق (المملكة النوميدية الشرقية و عاصمتها سيرتا) و ماسيسيل في الغرب (المملكة النوميدية الغربية و عاصمتها سيقا) ،لكن ظهورهم في خريطة المغرب السياسية كان على لسان مؤرخي القرن الثاني (2 ق.م)كشعب كبير ذو سيادة على أوسع رقعة ممتدة من حدود قرطاجة شرقا إلى نهر ملوشة غربا[1].

هذه القوة السياسية هي المملكة النوميدية الموحدة التي امتدت حدودها الشرقية في عهد ماسينيسا (103ـ148 ق.م)إلى السرت الكبير ،لكنها سرعان ما أخذت في التراجع بعد وفاة ابنه ميسبسا 118 ق.م في أعقاب الانقسام و الصراع على العرش الذي كانت لروما يد فيه حيث عملت على تقليص حدودها و ضم أجزائها الغربية إلى مملكة موريطانيا (موريزيا).ثم إنه ابتداء من سنة 40م كون الرومان من الإقليم الممتد من الوادي الكبير (Ampasaga) شرقا الى واد الملوية غربا ولاية موريطانيا القيصرية و أصبح سكان هذا الإقليم يدعون بالموريين في مصطلح الإدارة الرومانية[2].

و عن أصول النوميد و مدلول تسميتهم فإن خلو المصادر الإغريقية الباكرة منه قد جعله محل نقاش كبير من المؤرخين من خلال عديد المقاربات اللغوية . و إذا كان سترابون قد اعتبره مشتقا من الكلمة الإغريقية نوماداس (Nomadas)التي تعني البدو الرحل[3]، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يعتبر هذا اللفظ مشتق من نوماداس مع أن الذين يطلق عليهم هم مزارعون مستقرون؟.

---

[1] محمد العربي عقون:المرجع السابق،ص 159.

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية ...ص162.

[3]محمد العربي عقون:المرجع السابق،ص 158.

يبدو سترابون لا يفرق بين مدلول عبارة نوماد و نوميد معتقدا أن التسمية نمطية أي أنهم تسموا بذلك لأنهم كانوا بدوا رعاة أرغمتهم الحيوانات الضارية على ترك الفلاحة و اتهان الرعي. باستثناء بوليب الذي استعمله للدلالة على كيان سياسي محدد و على شعب معين له خصائصه و نظمه.الظاهر أن بوليب قد استقى هذا المفهوم من الوثائق الرومانية الرسمية التي ظهر فيها مدلول عبارة نوميديا بهذا المعنى ابتداء من القرن الثالث الذي شهد حروبهم ضد القرطاجيين.

أما الوثائق الأثرية المتعلقة بأصول هذه التسمية و مدلولها فهي نادرة و مقتضبة ،و أقدمها ما جاء في النقوش المزدوجة اللغة (ليبية- بونية أو بونية - لاتينية) و التي توحي بالأصل المحلي لها .و النقوش اللاتينية غنية بأسماء الأشخاص المنتمين إلى هذا الشعب الذي حافظ أفراده على هويتهم النوميدية و يظهر ذلك في ألقابهم التي احتفظت بها النصوص الأثرية[1].

كما بقي اسم نوميديا يطلق على قبيلة بناحية تاقاست(Tagaste) سوق أهراس حاليا و على المدينة المركزية لها و هي تيبرسكو النوميدية (Tubursicu numidarum). و يذكر لاسير حوالي عشرون موقعا أثريا تضمنت نقوشها أسماء نوميدية[2]. و هذا ما يوضحه الشكل الموالي:

[1] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 164.

[2]Jean-Marie Lassère ; Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, éd centre national de la recherche scientifique, paris,1977. P 359.

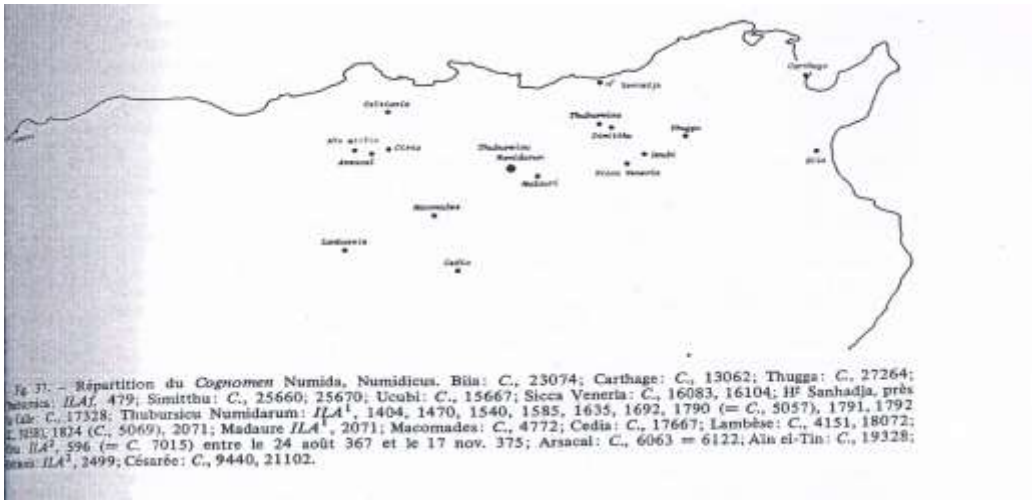

Fig 37. – Répartition du *Cognomen* Numida, Numidicus. Bita: *C.*, 23074; Carthage: *C.*, 13062; Thugga: *C.*, 27264; [illegible] *ILAf*, 479; Simitthu: *C.*, 25660; 25670; Ucubi: *C.*, 15667; Sicca Veneria: *C.*, 16083, 16104; Hf Sanhadja, près [illegible] (dit: *C.*, 17328; Thubursicu Numidarum: *ILA*[1], 1404, 1470, 1540, 1585, 1635, 1692, 1790 (= *C.*, 5057), 1791, 1792 [illegible] 1831; 1834 (*C.*, 5069), 2071; Madaure *ILA*[1], 2071; Macomades: *C.*, 4772; Cedia: *C.*, 17667; Lambèse: *C.*, 4151, 18072; [illegible] *ILA*[2], 596 (= *C.* 7015) entre le 24 août 367 et le 17 nov. 375; Arsacal: *C.*, 6063 = 6122; Aïn el-Tin: *C.*, 19328; [illegible] *ILA*[1], 2499; Césarée: *C.*, 9440, 21102.

يمثل الشكل أهم المواقع الأثرية التي تحتوي نقوشها على أسماء نوميدية.

و قد قلص الرومان المحتوى السياسي للشعب النوميدي و أزالوا عنه مفهوم الأمة المتميزة، ليحصروا مصطلح النوميد في اسم لقبيلة شهيرة.بينما احتفظوا به كتسمية للإقليم الجغرافي النوميدي الذي كونوا منه ولاية رومانية متغيرة الحدود هي موريطانيا القيصرية، ليصبح سكان هذا الإقليم يتسمون بالموريين في مصطلح الإدارة الرومانية. أما أشهر القبائل المكون لهذا الاتحاد القبلي هي الماسيل(Massyles)و الماسيسيل(Masaesyles)[1].

6 ـ المور في الغرب: يبدو أن الجغرافيين الأغارقة القدامى هم أول من استعمل لفظ موريزيا للدلالة على الرقعة الجغرافية الأكثر بعدا بالنسبة لبلادهم من ليبيا ،أي المنطقة التي تقع في أقصى الغرب و على السكان معا[2]. فقد استعمله بوليب و أعطاه مفهوما سياسيا ، كذلك بالنسبة لديودور الصقلي الذي أشار الى ملك حكم موريزيا أوائل القرن الرابع قبل الميلاد.

كما تأثر المؤرخون اللاتينيون الأوائل بالتسمية الاغريقية و منهم تيتيوس ليفيوس الذي ورد عنده في شكل موريزي Maurusii و الذي حرف فيما بعد الى موري Mauri. و حسب

[1]محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص ص 162،164.

[2]محمد العربي عقون:المرجع السابق،ص 159.

سترابون فإن عبارة موري كانت مستعملة من طرف الأهالي و الرومان على حد السواء.في حين أرجعها سالوست إلى الأصل الميدي[1].بينما ذكر كل من بطليموس و بلينوس قبيلة تدعى موري وراء نهر الملوية و هي تمثل عصبية الملك الموري، مما دفع ببعض المؤرخين للقول بأنها كنفدرالية قبلية تشكلت انطلاقا منها المملكة المورية[2].

أما الرأي الذي يحظى بترجيح أكثر من غيره حسب المؤرخ محمد البشير شنيتي فهو رأي بوشار(Bouchard) على الرغم من أن الأخذ به يعني تغيير جوهري في أسماء المواقع التاريخية و بالتالي تغيير الخارطة السياسية للمغربالقديم. و الذي انطلق فيه من التقارب اللغوي بين الفينيقية و العربية ،و يكون بذلك لفظ مارو تحريف للفظ ماحوريم الذي يعني الغرب ، فموريزيا هي ماحوريت أي بلاد الغرب و تقابلها في الإغريقية هيسبيريا Hesperii التي تعني الجهة الغربية من العالم القديم أي منطقة غروب الشمس.و بناء عليه فإن سكان هذه الجهة قد تسموا بالموريزيين أي الموريين نسبة إلى الجهة الفلكية التي يتواجدون بها لاغير[3].

بينما بالغ آخرون إلى درجة الهذيان حسب المؤرخ محمد العربي عقون مثل رين Rinn الذي حاول ايجاد علاقة بين موري و أور و التي تعني الجبل في اللغة الاغريقية و مقاربته مع اسمي المنطقتين الجبليتين في الأطلس الصحراوي عمورو أو أمورو و أوراس (M(aures) et(Amaur)[4].

---

[1] و هم أقوام من آسيا الصغرى انتقل بعضهم حسب قوله في رحلة بحرية إلى ما وراء أعمدة هرقل و منها إلى إفريقيا ينظر : Salustius; Guerre de Jugurtha ,tra Alfred Ernout , Les Belles Lettres, paris, 1974p XIX

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 158.

[3] نفسه ص 159.

[4] محمد العربي عقون:المرجع السابق،ص 159.

و هذا ما تؤكده الاختلافات بين كتاب العهد الروماني حول تحديد مواقع و حدود السكان المدعوين بالمورين ، إذ أخذت هذه التسمية لديهم معنى عاما و ارتبطت بالمفهوم الإداري و السياسي أكثر من ارتباطها بالسكان أنفسهم . ومن ثمة خروج مفهوم هذا اللفظ من مدلوله الجغرافي إلى معناه الإداري المرتبط بالسكان الخاضعين للسلطة الرومانية في ولايتي موريطانيا[1]. و من أشهر القبائل التي كان لها دور هام في الكفاح ضد الاستعمار الروماني نجد قبائل الباوار و الباقواط.

إذا كانت الكنفدراليتان السالفتان الذكر(النوميد و المور) قد وصلتا إلى بناء اجتماعي و سياسي تحولت فيه القبيلة إلى قوة اجتماعية في شكل شعب و سياسية في شكل مملكة و اقتصادية بظهور مختلف الصناعات بالمدن و تطور العمران عن طريق تطور القرى إلى مدن و حواضر تغذيها مجموع الأرياف و القرى المحيطة بها. إلا أن بعض الكنفدراليات القبلية بقيت محافظة على تقاليدها القبلية بعدم اندماجها في المجتمعات الحضرية القريبة منها أو المحيطة بها اندماجا كليا و من أبرزها الجيتول.

7ـ الجيتول:

ظهر اسم الجيتول منذ نهايةالقرن الثاني قبل الميلاد للدلالة على مجموعة قبلية كبيرة كثيرة العدد لكنها لا تمثل عرقا متميزا[2].لأنها قبائل متعددة الأصول جمعها إطار جغرافي متجانس نسبيا يتمثل في السهوب و المرتفعات الجنوبية و حواف الصحراء الشمالية. أي إقليم الانتقال الطبيعي بين التل و الصحراء المتميز بالاقتصاد الرعوي.و عليه اشتهر الجيتول عند المؤرخين القدامى بأنهم رعاة نموذجيين حيث شبههم سترابون بالعرب البدو ووصف خيولهم وأبقارهم بأنها كثيرة العدد[3]. في حين ذكرهم سالوست بأنهم قوما محاربين

[1]محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 160.

[2] محمد العربي عقون: المرجع السابق،ص163.

[3] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 165.

أكثر من الأقوام الليبية الأخرى تقع مواطنهم شمال مواطن الإثيوبيين[1]. بينما تحدث بلين عن بعض قبائل الجيتول بولاية موريطانيا الطنجية بأنهم قوم كثيري الحركة يتحينون الفرص لاجتياح أراضي جيرانهم[2].أما تيت ليف فقد أشار اليهم كجند في جيش هانيبال .و مثله فعل القائد الروماني ماريوس الذي جند عددا كبيرا منهم[3].

الظاهر أن هذه المقتطفات من المصادر تشترك في تحديد مواطنهم مابين الاثيوبيين جنوبا و النوميد والجيتول شمالا كما يستنتج أيضا أن البعض منهم كانوا يجمعون بين تربية المواشي و الزراعة أي أنصاف البدو ولكن أغلبيتهم كانت من كبار البدو[4]. ثم إن ميلهم الشديد للتنقل للبحث عن المراعي لمواشيهم و كذا حبهم الكبير للحرب ـ فهم شعب محارب بامتياز ـ هو الذي جعلهم لا يقيمون دولة خاصة بهم. مع أن بعضهم كانوا ينتجعون الأقاليم المجاورة للمملكتين النوميدية و المورية. و هو ما دفع المؤرخين إلى تقسيمهم إلى قسمين الجيتول الشرقيين و الغربيين.

و قد ظلت أغلبية هذا الشعب خارج السيطرة الرومانية بل مصدر قلق دائم ،خاصة ضد المؤسسات الزراعية التي ألفوا المكوث بها .مثلما حدث مع قبيلة الموزولامي و هي إحدى القبائل الجيتولية النصف بدوية ،التي اقترن اسمها بمقاومة القائد تاكفاريناس(17ـ 23 م) ضد التوسع الروماني بالمنطقة[5].

و في الأخير نستنتج مايلي: ـ إن التطور الذي شهدته مختلف أشكال التنظيمات الاجتماعية بالمغرب القديم يلخص لنا جوانب مختلفة من نمط الحياة الاجتماعية في صورها القبلية

---

[1]Salustius ; op.cit. p XVII .

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 165.

[3] محمد العربي عقون: المرجع السابق،ص163.

[4] نفسه،ص164.

[5]Tacite ; Les Annales , éd Goelzer, 1953 , II52 , III20 , IV23 26 .

فالقروية ثم المدنية الحضارية. علما أن عملية الانتقال من صورة إلى أخرى يتم خلال مرحلة طويلة من التفاعل بين أفراد الجماعات البشرية فيما بينها عن طريق الروابط الأسرية فالقبلية ثم في صورتها الأكثر تطورا الشعب (المجتمع)و كذا تفاعلها مع بيئتها الطبيعية.

ـ أما بالنسبة لتوافد العناصر الأجنبية على المنطقة سواء عن طريق الهجرة أو الاستعمار قد ساهم في تطور الحياة الحضرية لدى شعوب المنطقة فاحتكاكهم بالقرطاجيين مثلا قد ساعد على ظهور الشكل الثاني من التنظيمات الاجتماعية ألا و هو تطور الكنفدراليات القبلية على الصعيد السياسي و تكوين الممالك النوميدية و المورية .ففي هذه الفترة بلغ التمدن الليبي درجة كبيرة من التطور حيث ظهرت العديد من المدن و من بينها المدن العواصم مثل سيرتا و دقة و سيقا ، لتصبح المجتمعات النوميدية و المورية تنافس أكثر المجتمعات تحضرا في العالم القديم.

ـ و في الفترة الرومانية تطورت الحياة الحضرية أكثر في إفريقيا و أخذت تتلون باللون الايطالي منذ أن حلت جموع المهاجرين الايطاليين بمعظم المدن المغاربية القديمة أواخر العهد الجمهوري و أثناء العهد الإمبراطوري الأول ،إذ كان من الطبيعي أن يعمل الوافدون على تنظيم حياتهم على الطراز الايطالي الذي ألفوه في روما. ثم ما لبثت الطبقة المتمدنة من الأهالي أن أخذت في تقليدهم لتعرف فيما بعد بالطبقة المترومنة.بينما حافظ سكان القرى والمناطق الجبلية البعيدة عن المدن على تقاليهم النوميدية برفضهم لمختلف التمدن الروماني لأنها ترى في العناصر الرومانية صورتها الاستعمارية الاستغلالية أكثر منها حضارية و نذكر منها قبائل الجيتول الرافضة للحضارة الرومانية بكل صورها.

و عليه يكون حضر المدن الإفريقية قد نالوا حق المواطنة الرومانية منذ وقت مبكر خاصة أولئك الذي لم يبادلوا الرومان العداء ، و منهم ستكون نواة المجتمع الحضري الإفريقي

يضاف إليهم العنصر الروماني صاحب السيادة و بنسبة أقل العناصر الوافدة من مختلف المقاطعات الرومانية الأخرى للتجارة أو العمل في الوظائف المدنية و العسكرية.

لذا فإن تصنيف فئات السكان في الفترة الرومانية كان حسب أنشطتهم الاقتصادية و بيئتهم الاجتماعية و منزلتهم السياسية إلى أربعة أصناف هي الحضر ،الريفيون،البدو،العبيد.

و في الأخير فإن تقسيم مختلف تلك التنظيمات إلى قبائل و مجموعات قبلية أي شعوب كان حسب نمط المعيشة إلى بدو رعاة متنقلون و حضر مزارعين مستقرين ،أو حسب المعطيات الجغرافية جبليون سكان الجبال و ريفيون سكان القرى و حرفيون أصحب المدن .و إما حسب الأصول محليون و وافدون مهاجرون.

المحور الثالث: بوادر الحضارة الليبية و صلاتها بالعالم القديم(فينيقيا، مصر، اليونان).

سنتطرق في محاضرات هذا المحور إلى بوادر الحضارة الليبية و علاقتها بأكثر حضارات العالم القديم قربا منها بدأ بالحضارة الفينيقية و المصرية و اليونانية وقد اخترنا هذه النماذج لعدة اعتبارات منها عامل الجغرافيا كما سبق و أشرت لقربها الجغرافي فهناك عدة معابر برية وبحرية جعلتها على اتصال حضاري دائم في مختلف المجالات الحياتية للإنسان المغاربي القديم في حين تعلق الاعتبار الثاني بعامل الزمن فكل من الحضارات المذكورة تنتمي للحضارات الشرقية الاقدم في العالم القديم أنذاك، أما الاعتبار الثالث فيخص محاولتنا على تأكيد فكرة التأثير و التأثر الحضاري أي وجود حوار بين الحضارات القديمة في جميع المجالات دون أن نهمل الفرق فيما بينها. و على هذا الأساس قسمنا هذا المحور إلى محاضرتين عنونا الأولى منها و هي المحاضرة السادسة في ترتيب المحاضرات بـبوادر الحضارة الليبية وصلاتها بالحضارة المصرية. في حين خصصنا المتبقية لبوادر الحضارة الليبية و صلاتها بالحضارة الفينيقية و اليونانية).

المحاضرة السادسة: بوادر الحضارة الليبية و صلاتها بالحضارة المصرية:

أشارت المصادر المصرية عن وجود علاقة مبكرة تربط ما بين الليبيين و المصريين ، حيث ورد ذكر هؤلاء في مدونة الملك " نعرمر" مؤسس الأسرة الأولى حوالي (3300 ق.م)، و انتصار الفراعنة على الليبيين الذين كانوا في انعدام الأمن بمنطقة النيل. لك ذكر الليبيون في مصادر الأسرة الخامسة خلال النصف الثاني من الألف الأولى ق.م و وصفوا كشعب مهزوم في حملات الملوك الفراعنة في غربي البحر[1].

كما وردت إشارات تعود للدولة الحديثة عن مشاركة الليبيين في صد هجوم الأجانب في جيش الفرعون " رعمسيس الثاني" (1305-1235 ق.م)[2].

[1] مها عيساوي، المرجع السابق، ص.40.

[2] محمد بيومي مهران، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1990، ص.116.

أما في عهد الملك " مرنبتاح" (1235-1224 ق.م)، تعرضت لهجوم من قبل الملك اللوبي " ماراء بن ديد" كما ذكره التاريخ أيضا " بمريو بن ادد" من قبيلة ليبية ، حيث أراد هذا الزعيم بغزو و الدلتا بجيش يتكون من محاربي قبائل المشوش ، إلى جانب خمسة من الشعوب البحر إلا أنه أنهزم بهزيمة ساحقة حيث بلغ عدد القتلى و الأسرة حسب المصادر المصرية حوالي 6200 من الليبيين و من شعوب البحر حوالي 2380 ، كما بلغ عدد الأسرى من الفرقتين 9376 بين رجل و امرأة و من بينهم نساء القائد الليبي و أولاده و أخوانه. تؤكد الكتب المصرية هذا الانتصار حيث نجد هذا النص:

" و هرب العدو الخسيس أمير ريبو وحيدا في جنح الظلام و لم تكن في رأسه ريشة ، و قدماه بدون حذاء و قد أخذت نساؤه أمام وجهـــه ، و قد أخذت أرغفة مؤنته، و لم يكن لديه ماء في القربة ليحفظه حيا..." كما يواصل النص كيف عوقب من قبل أهله ، و لهذا سمي بالأمير المعاقب ذو المصير الأسود[1].

و الملاحظ انه لم تتوقف القبائل الليبية عن إزعاج المصريين لاحتلال المناطق الغربية المصرية خاصة تحت حكم الفرعون " رعمسيس الثالث" (1198 ق.م-1106 ق.م)، إلا أنه و في كل مرة يلحق بهم هزيمة أجبرتهم على العودة إلى بلادهم.

إلا أنه و نتيجة للأوضاع المزرية التي تعرضت لها مصر في عهد الفرعون " رعمسيس الثالث" ، و نتيجة لتوغل الجيش المشوش في جيش الفرعون بل فد وصل البعض منهم إلى مناصب عالية في البلاط الملكي و الجيش الفرعوني ، و لعل هذا ما شجع القائد الليبي " شيشنيق الأول" (950 ق.م-925 ق.م) لهجوم على الدلتا لاحتلالها فعلا و بذلك ثم تأسيس الأسرة الفرعونية الثانية و العشرون[2].

إن قراءة تاريخية لمثل تلك المعطيات تجعلنا نقف على مدى قدم العلاقات المصرية الليبية ، رغم أنها عدائية ، إلا أن هذا لا ينفي وجود احتكاك حضاري . فمن المحتمل أن

[1] محمد بيومي مهران: نفس المرجع، ص.122.

[1] مصطفى عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية ، بنغازي، 1966، ص ص.(23-29).

هؤلاء اللوبيين كانوا يتحدثون اللغة المصرية القديمة ، كما أنهم قد تأثروا بمعبوداتهم كالإلهة " نيت"، التي أشار لها " هيرودوت" خلال القرن الخامس ق.م ، حيث ذكر : " **هكذا و حتى بحيرة تريتون و انطلاقا من مصر يعيش الليبيون الرحل يأكلون اللحوم و يشربون الحليب إلا أنهم يمتنعون عن تربية الخنازير ، فنساء منطقة قرينة يرفضن أيضا استهلاك لحم البقر احتراما و تقديرا لإزيس ، إلهة مصر ، حيث يقمن بالصوم و إحياء الأعياد الخاصة بها** "[1].

يتضح من نص " هيرودوت" مدى توغل عبادة " إزيس في الحياة الدينية الليبية خاصة منهم الذين يعيشون في المناطق الشرقية و قد أمدت عبادتها إلى غاية التواجد الفينيقي بالمنطقة بل و حتى الفترة الرومانية جميع مناطق المغرب القديم. كما يذهب بعض المؤرخين إلى أصل و مصدر عبادة الكبش أو الثور يعود إلى مصر، شأنه في ذلك شأن بعض الحيوانات حيث حاول الكثير من الباحثين ارجاع ظاهرة تقديس بعض الحيوانات لأصول مصرية، على الرغم من اهتمام الباحثين بدراسة هذا الموضوع و طرحهم حولها الكثير من الإشكاليات بالنسبة لوجودها بالمغرب القديم، إلا أن الصورة لم تتضح بعد حيث يرى المؤرخ محمد العربي عقون أن الأدلة الأدبية و الأثرية غير كافية للقول بأن الإنسان المغاربي القديم قد عبد الحيوانات بالرغم من ارتباط بعضها بالمقدس [2] كالحيات.

أما البعض الأخر منها فيقدم كقرابين لذلك فهي ذات علاقة وطيدة بالآلهة مثل الكبش و العجل و الثور و لكن كل هذا غير كاف على حد تعبيره للجزم بوجود عبادة الآلهة الحيوانية مستندا إلى قول القديس أغسطين بان المصريين هم وحدهم من عبدوها، ولو كانت موجودة بالمغرب آنذاك لما حصرها في المصريين[3].

حيث يظهر ذلك جليا من خلال محاولة الكثيرين منه

---

[2] Hérodote, IV, 186.

[2] الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 240 .

[3]نفسه، ص142.

إن وجود قرص الشمس بين قرني الكبش جعل بعض المؤرخين يربطون بينه و بين الإله المصري رع إله الشمس التي نعتها المؤرخ الإغريقي هرودوت بأنها المعبود الرئيسي لسكان ليبيا الممتدة من واحة سيوة المصرية إلى المحيط الأطلسي[1]. أو أن اقتران اسمه مع كل من الإله بعل الفينيقي و الإله زوس الإغريقي، يكفوننا لجعله إلها أجنبيا قدم من مصر إلى ليبيا عبر صحرائها أو من فينيقيا مع تجارها إلى سواحلنا الذين قرروا البقاء مع أجدادنا و بنو الحضارة القرطاجية ، أو مع الأغارقة الذين أسسوا قورنا ، **أم يجب علينا أن نغير صيغة السؤال** إلى **ما هي مختلف التطورات التي مرت بها عبادة الإله آمون مع وجود صلات حضارية تربط هذه المنطقة بجيرانها المصريين و الفينيقيين ؟.**

و لإجابة على هذا السؤال ارتأينا أن نعرف بالاله آمون ـ رع، يرى العديد من المؤرخين أن آمون اله مصري الأصل ، ارتبطت عبادته بمدينة طيبة. ظهر في البداية على شكل كبش ثم تطور إلى كبش يعلوه قرص الشمس [2]. غير أن هذا يدل في اعتقادي على تلاقح الأفكار التي تنتقل عبر المعابر الحضارية الكبرى ، و الصحراء الليبية واحدة منها .

و هذا ما يؤكده محمد العربي عقون[3] نقلا عن (R Basset) أن الاسم أمان عند الغانش (Guanches) ـ إحدى القبائل الليبية ـ يعني السيد و يطلق على الشمس أيضا ، و حتى آمون أصبح اله شمسيا باندماجه في رع و هيمن تدريجيا على البنثيؤون البربري في غربي إفريقيا و لم يبقى من آمون سيوة سوى نسخة من اله طيبة في حين أن الأفارقة في مستوى بدائي كانوا يعبدون آمون في شكلــه الحيواني . و هو ما تؤكده الرسوم الصخرية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ .

أما بالنسبة لحضور هذا الإله كمعبود شمسي بمنطقة قالمة مثلا لأنكم من هذه المنطقة فقد عثر فيها على نصب جنائزية و إهدائية كثيرة تحمل رموزه كقرص الشمس او

[1] تاريخ هيرودوت ، المصدر السابق، ص

[2] شافية شارن : حضارة مصر الفرعونية ، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون الجزائر ، 2009 ،ص73 .

[3] المرجع السابق ، ص 218.

الدائرة منتشرة في أماكن عديدة من الولاية (عين نشمة ، قلعة بوالصبع ،حمام دباغ ، سلاوة عنونة...) [1].

في حين تحدثت المصادر الإغريقية بأن لأمون سيوة وسيط او هاتف (oracle) و هو ذو شهرة عالمية تجاوزت بكثير الإطار الجغرافي الليبي بواسطة الإغريق في قورنا ابتداء من سنة 631 ق ـ م لتظهر على آمون تأثيرات الحضارة الهلينية فيصبح اسمه زوس آمون[2].

المحاضرة السابعة: بوادر الحضارة الليبية وصلاتها بالفينيقيين و الاغريق: لا يمكننا أبدا كباحثين و لا كمؤرخين أن نهمل قوة العلاقات و الصلات الحضارية بين الليبيين و الفينيقيين الذي جاؤوا إلى شمال افريقيا كشعوب مسالمة تبحث عن التجارة و قبل الحدين عن قوة هذه العلاقات يجب أولا التعرف على الكيفية التي دخل بها الفينيقيون هذه المنطقة و ماهي أهم دوافعهم لذلك قبل الحديث عن اندماجهم مع السكان الاصليين و ظهور جنس بشري جديد في شمال افريقيا القديم يعرف بالشعب البوني صاحب حضارة قوية ذاع صيتها داخل المنطقة المدروسة و خارجها.

أولاـ التوسع الفينيقي في شمال افريقيا أسبابه و دوافعه و مراحله:

تشير معظم المصادر أن أصل الفينيقيين الجنس السامي، حيث أقاموا أولى حضارتهم في فلسطين و لبنان و جزء من سوريا، إلا ان الخلاف قائم حول مصدر هجرتهم كما يعتقد أن تسمية هؤلاء الأقوام، الكنعانيون حيث ظهر هذا الأخير منذ منتصف الألف الثانية ق.م[3].

و يعتقد أن ذلك المصطلح أطلق من قبل الحواريين فيما بين القرن السابع عشر و الثامن عشر ق.م، و معناه الصباغ الأرجواني، و هذا الأخير قد أتفق مع التسمية التي أطلق عليهم الإغريق الفينيقيين و التي تعني هي الأخرى الصباغ الأرجواني التي أشتهر بها هؤلاء

[1] المصدر النصب المحفوظة بالمسرح الروماني بقالمة التي قمت بالاطلاع عليها شخصيا و تصويرها .

[2] محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص218 .

[1]محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.37.

القوم في حوالي القرن الثاني عشر ق.م، و هذا الصباغ الذي كان يستخرج من محار " لميوريكس " Rurex " الذي ينتشر بكثرة على الساحل السوري[1].

و قد تعرض الكنعانيون خلال تاريخهم الطويل لأقصى الضربات من الإمبراطوريات التي تنامت حولهم: الإمبراطورية المصرية ، الإمبراطورية الحيثية و الإمبراطورية الحيثية ، لكن تبقى غزوة شعوب البحر (1230-1195 ق.م) الأكثر عنفا و الأقوى أثرا، حيث اكتسحت هذه الشعوب الإمبراطورية الحيثية بآسيا الصغرى و تابعت زحفها نحو الساحل الفينيقي الذي دمرت عددا من مدنه مثل " أجاريت"، كما وضعت حدا للنفوذ المصري في المنطقة و كان على الكنعاني هذه المنطقة الانسحاب تحت ضربات هؤلاء القادمين الجدد الذين حالوا توسيع مجالهم الحيوي جنوبا لكنهم اصطدموا بمنافسين آخرين و هم العبرانيين بالمنطقة التي ستعرف فيما بعد بفلسطين[2].

1 عوامل التوسع الفينيقي بغربي المتوسط:

رغم تلك النكبات التي توالت على بلاد كنعان ، إلا أن بعض المدن استطاعت أن تفلت من قبضة الجيران الجدد مثل : " جبيل، صيدا و صور أن تنتهز فترة عودة السلم لتنهض من جديد في ظل عهد ثري بمعطيات أثنية و تقنية جديدة ناجمة عن غزوة شعوب البحر[3]. و يمكن تلخيص أهم عوامل التوسع التجاري الفينيقي بغرب المتوسط فيما يلي:

أ- العوامـــــل السياسيـــــة:

تعد العوامل السياسية التي دفعت الفينيقيين إلى التوسع في البحر المتوسط ، هو ذلك الصراع الحيثي المصري للاستيلاء على منطقة

[2] F. Decret et M. Fantar, op-cit., pp. (44-55).

[3] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق، ص ص.(33-38).

[1] نفس المرجع، ص.41.

الساحل الفينيقي ثم مجيء غزوة شعوب البحر و كذا معانات الفينيقيين من جرانهم في الداخل كالأشوريين و الأراميين و العبرانيين[1].

هذا و بالإضافة إلى سقوط " موكيناي " (ميسين) على اثر غزوة الدوريين مما أدى إلى إبعاد المنافسين من البحارة و التجار اليونانيين

والذين وقفوا في وجه الملاحة الكنعانية ، فانفتحت بذلك أفاق واسعة أمام البحرية الفينيقية[2].

ب.العوامل الاقتصادية: يمكن أن نلخص العوامل الاقتصادية فيما يلي: – طبيعة موقع الساحل الفينيقي و ضيق مساحته التي ساعدت على امتهان التجارة و صناعة السفن.

– قلة مساحة الأراضي الزراعية و السعي وراء الأرباح التجارية و الرغبة في الحصول على خامات المعادن الثمينة من إسبانيا و إفريقيا[3] .

– تطور البحرية الفينيقية لما حققته من اختراعات في مجال التعدين و الصناعات البحرية مثل استخدام المسمار الحديدي بدل المسمار الخشبي ، كما نجحوا في صناعة سفن أقوى واخف بكثير مكنها الإبحار لمسافات بعيدة و مقاومة حركة الأمواج و الرياح[4].

– انكباب سكان لوبة على اقتناء البضائع المصنعة التي كانت يأتي بها الفينيقيون ومقايضتها بالمواد الخام التي كانت متوفرة لديهم مثل تبر الذهب و جلود الحيوانات المفترسة ثم الملح و الأسماك المجففة[5].

جـ– **العوامل الاجتماعية:** من بين العوامل الاجتماعية نجد:

---

[2] محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط،، المرجع السابق، ص.42.

[3] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.21.

[1] محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية و الحضارة البونية ، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، برج الكيفان، الجزائر 1998، ص.21.

[2] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، 41.

[3] محمد الصغير غانم ، المرجع السابق، ص.31.

– ظهور شعوب جديدة في المنطقة أدى إلى نزوح الكنعانيين من الأرياف و المدن الداخلية نحو المدن الفينيقية الساحلية التي عجزت عن تحمل ثقل التزايد الديمغرافي ، فأدى إلى التوسع.

– الصراع الاجتماعي بين المدن الفينيقية و الخلافات الحادة على السلطة بين الأعيان و الأثرياء و كبار التجار (أسطورة عليسا)[1].

2 مراحل التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط:

[4] محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي...، ص ص.(49–51).

لقد مر التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط بمرحلتين أساسيتين هما:

أ. مرحلة الارتياد و الاستكشاف :

تبدأ هذه المرحلة في أواخر القرن الثاني عشر ق.م ، و هي عبارة عن مرحلة تجارية بحثه ، حيث تم تأسيس بها محطات تجارية " Factories " يلتقي فيها السكان المحليون بالفينيقيين بقصد التبادل التجاري الذي كان يتم عن طريق المقايضة . و قد بدأت تلك المحطات الصغيرة تنمو و تتسع عن طريق الهجرات المتوالية من الساحل الفينيقي إلى المناطق الجديدة في غرب البحر المتوسط. و لقد تزعمت هذه العملية خاصة مدينتي صور و صيدا، كما كانت تلك المرحلة استكشافية إلى جانب تجارية ، حيث حاولوا الفينيقيون اكتشاف طبيعة سواحل منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط، و ذلك بهدف اختيار أماكن خاصة تصلح لبناء محطاتهم و مستوطناتهم المقابلة لسواحل بلاد المغرب القديم خاصة و التي كانت تؤمن لهم الطريق المؤدي للهدف المتمثل في الحصول على معادن شبه جزيرة "ابيريا " ، و لهذا فقد تم إنشاء محطة " ليكسوس" على سواحل المغرب الأقصى و ذلك حوالي 1110 ق.م و " أوتيكا" في حوالي 1101ق.م مابين تونس و بنزرت على رأس الجنوبي من مضيق صقلية[1].

و تمتد تلك المرحلة إلى غاية القرن الثامن ق.م ، و قد أنجز خلالها الفينيقيون محطات مؤقتة أنجزت بمواد سهلة الأمر الذي جعلها سريعة الاندثار . كما انعدمت بها المقابر مما يؤكد أنها كانت محطات للاستراحة و التموين فقط. و يعتقد أن هذه المحطات قد سمحت بالاتصال بسكان بلاد البحر المتوسط و التجارة معهم عن طريق المقايضة و أهم المواد المتبادلة كانت : (المواد المعدنية ، الفخار، الحلي، الأنسجة ، الأواني الزجاجية ، الألبسة الأرجوانية ، العطور، البخور، التوابل و غيرها من السلع المصنعة التي تأتي من السفن الفينيقية و تحصل مقابل ذلك على مختلف منتجات الأرض و المواد الخام و المعادن

[1] محمد الصغير غانم ، المملكة النوميدية...، ص ص.(22-23)

الثمينة كالذهب و الفضة و الصوف و الجلود و العاج و الخشب و الصمغ و مختلف المنتجات الحيوانية...)[1].

ب. مرحلـــــة الاستيطـــــان: هي المرحلة التي تمت بها تحويل المحطات المؤقتة إلى مستوطنات دائمة ، و اختارها المهاجرون كوطن لهم و لأبنائهم، و بدأ تأسيس المستوطنات الفينيقية الرسمية مابين القرن التاسع و القرن السابع ق.م. و لعل يعود أساب المرور إلى مرحلة الاستيطان إلى عاملين أساسيين : عامل سياسي عسكري خارجي أصبح يهدد كيان العواصم الاقتصادية الفينيقية في الشرق ، ففي سنة 876 ق.م تمكن الملك الأشوري " ناصربال " من السيطرة على المدن الفينيقية ، و تبعه بعد ذلك الملك " شلمنصر الثالث" ما بين(858-825 ق.م). قامت بعد ذلك الدولة البابلية الكلدانية فهيمنت هي الأخرى على المدن الفينيقية في المشرق ، خاصة في عهد ملكها " نبوخد نصر (604-561 ق.م) ، ثم الدولة الفارسية الأخمينية التي أصبحت فينيقيا جزءا من الإقليم الخامس من الإمبراطورية[2].

كما يرجع إلى تفوق النفوذ الفينيقي نتيجة ممارسة التجارة لمدة طويلة. لكن للضغط الديمغرافي و البحث عن الثروات و حماية المكتسبات في الحوض الغربي للمتوسط من الأطماع الأجنبية و هو ما دفعهم إلى بعث جاليات كثيرة إلى الغرب صقلية ، اسبانيا ، بلاد المغرب القديم و ذلك لإنشاء مستوطنات و الإقامة بها ، و لعل اختيار الفينيقيون للجزء الغربي نابع من وجود فراغ سياسي فيه يرجع إلى تأخر سكانه في التطور و ضعف القوة الحربية لديهم، و هذا ما يتناسب مع الروح التجارية الفينيقية التي تنزع إلى العلاقات السلمية حتى يتوفر لهم المجال لتنفيذ أغراضها التجارية[3].

3. **التأثيرات الحضارية للفينيقيين على الليبيين:** يجمع الباحثون المحدثون والمعاصرون على صعوبة البحث في المعتقدات الليبية خاصة عملية التأريخ لها ذلك أن ما تركه الكتاب

---

[2] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق، ص ص.(42-43).

[1] F. Decret et M. Fantar, op-cit., p.51.

[3] محمد الهادي حارش: المرجع السابق، ص 43.

القدامى لم يزودهم بالمعلومات الكافية و الوافية عن ديانة قدماء الليبيين[1]،لذلك قام الكثيرون من الباحثين المحدثين ثم المعاصرين بدمج المعتقدات الليبية في نظيرتها الفينيقية كما مارسوا طمسا حقيقيا للأولى و على حسابها قاموا بإبراز الثانية وقدموها على حساب الأولى على أنها من التأثيرات الأجنبية التي حلت بالمنطقة مع قدوم العناصر الأجنبية سواء الفينيقية أو الاغريقية[2]، فالنسبة لظاهرة تقديس الحيوان مثلا : لقد حاول الكثير من الباحثين ارجاعها لأصول مصرية، حيث حظيت عبادة الحيوانات بدراسات عديدة و طرحت حولها الكثير من الإشكاليات بالنسبة لوجودها بالمغرب القديم، أم أن تلك الصور كان المقصود منها استعمالها كقرابين. حيث يرى المؤرخ محمد العربي عقون أن الأدلة الأدبية و الأثرية غير كافية للقول بأن الإنسان المغاربي القديم قد عبد الحيوانات بالرغم من ارتباط بعضها بالمقدس [3] كالحيات.

أما البعض الأخر منها فيقدم كقرابين لذلك فهي ذات علاقة وطيدة بالآلهة مثل الكبش و العجل و الثور و لكن كل هذا غير كاف على حد تعبيره للجزم بوجود عبادة الآلهة الحيوانية مستندا إلى قول القديس أغسطين بان المصريين هم وحدهم من عبدوها، ولو كانت موجودة بالمغرب آنذاك لما حصرها في المصريين[4].

حيث يظهر ذلك جليا من خلال محاولة الكثيرين منهم جعل بعض الآلهة المحلية نذكر مثلا بعل حمون و تانيت بني بعل الهين أجنبيين في حين نحاول دائما التأكيد على أنها نتيجة دمج شعوب المنطقة بين الالهين بعل الفينيقي و نظيره أمون الليبي و هو ما سنتطرق له بالتفصيل من خلال التعريف بهذين الالهين

الإله بعل ـ آمون (ba'al hammon): يبدو من خلال اسمه أنه اسم مركب من جزأين (ب ع ل) و(ح م ن)، و يمكن كتابته أيضا (ب ع ل ع م ن) يمثل جزؤه الأول اسم لإله

[1]Mercier(G), Les divinités Libyque, R.A.S.C, T34, 1900, p. 177- 178.

[2] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 214.

[3] الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 240 .

[4]نفسه، ص142.

فينيقي بالدرجة الأولى و هو الإله بعل، علما أن هذه العبارة تعني السيد أو المالك في اللغة السامية، و هذا ما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار بعل آمون إلها فينيقيا قبل أن يكون قرطاجيا[1]، و على هذا الأساس قاموا بوضع عدة معاني له تمثلت من حيث اللغة في سيد نار المبخرة أو الموقد، سيد المعبد، بينما من حيث الاصطلاح فقد عرفوه على أنه رب الأرباب و سيد السماء و العواصف و الخصوبة[2].

أما الشق الثاني من اسمه فقد ربطه البعض الآخر من المؤرخين المحدثين والمعاصرين بأحد المقدسات أو الآلهة المحلية الذي كان الليبيون يعبدونه في كافة منطقة الشمال الافريقي قبل مجيئ الفينيقيين و هو الإله آمون الذي ارتبطت عبادته بمقدس حيواني هو الكبش[3]. و على هذا الأساس اختار البعض منهم البحث عن مدلول هذا الاسم في اللهجات المحلية معتمدا في ذلك على المقاربة اللغوية مع واحدة منها و هي اللهجة الأمازيغية فحسب رأي المؤرخ محمد العربي عقون مثلا أن جذري كلمة آمون (AMN) و(I M N) يمكن أن نستخرجها من الكلمة الأمازيغية Amèn أو Imèn اللتين تعنيان الماء و الروح في حين تعني الأولى في لغة الغوانش الشمس و الجدير بالذكر أن الأسماء الثلاثة المشتقة من نفس الجذر السابق هي لمقدسات الروح و الشمس والماء[4].

أعتقد أن السبب وراء دمج هذا الإله مع آلهة شرقية أخرى مثل رع المصري وزوس الاغريقي لم يكن سوى نوع من التأثر أو التأثير الحضاري وكذا تعبير خالص عن تلاقح الأفكار و انسجامها بين شعوب المنطقة.

---

[1] Fantar(M.H), baal hammon, recherches sur l'identité et l'histoire d'un dieu phénico – punique consiglio nazional delle ricerche, Roma 1991, Africa, serie Reppal, X, 1997, p.148.

[2] أحمد الفرجاوي: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة، المعهد الوطني للتراث و المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون، بيت الحكمة، 1993، ص ص 169، 170.

[3] محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة للفكر الوثني في شمال إفريقيا ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، ص 86.

[4] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 217 .

ben younnès(A.K.) , la présence punique en pays numide ,institut national du patrimoine Tunis, p. 452.

لقد اكتشفت الكثير من الأنصاب البونية بعدد من المواقع المدروسة مثل عين نشمة كالما، حمام دباغ، قلعة بو الصبع الحاملة لنصوص سطرت بالحرف البوني كان اسم الإله بعل حمون في بدايتها، أذكر على سبيل المثال الستة نقوش التي قام الباحث جودا بترجمتها إلى اللاتينية و التي ورد فيها الايم القديم لمدينة كالما و هو مالكا (ينظر الشكل السابق رقم:6) كما تحدث نفس الباحث عن نصب آخر غير مدروس في تلك الفترة حمل هو الآخر نصا بونيا ذكر فيه بأنه أقيم على شرف الاله بعل حمون (ينظر الشكل الموالي).

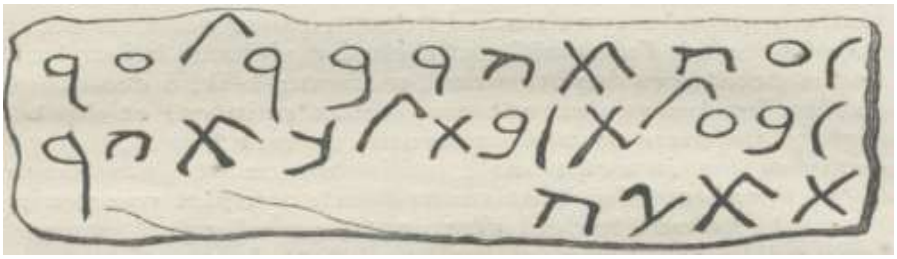

الشكل رقم7 نصب بوني نذري مهدى على شرف الاله بعل حمون مكتشف بكالما[1].

في حين كان ظهوره غالبا ضمن المشاهد الايكونوغرافية على شكل شيخ مسن يتكئ على كبش اقرن أو شيخ يجلس على كرسي العرش ثم يمسك بالصولجان بيده أو يظهر في شكل رجل يقف في مدخل المعبد يعلو رأسه قرص الشمس، حيث يرى الباحث مارسال لوقلي أن القرص هو شعار الشمس بامتياز سواء كان مجنحا أو مشعا على شكل دائرة بسيطة كما ظهرت على أغلب النصب المكتشفة في مختلف مواقع شمال إفريقيا القديم أو على شكل قرص كبير[2].

أما بالنسبة لحضوره الايكونوغرافي ضمن أنصاب كالما و ما جاورها فغالبا ما كان من خلال ظهور أحد رموزه المتمثلة أساسا في قرص الشمس الممثل بدائرة بسيطة أو بداخلها زهرة (ينظر الصورة رقم:).

[1] Judas(A), Note sur quelques inscriptions puniques (dont une inédite) trouvées a Ghelma, Op.cit., p. 188.

[2]Leglay (M), Saturne Africain. Histoire, Op.cit., p.p.441, 442

الصورة رقم: ثلاثة أنصاب بونية محفوظة بمتحف المسرح الروماني بقالمة يظهر فيها الاله بعل حمون من خلال رمز القرص بداخله زهرة(تصوير الباحثة).

تمكنت بعد دراسة وضعية الرموز الدالة على الاله بعل حمون في النصب المذكورة في الشكل أعلاه من التعرف على رموز أخرى تصدرت تلك الأنصاب و هي على الأغلب للإلهة تانيت بني بعل هذه الأخيرة التي سأقوم بالتعريف بها في العنصر الموالي.

ثانيا: الإلهة تانيت(Tanit): تعتبر هذه الإلهة ثاني معبود في البانثيؤون السيرتي بعد الإله بعل حمون[1]. و السؤال الذي يلح على طرحه هل عبدت في نفس المرتبة بالنسبة للإقليم المدروس؟. و قبل أن أجيب على هذا السؤال رأيت أنه من الضروري لفت نظر القارئ الكريم إلى قضية اختلاف وجهات نظر الباحثين حول أصل هذه الإلهة وتسميتها.

بالرغم من اهتمام الباحثين بهذه الإلهة و قيامهم بالعديد من الدراسات حول تسميتها وأصلها إلا أنهما لا يزالان غامضان في نظر الكثير من المؤرخين و الباحثين الذين انقسموا إلى ثلاثة فرق أحدهم ربط أصلها بالفينيقيين[2] و الثاني يجعلها إلهة ليبية محلية دون منازع[1]

[1] لبانثيؤون السيرتي : مجمع الاهي لمدينة سيرتا و يتكون من ثلاثة آلهة بعل آمون ، تانيت بني بعل ، بعل إيدير لمزيد من المعلومات ينظر : محمد الصغير غانم : سيرتا النوميدية، المرجع السابق، ص 147 .

[2] من بينهم الباحث أحمد الفرجاوي الذي يرى بان أصلها فينيقي معتمدا في ذلك على نقش يحمل رمزها ورمز الإلهة عشتار بلبنان لمزيد من المعلومات ينظر:

أما الثالث فقد حاول أن يربطها بالإلهة نيت عند المصريين[2]، علما أن كلا منهم قد قدم قراءته للدلائل المتوفرة.

اعتمادا على قراءتي البسيطة لكل المعطيات الخاصة بهذه القضية الشائكة والشيقة في آن واحد أعتقد بأنني لست بحاجة للبحث عن أصل هذه الإلهة بقدر ما نحن بحاجة لمعرفة أسباب استمرارية تقديسها و احترامها من قبل السكان على مر الزمن فهي تتصدر معظم النصب المكتشفة في كامل المغرب القديم بما فيها أنصاب منطقة كالما وضواحيها و هذا ببساطة حتى و إن قبلت بأصلها الأجنبي عن المنطقة فإنه لا يمكنني أن أغفل خصوصياتها التي عبدت بها في المنطقة و هذا وحده كاف في نظري للقول بأن مخيلة سكان المنطقة كانت هي الأخرى قادرة على انجاب آلهة ارتبطت بشكل وثيق بمقدسات طالما حظيت بالتكريم.

لقد عبدت تانيت كإلهة أم و سيدة للعالم السفلي تسهر على حماية أرواح الموتى أثناء رحلتهم الطويلة ما بين السماء و الأرض[3]، كما ارتبط اسمها بظاهرة الخصوبة والأمومة[4].

أما بالنسبة لحضورها على الأنصاب المكتشفة بالمنطقة فقد كان من خلال عدة رموز أذكر من بينها المثلث أو شبه المنحرف الذي يشكل القاعدة تعلوه دائرة أو قرص يفصل بينهما خط أفقي معقوف النهايتين نحو الأعلى يوحي بشكل يدين مرفوعة نحو الأعلى وكذا رمز الهلال ذو النهايتين المتجهتين نحو الأعلى أيضا (ينظر الصورة رقم:).

Ferjaoui(A), Les stèles punique de Constantine ,Rappel ,6, 1988, p.289.

Bosco (M.J.), Toponymie Phéniciennes, sur le préfix GI, IAM, RUS, SUB, De certains localités de l'Afrique du nord, R.S.A.C., 1922-1923, p353.

[1] من بينهم الباحث محمد العربي عقون الذي يرى ان اسمها مشتق من الكلمة البربرية آنتي (Aniti) و التي تعني الوحم و منه ثامطوث ثتينيث أي المرأة تتوحم و من الطبيعي أن تستنجد في مثل هذه الحالة بالإلهة للمساعدة خلال فترة الحمل ثم الولادة لمزيد من المعلومات ينظر : محمد العربي عقون : الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 217 .

[2] اصطيفان أكصيل: تاريخ افريقيا الشمالية القديم، ج6، المرجع السابق، ص 134.

[3] محمد الصغير غانم وآخرون : سيرتا النوميدية،المرجع السابق، ص 153.

[4]Bosco(M.J.), Le temple de Tanit Caelestis de Cirta, R.S.A.C., T47, 1924, p283.

الصورة رقم: ثلاثة أنصاب اكتشفوا بإقليم كالما و ما جاورها محفوظين حاليا بمتحف المسرح الروماني تظهر بهم رموز الإلهة تانيت(تصوير الباحثة).

4- الليبيون و الاغريق: يبدوا أن التأثيرات الاغريقية كانت واضحة في الحضارة الليبية من حيث المعبودات و الالهة و العمارة و غيرها و سنقدم مثلا الاله **زوس آمون** : وهو اسم مركب من رب الأرباب و اله السماء عند الإغريق و آمون إله الليبيين في قورنا . يظهر في على شكل شخص ملتح بملامح سمحة ليس فيه من كبش طيبة إلا القرنان المختفيان وسط خصلات الشعر المسترسلة. و كان لهذه الصورة مكانة هامة في العالم الهلينستي خاصة بعد زيارة الإسكندر الأكبر لواحة آمون حيث أعلن نسبه الإلهي من خلال ربطه لنسبه بنسب آمون [1].

لقد حقق الإله آمون في شكله الإغريقي نجاحا كبيرا و دليل ذلك انتشار عبادته في قورنا و طرابلس وهو ما تؤكده وفرة الكتابات النقوشية التي تحمل اسمه بها[2].

[1] Mehmed houssine Fantar, baal hammon recherches sur identité et l'histoire d'un dieu phénco _punique, consiglio nazional delle riceche ,Roma , 1999, Africa , T5, 1997, p 148 .

[2] محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص219 .

المحاضرة الثامنة: قرطاجة الموقع و التسمية و النشأة. سنتطرق في هذا المحاضرة لأهم مدينة كان لها اشعاع حضاري حتى بعد سقوطها على يد الرومان عام 146ق.م وهي قرطاجة.

الموقع الجغرافي: تقع قرطاجة على بعد 16 كلم تقريبا من الشمال الشرقي لمدينة تونس المدينة الفينيقية الحالية ، على شبه الجزيرة واسعة ، يحدها من الجنوب خليج تونس ، و من الشرق البحر ، و من الشمال بحيرة " سوكرا "" المالحة الممتدة من الشاطئ و تتصل شبه الجزيرة من الغرب القارة الافريقية.

تأسيس مدينة قرطاجة: تتفق الكثير من المصادر الكتابية باعتبار أن سنة 814 ق.م تاريخا رسميا لتأسيس ى مدينة قرطاجة من قبل المهاجرين الفينيقيين، على أن هذا التأسيس قد سبق الألعاب الأولمبية الأولى " 776 ق.م" بحوالي 38 سنة، و تأخر عن بناء " مدينة أوتيكا" بحوالي 287 سنة. و في نفس نصوص المؤرخ اليهودي " يوسيفوس" ، الذي ألفها بالاستناد إلى الكاتب الهيلينستي " منا بدروس" الأفيسوس، الذي استند على وثائق ملوك من مدينة " صور " سجل فيها تسلسل ملوك الذين حكموا لمدة قرن و نصف من الزمن ، ثم أعطى معلومات إضافية حول بعض الأحداث التي وجدت في عهودهم ، و قد أشار " يوسيفوس" إلى أن " بغماليون" ، كان قد عاش 56 سنة تولى الحكم خلالها 47 عاما، و في السنة السابعة من حكمه فرت أخته " أليسا " إلى ليبيا ، حيث أسست هناك مدينة قرطاجة، ثم بعد مائة و خمسة و خمسين سنة و ثمانية أشهر أستلم " أحيرام " حكم صور و كان هذا الأخير حليف للملكين " داود " و سليمان"[1]

محتوى أسطورة أليسا: ذكر الأسطورة أنه بعد وفاة الملك "متاب " بقي الحكم للابنين " أليسا" و " بغماليون" ، و كانت أليسا على غاية من الجمال التي تزوج بها خالها " عاشر باص الكاهن الأكبر لمعبد الإله " ملقارط " يملك ثروة كبيرة فخاف عليها من اللصوص

[1] M.H. Fantar , Carthage approche d'une civilisation, T.1, éd., Alif de la méditerranée, Tunis,1998, pp.(82-83)

فدفنها تحت جـــــدار المعبـــد، و عندما بلغ نبأ الكنز المدفون لبغماليون الذي كان شغوفا بالمال ، مما دفعه إلى قتل زوجة أخته للحصول على ماله.

إلا أن أخته أقنعت أخيها أنها لا تكترث لما حدث من أجل أن تأمين شره، و بعدها حملت أموال زوجها و أبحرت بها في البداية إلى قبرص، حيث أنظم إليها الكاهن "جونو" بعد أن ضمن لنفسه و لأسرته من بعده الإشراف الديني على المدينة الجديدة، كما حملت أليسا من قبرص ثمانين فتاة من فتيات المعبد ليكوننا أزواجا للشباب الذين كانوا معها. و أبحرت بعد ذلك أليسا إلى بلاد المغرب ، فنزلت بالقرب من مدينةّ أوتيكا" و رحب بها سكان المنطقة كما ابتاعوا لها قطعة أرض بمقدار جلد ثور و بحيلة منها فقد قطع ذلك الجلد إلى أشرطة رفيعة أحاطت بمساحة تكفي لبناء مدينة جديدة و التي أطلقوا عليها اسم " قرط حدشت" أي المدينة الجديدة[1] ينظر الخريطة الموالية.

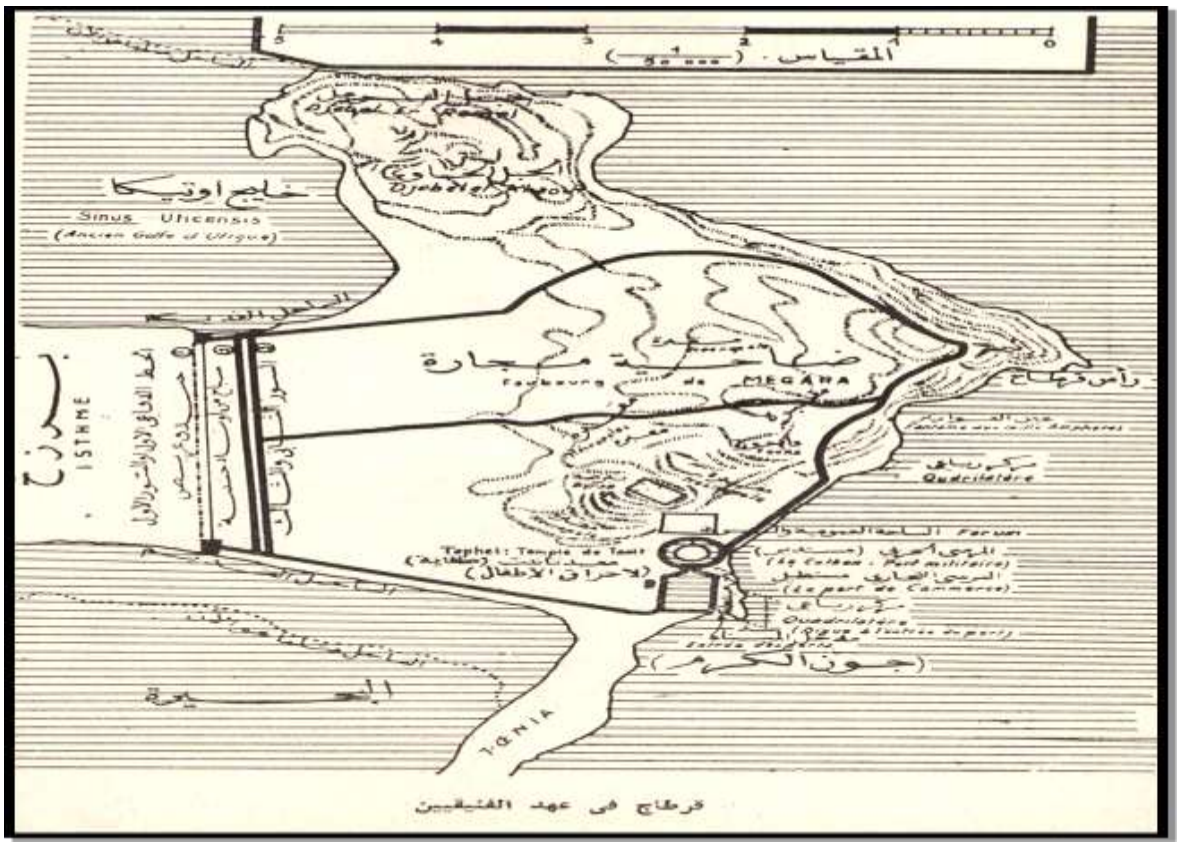

[1] محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني...، ص ص.(102-103).

المحاضرة التاسعة : الحياة السياسية والعسكرية :

لقد ظلت قرطاجة بالنسبة لإفريقيا و قسم كبير من الحوض الغربي للمتوسط بمثابة منارة سياسية و اقتصادية و مركز إشعاع ثقافي واسع النطاق فظلا عن كونها موقع استراتيجي هام جدا، و تتوفر بعض المعطيات التي تسمح بدراسة جوانب من الحضارة ، فإلى جانب المصادر الأدبية التي يمكن أن نستشف منها بعض المعلومات مثل اللغة و الأدب و الديانة و بعض العادات رغم كونها مصادر أحادية الجانب لأنها كتبت من قبل اليونان[1] و الرومان و أعداء القرطاجيين فلا يمكن أن ننتظر منها الإنصاف و عليه تبقى المصادر المادية و النقـــــوش البونيـــة و البونية الجديدة الركائز الأساسية لدراسة هذه المرحلة[2].

1- النظام السياسي: إن أسطورة عليسا و تأسيسها لقرطاجة يجعلنا نفترض بوجود تطابق النظام السياسي القرطاجي مع ما كان معمول به لدى الفينقيين في المشرق ، مما يوحي بوجود نظام ملكي ، و يعتقد أن " عبد ملقرت بن حنون " هو أول ملك نقلته المصادر مثل " هيرودوت " في القرن الخامس ق.م، إلا انه لم يتول منصبه بالوراثة و إنما ثم اختياره فقط[3].كما أشار المؤرخ جوستين (Justin) إلى وجود مؤسستين منذ منتصف القرن السدس ق.م و هما مجلس الشيوخ و مجلس الشعب[4]. كما تجمع المصادر أنه منذ القرن السادس ق.م سيطرت العائلة الماغونية طيلة ثلاث أجيال، إلا أنه و في المنتصف القرن الخامس ق.م عرفت الحياة السياسية القرطاجية تحولا و ذلك بالقضاء على النفوذ الأسرة الماغونية و ظهور مجلس 100 ضمن أعضاء مجلس الشيوخ ، و الذي أصبح بمثابة محكمة يمتثل

[1] Polibe, Histoire général ,T. I II III, Trad., Felix Bouchat, Librairie Adolphe Delays, Paris, 1947

[2] Corpus Inscriptium Semitacarum, académie des inscriptions nationale, Paris imprimerie

[3] Hérodote, T. IV, 165,166.

4**Justin, XVIII, 7, 17.**

أمامها القادة بعد كل حرب بتقديم عرض عن أعمالهم ، و بذلك سيطرت الأرستقراطية فعليا على الحكم ، و يعود الفضل إلى أرسطو في معرفة المؤسسات السياسية القرطاجية منذ بداية القرن الرابع ق.م و حتى الحروب البونية ، حيث ذكر أن الحكم القرطاجي أكثر تميزا و أن دستورهم أحسن من غيرهم و أكثر تطورا[1]. و تترخص تلك المؤسسات في

1 ـ 1ـ **الشفطان** : يفهم من اسم شفط (suffet) معنى : القاضي و الحاكم حيث كانت السلطة العليا في قرطاجة في يد شفطين أو ملكين حسب أرسطو الذي شبههما بالمكين في اسبرطة و القنصلين بروما، و يبدو أن هذين الشفطين كانا يمارسان وظفتهما لمدة سنة واحدة، كما يرجح أنهما كانا منتخبان و لا يتم اختيارهما من نفس العائلة بل يشرط فيهما الثراء و القيمة الشخصية بغض النظر على السن ، و نلخص مهامهما في: استدعاء مجلس الشيوخ و رئاسته، تحديد جدول أعمال مجلس الشيوخ و مجلس الشعب، قيادة الجيوش البرية و ممارسة المهام القضائية[2].

1 ـ 2 ـ مجلس الشيوخ: يسمى مجلس الشيوخ بالجيروزيا حسب أرسطو دائما، و يتكون من 300 عضو يختارون من الطبقة الأرستقراطية مدى الحياة، و كانت بيده إدارة كل الشئون السياسية، يقرر إعلان الحرب أو قرار السلم، يقوم بتعيين أو عزل القادة يداول في لجان سرية حول مصالح الدولة (اللجان الخماسية)[3].

1 ـ 3 ـ مجلس 104: يلي مجلس الشيوخ في الأهمية و الرتبة مجلس 104 و ينتخب أعضاؤه حسب ما أظهروه من استحقاق ،كما يكلفون بمراقبة الملوك و القادة العسكريين و كل الحكام و الموظفين الآخرين، و ينتخب أعضاءه من الهيئات الخامسة و التي كان أعضاؤها لا يتلقون أجرة و يتولون مهام عديدة و هامة.

---

[1] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص.(72-73)

[2] محمد الهادي حارش: المرجع نفسه، ص74.

[3] Gsell, H A A N, T. 2 , pp.(209-210)

1ـ 4ـ **مجلس الشعب:** أصبح مجلس الشعب يشارك بنسبة هامة في شؤون العامة و الشعب خاصة منذ القرن السادس،و حتى يسمح للمواطن المشاركة في المجالس العامة يشترط فيه: أن يكون حرا من أبوين قرطاجيين أو ملحقين في المدينة – أحد أشكال التجنيس–، أن يبلغ سنا معينة، و أن يملك حدا أدنى من المداخيـــل و الثروة، إلى أن أرسطو أشار إلى أن مشاركة الشعب لا تكون إلى في حالة اختلاف الشفطين و مجلس النواب و الشيوخ[1].

1 ـ 5 ـ الجمعيات: تشير المصادر إلى وجود جمعيات سياسية و دينية تقيم مآدب جماعية كانت تعرف بالأخويات (Confréries) تجتمع ليلا للمداولة في مسائل الدولة والتشاور في شأن المجالس الشعبية، حيث كانت تلعب دورا سياسيا و دينيا هاما، و قد أورد بوليب في القرنين الآخرين من وجود قرطاجة إلى ظهور مؤسستين جديدتين هما (**Syncletos**) و (**Synedrion**) و يؤكد بوليب على وجود ثلاث سلطات سياسية في المدينة خلال هذه الفترة و هي : **السلطة العليا:** حيث اختفى الشفطان ، رغم أن آل برقة كانوا بمثابة ملوك (صدربعل – حنبعل) و سلطة **مجلس الشيوخ:** ظل قائما رغم أن سلطته قد تقلصت أمام تزايد قوة مجلس الشعب و ممثليه، إضافة إلى سلطة **مجلس الشعب** : يبدو و حسي " بوليب" أن صلاحياته قد زادت على ما كانت عليه و أصبح يستشار في العديد من الأمور، رغم أن الطبقة الدنيا ظلت مبعدة[2].

و يضاف إلى هذه الهيئات: **مجلس 30** : و الذي كانت مهامه الإدارية تتعلق بفرض قيمة الضرائب و جمعها و جميع الشئون المالية.و **مجلس 10:** و الذي يتولى شئون المعابد و الكهنة و مسائل العبادة و تقديم القرابين و غيرها من الشؤون الدينية.

2 ـ الجيش القرطاجي: عرفت مدينة قرطاجة العديد من التحصينات بالأسوار والخنادق حيث استطاعت قرطاجة أن تصد أعداءها بأسوارها .و بالنسبة لأهم عناصر الجيش نجد في الدرجة الأولى المواطنين القرطاجيين الذين يكونون فرقة راقية فعناصرها من أبناء

[1] محمد الهادي حارش ، المرجع السابق ، ص. 75.

[2] نفس المرجع ص. 76.

الأغنياء. فمعظم الجيش القرطاجي مكون من المرتزقة وجنسيات مختلفة، دعمت بهم قرطاجة جيشها لما راحت توسع إمبراطوريتها وتواجه القوات الأجنبية خاصة الإغريق لأن مواطنو قرطاجة غير كافين لذلك.

ابتداء من القرن الخامس ق. م توسعت قرطاجة على حساب الأراضي النوميدية شمال غرب تونس وعلى الساحل الجزائري والمغربي وكانت تفرض على السكان المحليين دفع الضرائب وتدعو رجالهم إلى الجيش القرطاجي. دخل العنصر النوميدي الذي دورا هاما في الجيش القرطاجي خاصة في معاركها وأهم شيء يميزهم هو الفروسية؛ فهم يشكلون أكبر نسبة ضمن الجنود الأجانب يتميزون بمهارة في القتال و إلى جانبهم يوجد عناصر من جنسيات أخرى.

أما بخصوص نظام الجيش: يتكون من: **المشاة:** نجد فيها عدد كبير من المواطنين والمرتزقة ،يحملون سلاحا ثقيلا يتكون من سيف قصير ورمح ومقلاع. و **الفرسان:** الذين كانوا في بادئ الأمر من المواطنين وابتداء من القرن الرابع ق. م أصبحوا من النومديين واتخذ الفرسان أهمية في عهد حنبعل. إضافة للفيلة: وتأتي هذه في الخط الأمامي[1].

المحاضرة العاشرة: الحياة الاجتماعية و الفكرية.

1- الحياة الاجتماعية : تعتبر معلوماتنا محدودة بالنسبة للنظم الاجتماعية و مع ذلك فقد عرفت قرطاجة تنوعا بشريا . فضلا عن سكان مدينة صور من الفينيقيين مؤسسي المدينة، فقد وفد عدد من المعمرين القبارصة (جزيرة قبرص) بل و حتى المدن الفينيقية الأخرى: صيد و جبيل و غيرها، يضاف إليهم الأهالي من السكان الليبيين الذين جلبتهم خيرات المدينة و التجار و الحرفيين من صقلية و ايطاليا و بلاد الإغريق و المستوطنات الأخرى مثل كورسيكا و سردينيا و شبه جزيرة أيبيريا[2].

[1] Fantar, Carthage, T.2, p (100 – 129).

[2]Gsell, op-cit., T. IV, p. 171.

و كما يبدو فإن الفوارق الطبقية كانت واضحة، حيث كانت في القمة الطبقة الارستقراطية المبنية على الثراء تليها عامة الشعب الذين تمتعوا بحقوق سياسية معتبرة، ثم العبيد الذين كان عددهم كبيرا يتم استخدامهم في كل مجالات النشاط الاجتماعي و الاقتصادي[1].

2-الحياة الدينية: احتلت الديانة مكانة مهمة في المجتمع القرطاجي ، إلا أن الأسماء التي كانوا يحملونها مثل " حنبعل" و التي تعني حضي بحضوة بعل ، "موتوم بعل" و التي تعني هبة بعل و "عبد أشمون " و تدل على عبارة خادم بعل و غيرها....، تدل على حفاظ القرطاجيين على أصل عبادتهم الفينيقية، إلا أنهم تبنوا في نفس الوقت آلهة محلية و التي تتجلى حسب المعطيات الأثرية على المعبودين " تانيت بني بعل" و " بعل حامون"[2] ويضاف إليهما ملقرط ، إله مدينة صور و التي كانت قرطاجة ترسل إلى معبده الهدايا سنويا.و الإلهة " عشتار، و أشمون و عدد آخر من الآلهة[3].

كما أحتفل سكان قرطاجة بأعياد دينية سنوية في تواريخ معلومة ، و هذا ما أشر إليه المؤرخ الروماني " سالوست" عن الحماية الرومانية التي قتلها سكان مدينة باجة في يوم احتفالهم المبجل بكل إفريقيا باللعب و اللهو[4]. كذلك عثر في مدينة " دوقا" على نقيشتين تذكران " اليوم السعيد و المبارك"، إلى جانب النصوص التي تحدثت عن الأضاحي البشرية في قرطاجة فضلا عن الحيوانية منها التي وجدت الإشارة إليها بكثرة، كما وجدت معابد خاصة يشرف عليها عدد من الكهنة و الكاهنات تحت إدارة كبير الكهنة " رب كوهين" أي رئيس الكهنة، كما أهتم القرطاجيون ببناء القبور لموتاهم وجلب رفاة من توفى خارج البلاد، فكانوا يمارسون مراسيم جنائزية أشارت إليها بعض النصوص و المصادر فيذكر " أبيان" : " أن

---

[1] Ibid., T.II, p. 22; T. IV, 172.

[2] محمد الهادي حارش، أصول عبادة بعل حامون في قرطاجة، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، 1987، ص ص.(109-112).

[3] St. Gsell, Op-cit., T.IV, pp.(221-222).

[4] ساليستيوس ، الحرب يوغرطة (الحرب ضد يوغرطة)، ت. محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، الفقرة 66، ص.83.

أولياء الميت يأتون لتقديم الأضاحي الأمر الذي يسمى بالولائم المأتيمية من خلال النصب الجنائزية، كما كانت هذه الأضاحي تقدم على شرف الإله الذي يحمي الميت[1].

3 ــ الأدب و الفنون: لا تذكر المصادر شيء عن المكتبات القرطاجية سوى كتاب "ماغون" في الفلاحة أو ما تبقى من تقرير رحلة حنون، كما يرجح كذلك أن عدد من هذه المؤلفات قد انتقلت إلى أيدي الملوك النوميديين.

أما بالنسبة للغة فقد كانت البونية التي تشبه الفينيقية لكنها تختلف في نطق المفردات و القواعد ، كما استخدم القرطاجيون البونية الجديدة و التي عرفت انتشارا كبيرا و التي شملت عدد من الأسماء و المفردات اللوبية خاصة في القرن الأخير من الوجود القرطاجي[2].

[1] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص 79 ـ 84.

[2] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص ص.(90-93)

المحاضرة الحادية عشر: الحياة الاقتصادية: و البداية ستكون مع التجارة على اعتبارها كانت النشاط الأول و الأساسي لدى القرطاجيين.

1ـ **التجارة:** كانت أحد الموارد الأساسية لثراء قرطاجة بل لعبت الدور الأساسي في حياتها عموما، و على الدوام تحتكر الأسواق و تبعد المتنافسين سواء بالقوة أو عن طريق التفاوض ، و قد توصل القرطاجيون إلى هذا الاحتكار في حدود القرن الرابع ق.م و استمر ذلك حتى فقدانهم سردينيا 237 ق.م، و اسبانيا و مستوطناتهم غرب قرطاجة 206 ق.م، و قد اعتمد القرطاجيون على المقايضة ثم استعملوا السبائك الذهبية و العملات الأجنبية، و لم تصك العملة إلا في نهاية القرن الخامس ق.م و بداية القرن الرابع ق.م[1].

تعتبر معلوماتنا حول الواردات و الصادرات القرطاجية قليلة و مع ذلك فإن الآثار تؤكد استيرادهم للمواد الأولية من اسبانيا مثل الحلفاء لصناعة الحبال و المعادن كالفضة والقصدير فكان يجلب من إيبيزا و الصوف و الجلود و العاج و الأخشاب من إفريقيا والحبوب من نوميـديا و سردينيا. أما الفخار و الأدوات البرونزية التي تشكل جزاء من آثارهم الجنائزي فتستورده من قبرص و بلاد الإغريق.

أما الصادرات فكانت تتمثل في الأقمشة و الزرابي و العسل و الرومان و التين و المرمر و العاج و النحاس و الحيوانات المفترسـة و الخمر و الزيت[2].

2 ـ الزراعة :تؤكد المصادر أن هزيمة قرطاجة في معركة هيمرا 480 ق.م، أمام اليونانيين بصقلية قد جعلت الأنظار القرطاجية تتجه إلى الداخل فاستولت على مساحات كبيرة و أقامت زراعة كثيفة بها، فقد أورد " ديودور الصقلي" أن جنود أغاثوكليس قد أعجبوا بالازدهار الزراعي الذي وجدوه في طريقهم إلى قرطاجة ، هذا فضلا عن ملكيات الطبقة

[1]St. Gsell, op-cit., T.IV, pp.(115-122)

[2]Polybe, III, 22, 11, 13.

الأرستقراطية. و لعل أهم الصادرات في هذا المجال هو ما تبقى من كتاب " ماغون" الذي تحدث عن زراعة الحبوب و الخضر و الأشجار المثمرة كالزيتون و غيرها[1].

3 ـ الصناعة: إن ازدهار التجارة القرطاجية هو تأكيد على تطور الصناعة خاصة منها البحرية كصناعة السفن و التجارة إلى جانب صناعة الفخـار و الحلي و الأثاث الجنائزي و صناعة المعادن، حيث ورد في العديد من النصب النذرية أعمال التعدين[2].

[1] Gsell, op-cit., pp.(124-125)

[2] اصطيفان اكصيل، المرجع السابق، الجزء الرابع ، ص .45.

المحاضرة الثانية عشر: الممالك النوميدية الشرقية و الغربية و المورية الموقع، التسمية والنشأة.

سنتناول في هذه المحاضرة الموقع الجغرافي لكل من المملكتين النوميديتين وتسميتها ونشأتهما و كذالك المملة المورية البداية ستكون مع المملكة النوميدية الشرقية.

أولا- المملكة النوميدية الشرقية (الماسيلية) موقعها تسميتها و نشأتها.

1- الموقع الجغرافي: تقع المملكة النوميدية الشرقية حسب معظم ما جاء في المصادر القديمة أنها المنطقة الممتدة من رأس تريتونيس غربا إلى السيرت الأصغر شرقا أي أنها تمتد من ناحية قسنطينة في الغرب إلى الحدود القرطاجية شرقا[1] و هو رأي أغلب المؤرخين المحدثين أيضا أمثال قزال و كامبس فهي حسبهما كانت تظم كل المدن و القرى الواقعة بين حدود المملكة المازيسيلية و قرطاجة وهي سيرتا، قالمة، تبسة، دقة وغيرها[2].

و الجدير بالذكر أن هذه الحدود لم تكن قارة بل متغيرة حسب تغير ميزان قوة المملكتين النوميديتين الماسيلية والماسيسيلية[3]، لكن من المحتمل جدا أن المملكة النوميدية الشرقية كانت أكثر قوة من جارتها الغربية لكون موقع الأولى أكثر وحدة فهي بلاد جبيلية تكثر فيها الغابات الصالحة للممارسة تربية الماشية ، أما هضابها و سفوحها فقد خصصت لزراعة الحبوب و الدليل على ذلك هو انتشار الآلاف من المقابر الميقاليتية بهذه المنطقة[4].

2 ــ تسميتها و نشأتها:

2- 1- تسميتها: بالنسبة لتسميتها فهي مرتبطة بأصل لفظة النوميد هذا الأخير الذي لم تذكره المصادر الاغريقية الباكرة مما جعله محل نقاش كبير من المؤرخين من خلال عديد المقاربات اللغوية . و إذا كان سترابون قد اعتبره مشتقا من الكلمة الإغريقية نوماداس

[1] هيرودوت: المصدر السابق، ص 366.

[2] أكصيل ستيفان: تاريخ افريقيا الشمالية، ج، ص ، كامبس: ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق،178..

[3] كامبس: المرجع نفسه، ص 179.

[4] كامبس : المرجع نفسه: 179.

(Nomadas)التي تعني البدو الرحل[1]، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يعتبر هذا اللفظ مشتق من نوماداس مع أن الذين يطلق عليهم هم مزارعون مستقرون؟.

يبدو سترابون لا يفرق بين مدلول عبارة نوماد و نوميد معتقدا أن التسمية نمطية أي أنهم تسموا بذلك لأنهم كانوا بدوا رعاة أرغمتهم الحيوانات الضارية على ترك الفلاحة و اتهان الرعي. باستثناء بوليب الذي استعمله للدلالة على كيان سياسي محدد و على شعب معين له خصائصه و نظمه. الظاهر أن بوليب قد استقى هذا المفهوم من الوثائق الرومانية الرسمية التي ظهر فيها مدلول عبارة نوميديا بهذا المعنى ابتداء من القرن الثالث الذي شهد حروبهم ضد القرطاجيين.

أما الوثائق الأثرية المتعلقة بأصول هذه التسمية و مدلولها فهي نادرة و مقتضبة وأقدمها ما جاء في النقوش المزدوجة اللغة (ليبية- بونية أو بونية - لاتينية) و التي توحي بالأصل المحلي لها .و النقوش اللاتينية غنية بأسماء الأشخاص المنتمين إلى هذا الشعب الذي حافظ أفراده على هويتهم النوميدية و يظهر ذلك في ألقابهم التي احتفظت بها النصوص الأثرية[2].

كما بقي اسم نوميديا يطلق على قبيلة بناحية تاقاست(Tagaste) سوق أهراس حاليا و على المدينة المركزية لها و هي تيبرسكو النوميدية (Tubursicu numidarum). و يذكر لاسير حوالي عشرون موقعا أثريا تضمنت نقوشها أسماء نوميدية[3].

و قد قلص الرومان المحتوى السياسي للشعب النوميدي و أزالوا عنه مفهوم الأمة المتميزة، ليحصروا مصطلح النوميد في اسم لقبيلة شهيرة. بينما احتفظوا به كتسمية للإقليم

[1]محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 158.

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 164.

[3]Jean-Marie Lassère ; Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, éd centre national de la recherche scientifique, paris,1977. P 359.

الجغرافي النوميدي الذي كونوا منه ولاية رومانية متغيرة الحدود هي موريطانيا القيصرية، ليصبح سكان هذا الإقليم يتسمون بالموريين في مصطلح الإدارة الرومانية. أما أشهر القبائل المكون لهذا الاتحاد القبلي هي الماسيل(Massyles)و الماسيسيل(Masaesyles) وهي أيضا التي تنسب إليها أيضا تسمية المملكة النوميدية [1].

تأسيسها: يواجه الباحث عن كيفية تأسيس المملكة النوميدية الكثير من الصعوبات المتعلقة بزمن ومكان ظهورها لأول مرة فأغلب المصادر التي تحدثت عنها بشيء من التفصيل تعود أغلبها الى القرن الثالث زمن حدوث الحروب الرومانية القرطاجية، في حين تميزت المرحلة السابقة بالغموض نسبيا باستثناء بعض الاشارات لها حيث ذكر مثلا جوستين أن الملك الليبي هيرباص كان ملك للماكزيس و هو الذي تقدم لخطبة الملكة عليسا و كانت مملكته توجد شمال البلاد التونسية وتبقى هذه الإشارة مجرد فرضية بنى عليها بعض المؤرخون فرضياتهم حسب ما أورده كل من كامبس و استيفان قزال الذي انطلق من إشارة أخرى لديودور الصقلي ذكر فيها خلال حديثه عنى حملة القائد الاغريقي أقاتوكليس تحالف هذا الأخير مع ملك ليبي يدعى الماس صاحب الملك في العاصمة توكاي التي أجمع معظم المؤرخين على أنها مدينة دقة الحالية[2].

كما أشار بوليبيوس خلال ذكر لحرب المرتزقة شخصية ليبية أخرى وهي لقائد النوميدي نارفاس كان قد انظم للبونيين بعد أن حاربهم في البداية و كان قائدا لألف فارس تابعين كلهم له و ليس للقرطاجيين[3]. كل هذه الإشارات للإرهاصات الأولى للمملكة النوميدية لم تعطينا تاريخا و لا مكانا مضبوطا لبداية المملكة النوميدية و لا حتى كيفية تكون اتحادها القبلي الماسيل إلا بعد الحرب الرومانية القرطاجية الثانية حيث بدأت الصورة تتضح نوعا ما من خلال ذكر المؤرخين للعلاقات التي كانت تربط والد ماسينيسا قايا بالدولة القرطاجية و ارسال ماسينيسا للقتال إلى جانب القرطاجيين في اسبانيا ثم عودته للمطالبة بعرش آبائه

[1] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص ص 162،164.

[2] كامبس: ماسينيسا... المرجع السابق، ص 215.

[3] Polybe, XV , 18,5.

وأجداده لتظهر معالم المملكة أكثر مع تولي ماسينيسا للحكم بعد قضائه على صيفاقص ملك المملكة النوميدية الغربية[1].

2ـ المملكة النوميدية الغربية (المازيسيلية الموقع التسمية و النشأة) :

2ـ 1ـ الموقع الجغرافي: تقع المملكة النوميدية الغربية ما بين حدود المملكة النوميدية الشرقية و تموضع قبائل الماسيل شرقا و حدود المملكة المورية و تموضع القبائل المورية غربا، حيث تغطي مساحتها كامل الوسط و الغرب الجزائري و تجدر بنا الإشارة كما ذكرنا سابقا أثناء تحديدنا لحدود المملكة النوميدية الشرقية على أنها لم تكن قارة و خاضعة لتغير ميزان القوة بين المملكتين[2].

و يحاول ستيفان قزال اعتمادا على ما أورده بلين أن يضع القبائل المازيسيلية في داياتها الأولى في المغرب الأقصى منطقة طنجة ثم زحفوا بعدها نحو الشرق(ربما يود الباحث من خلال رسم الحدود القديمة على هذا الشكل التأصيل للحدود الجزائرية التي رسمتها فرنسا بعد ذلك)، حيث أصبحت حدودهم بعد ذلك تمتد من نهر ملوية غربا و تنتهي عند رأس تريتونيس شرقا بالقرب من القل حاليا.

وصفت أراضي المازيسيل من قبل المؤرخين القدامى مثل سترابون على أنها مزدهرة كونها تغل مرتين في السنة أي في الربيع و الصيف[3].

2 ـ 2ـ التسمية والنشأة: تفيد أقدم الاخبار التي وصلتنا عن المملكة النوميدية الغربية عن طريق المؤرخ بوليبيوس بأن الملك صيفاقص ملك المازيسيل كانت تربطه علاقات ود و صداقة عميقة مع الطرف القرطاجيبدأ من سنة 213 ق.م حيث كان المازيسيليون يشكلون جزءا كبيرا من الجيش القرطاجي في اسبانيا هذه الأخيرة التي حاولت المحافظة على هذه الصداقة أطول فترة ممكنة اعتمادا على قوة هذا الجار بعد وفاة الملك قايا والد ماسينيسا[4].

بينما يشير المؤرخ تيتيوس ليفيوس أن أواصر الصداقة بين الدولتين لم تكن مستمرة بل اعترتها الكثير من التوترات حيث قامت قرطاجة قبل وفاة الملك قايا بالتحالف معه و اعلان

---

[1] غانم محمد الصغير : المملكة النوميدية و الحضارة البونية...، المرجع السابق، ص 69.

[2] كامبس: ماسينيسا...المرجع السابق، ص 284.

[3] Strabon, Geographie, TII , 5, 33.

[4] غانم محمد الصغير: المملكة النوميدية .. المرجع السابق، ص 59.

الحرب على صيفاقص لكنها سرعان ما تراجعت عن ذلك بعد سماعها بمحاولات الرومان لاستمالة حليفها السابق صيفاقص و حتى تثيت له حسن نواياها من جديد قررت تزويجه من الاميرة صوفونزبة بعد أن كانت خطيبة القائد ماسينيسا[1].

يبدو أن قرطاجة كانت تحاول بناء علاقات سياسية في المنطقة النوميدية وفق مصالحها الخاصة حيث كانت تسعى جاهدة للإبقاء على صراع الاخوة الأعداء والمقصود يجب أن تبقى الجارتين المملكتين النوميديتين في حالة صراع دائم.

3ـ المملكة المورية (الموريطانية الموقع و التسمية و التأسيس): لم تسمح لنا المصادر الأدبية و المادية بتتبع نشأة هذه المملكة مثلها مثل باقي الممالك النوميدية حتى نهاية القرن الرابع حيث بدأت بعض الإشارات المقتضبة حيث ذكر جستين أن حنون قد حاول التحالف مع ملك موري في انقلابه ضد قرطاجة لتسكت المصادر قرنا من الزمن لتعود و تذكر لنا اسم ملك موري يدعى باقا كان حيفا و معاصرا للملك ماسينيسا أثناء الحرب الرومانية القرطاجية الثانية ، فحسب تيت ـ ليف أن الملك باقا قد وضع تحت تصرف ماسيميسا أربعة آلاف فارس لمساعدته في استعادة أراضي أجداده من الملك صيفاقص الذي قرر ضم المملكة النوميدية الشرقية و توحيد النوميديتين[2].

في الحقيقة ليست لدينا معلومات دقيقة حول ما إذا كان باقا هو المؤسس أم أنه مجرد حاكم من حكامها لتنقطع معلوماتنا مجددا لمدة قرن كامل لتعود مع سالستيوس الذي ذكر هو الاخر اسم ملك من ملوك المملكة المورية قائلا: (كان كل المور تحت سلطة الملك بوكوس الذي لا يعف الرومان غير الاسم) و بالتالي مع نهاية القرن الثاني ق.م لم يكن لموريطانيا سوى ملك واحد هو بوكوس [3] اتسعت في عهده المملكة نحو الشرق بسبب ضم قسم كبير من أراضي المملكة النوميدية الموحدة على يد يوغرطة و المقدرة بثلثي نوميديا مكافأة له على تحالفه مع الرومان و القضاء على يوغرطة.

---

[1] غانم محمد الصغير : المرجع نفسه، ص 61.

[2] غانم محمد الصغير: المملكة النوميدية...، ص 76، 77.

[3] محمد حسين فنطر : يوغرطة من ملوك شمال افريقيا و أبطالها، الدار التونسية ، تونس، ص269.

و قد ذكر أيض الجغرافي سترابون في القرن الأول ق.م أن الملك بوغود استطاع ملاحقة الاثيوبيون إلى ما وراء الاطلس.

تعتبر معلوماتنا جد قليلة عن التنظيم السياسي و الإداري و الاجتماعي و الاقتصادي و الديني في المملكة إذا ما قارناها بنظيرتها في المملكة النوميدية، و مع ذلك يمكننا الوصول إلى بعض الحقائق بخصوص نظام الحكم و طرق التسيير مثلا فالغالب هو تأثر المنطقة ككل بالحضارة البونية و دليل ذلك اكتشاف نقيشة وليلي التي جاء فيها طريقة التسيير البلدي البونية التي تعتمد على ثلاثة أشفاط أو قضاة[1].

[1] كامبس: ماسينيسا...، المرجع السابق، ص 115.

المحاضرة الثالثة عشر: أهم مظاهر الحياة السياسية والفكرية للمملكة النوميدية

أولا : التنظيم السياسي و الإداري للمملكة النوميدية:

1- التنظيم السياسي لمملكة النوميدية :

إن الإشارة الواردة عند " جوستنيان" المتعلقة بشخصية " **هرباس**"، ملك قبيلة الماكسيتاني تجعلنا نتوقع إمكانية وجود نظام سياسي منذ الاتصالات الفينيقية الأولى بالمغرب القديم، خاصة أن هذا الملك قد أكترى قطعة أرض كان يحكم عليها لعليسة مؤسسة قرطاجة 814 ق.م، بل طلب منها الزواج و هذا دليل على سلطته الفعلية في المنطقة.

غير أنه و بحلول القرن الرابع ق.م تبدأ معالم التشكيل السياسي يظهر من خلال إشارة لديودور الصقلي، حيث أنه و لأول مرة يذكر ملك ليبي يدعى " **أليماس** " ، الذي تحالف مع " القائد الإغريقي " أجاتوكليس عندما غز المغرب القديم و يعتقد عاصمته كانت دوقا التي نزل بها القائد أجاتوكليس و أومارك ما بين " 308-307 ق.م . و بهذا فقد أتفق العديد من المؤرخين على ان هذه الشخصية يمكن أن تكون أقدم الملوك الذين عرفتهم مملكة الماسيل و من بينهم ج. كامبس" الذي اعتمد على إشارة وردت في نص بوليبيوس مفادها أن أجداد الملك ماسينيسا، قد حكموا الماسيل لفترة قديمة و أعتبر أليماس من أقدمهم و جعله على رأس الأسرة الماسيلية[1].

و حسب نقيشة دوقا الثانية، فإن الملك " **جايا**"، كان ملكا في غضون ثورة المرتوقة (241-237 ق.م) على مملكة الماسيل، كما أنضم للقرطاجين في حروبهم مع الملك سيفاقس حوالي " 213 ق.م [2].

بعد موت الملك جايا حوالي 206 ق.م، تولى الحكم أخوه **أوزاليسيس Ozalces** " الذين كان طاعنا في السن و بعد وفاته حكم ابنه " **كبوسا Capussa** " لأنه

---

[1] كامبس : ماسينيسا..، المرجع السابق، ص 193

[2] محمد الصغير غانم : المملكة النوميدية...، المرجع السابق، ص 58ـ 59

ربما أكبر فرد في العائلة الحاكمة. إلا أنه بعد موت هذا الأخير ، أستغل أحد قواد المملكة و يدعى " **مازيتول Mazutules** " فرصة غياب الحاكم الشرعي " ماسينيسا"، الذي كان في قادس بشبه جزيرة أيبيريا، يحارب ضمن الجيش القرطاجي ، و أعلن إلى الحكم **للأكومازيس Lacumazes** " و هو الأخ الأصغر لكبوسا لإعطائه الشرعية ، ذلك لأنه أصغر من ماسينيسا سنا[1].

بعدما سمع ماسينيسا خبر تولي لاكوزمازيس الحكم ، عاد لاسترجاع حقه الشرعي بالقوة، حيث استعان بالملك الموريطاني "باجا " Baga " الذي أمده بحوالي 4000 فارس قادهم عبر مملكة المازيسيل إلى الماسيل و أنتصر في المناوشات الأولى و ضم العديد من رجال قبائل الماسيل في صفه[2].

غير أن القائد " مازيتول" استطاع إعادة تشكيل جيشه الذي وصل إلى 15 ألف فارس، لكن أمام حنكة العاهل " ماسينيسا " لم يستطيع الانتصار عليه ، و بهذا أسترجع الملك ماسينيسا الحكم لفرعه العائلي.

وفقا للمعطيات نتصور أن نظام الحكم خلال هذه الفترة كان مستمدا من العائلة التي تضم العديد من الأسر، ثم تطورت إلى قبيلة بضمها العديد من العائلات أو الفروع المنحدرة من جد واحد و كانت تسير هذه القبيلة من قبل شيخ كبير في السن و عند وفاته يتولى الحكم الابن الأكبر في السن في القبيلة الحاكمة و ليس شرطا أن يكون ابن الرئيس المتوفى. فقد يكون من فرع عائلي أخر. كما أنه بدأت تتشكل اتحادات و تكتلات بين القبائل و التي يطلق عليها بالكونفيدراليات، و ربما هذا ما نعبر عنه بالنظام الملكي بدل القبلي. و أصبح الحكم يورث لأبناء الملوك الشرعيين أي من زواج شرعي. مثل الملك " فرمينا " الذي ورث الحكم بعد إلقاء القبض على الملك سيفاقس في معركة سيرتا 203 ق.م . كذلك فعل ماسينيسا مع أبنائه، حيث أعطى خاتمه لأبنه الأكبر " مكوسن" أو ميسيبسا قبل وفاته، و هذا يعني أنه الوريث الشرعي من بعده.

---

[1] كامبس: ماسينيسا...، المرجع السابق، ص 194.

[2] كابس : المرجع نفسه، ص 195.

لكن استدعاء ماسينيسا للقائد الروماني " سيبيون إمليانوس" للإشراف على التتويج الملكي ، أقلب الموازين ، حيث وصل هذا القائد الروماني بعد وفاة ماسينيسا بيومين 148 ق.م، فقسم المملكة على أبنائه الثلاث كلف فيها مكوسن بإدارة المملكة و جلوسن أو غلوسة بقيادة الجيش و مستنبعل بالإشراف القضائي. و أطلق على كل منهم لقب الملك.

طبق الملك مكوسن فيما بعد ، هذا النظام الثلاثي ، حيث ورث الحكم لأبنيه أذربعل و هيمسال و ابن أخيه يوغرطة.

2- التنظيم الإداري للمملكة النوميدية: حسب المعطيات المادية و الكتابية ، تبين أن المملكة النوميدية تملك مدن ساحلية تخضع للنظام الإداري الفينيقي البوني و مدن داخلية محلية متأثرة بسابقتها و قوى قبلية في شكل تجمعات تسيير على حساب النظام القبلي مع تلك القبائل المتنقلة.

أ- المدن الساحلية: بدأت تتشكل المدن الساحلية منذ الألف الثانية ق.م و ذلك بعد وصول سفن الفينيقيين للحوض الغربي البحر المتوسط و إقامتهم لرسكلات بحرية كان الهدف منها لاستراحة التجار من الإبحار أثناء النهار، و الملاحظ كانت تبعد الواحدة عن الأخرى بحوالي 30-45 كلم مما أدى إلى وجود عدد هام منها على السواحل النوميدية ، ثم تحولت تلك الرسكلات إلى محطات تجارية التي تحولت فيما بعد إلى مستوطنات تتكون من قرى و مدن[1].

و هذا بعد حلول القرن السادس ق.م ، حيث سارعت الدولة القرطاجية لتشكيل مستوطنات على سواحل المملكة النوميدية بعد الاحتكاك و التنافس التجاري الذي فرضته عليها دويلات المدن الإغريقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

[1] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع في الشمال افريقي، المرجع السابق، ص 118.

كانت هذه المدن الساحلية تسير على النظام الإداري الفينيقي البوني البلدي، الذي يضم مجلس متكون من كبار التجار يترأسهم شفط (حاكم أو قاضي) و كانت هده المدن مستقلة ضربت العملة باسمها مثل : أيول (شرشال) و روسيكادا (سكيكدة)[1].

ب- المدن الداخلية: أما عن المدن الداخلية فقد تشكلت بسبب احتكاك النوميديين بالقرطاجيين من خلال المدن الساحلية و حتى المدن القرطاجية المجاورة لهم و ما تعرضوا له من السياسية العدوانية القرطاجية من جهة و بسبب سرقة محاصيلهم الزراعية من طرف عصابات من القبائل الرحل من جهة أخرى، جعلت السكان يفكرون في التنظيم و تطوير مراكز عمرانية تقام فيها المبادلات التجارية مثل المدن الساحلية و تكون مرتبطة بقرى مجاورة لها حتى تضمن أمنها و يكون هذا التطور حصل مابين القرن الخامس و الرابع ق.م ، فظهرت عدة مدن مثل تبسة ، سيرتا و دوقا و مكثر...الخ. و كانت هذه المدن متأثرة إلى حد كبير بالتنظيم الإداري البوني ، حيث سارت على نهج التنظيم البلدي المعتمد على الأشفاط و القضاة[2].

اعتمادا على نقيشة دوقا تم استخلاص بعض المعلومات الإدارية في تسيير المدن الداخلية للمملكة النوميدية و المتمثلة في :

- **مجلس أو هيئة مواطنين** : كانت تسير دوقا و سائر المدن الداخلية من طرف **بعلو دوقا** ، و **هو مجلس أو هيئة من المواطنين** يرأسهم في بعض المدن ثلاث أشفاط مثل دوقا و البعض شفطين مثل سيرتا و قد ورد اسم هذا المجلس بالبونية **(ب ع ل ت ب ج ج)** و باللوبية **(س ك ن ت ب ج ج).**

- **مجلس المائة** : اعتمادا على نقيشة دوقا ظهرت عبارة **(م و ش ن، ر ب ، ت م أ ت)** و التي ترجمة لرئيس المائة، فنستنتج أن بما أنه ذكر اسمين لشخصين يعني أنهما يترأسان مجلس المائة ، و ربما هذه الوظيفة مستمدة من المائة أو المائة و أربعة

[1] محمد الصغير غانم: معالم التواجد الفينيقي...، المرجع السابق، ص ص200- 214.

[2] محمد الصغير غانم : الممالك النوميدية....، ص ص 148- 152.

الممارس في صور الفينيقية كما ذكر أرسطو ، و هو عبارة عن مجلس ذوي سلطة قضائية لمراقبة القادة لاسيما أثناء تعرضهم لهزائم حربية.

– **مجلس الخمسون** :لقد ورد أيضا في نقيشة دوقا عبارة **(ا د ر ، ح م ش، ح أ ش)** و التي تعني رئيس الخمسين ، و ربما وظيفة عسكرية أو شبه عسكرية أو عبارة عن جمعية دينية ، لكن لنقص المعلومات يجعلنا لا نستطيع تحديد ذلك.

– **الولاة:** لقد وضع الملوك على رأس المدن ولاة للسهر على تطبيق السلطة الملكية في المدينة، حيث ذكر تيت ليف أن الملك " سيفاقص " ، قد عين على رأس المدن الماسيلية التي أحتلها ولاة.

و الملاحظ أن تلك المدن المستقلة كانت تضرب العملة باسمها تأثيرا بالحضارة البونية ، حيث ثم العثور على قطع نقدية لمدينة سيرتا (قسنطينة) حملت اسمها بالحروف البونية **(ك ر ت ن)**[1] .

جـ– **القرى المحاطة بالمدن:** كانت تحاط بالمدن الكبرى قرى لتأمينها ، و قد سيرت في البداية بنظام إداري محلي مستمد من التنظيم القبلي لاسيما على قبائل الرحل المتواجدين بالمملكة، كانت تخضع هذه القرى لوالي المدينة ، إلا أن البعض منها ارتقى إلى درجة المدن لما شاهدته المملكة النوميدية من ازدهار و تطور اقتصادي في عهد الملك " ماسينيسا و ابنه مكوسن خاصة في القرن الثاني ق.م، كما عملا على تحضير النوميديين و السعي وراء استقرارهم داخل المدن[2].

ثالثا: التنظيم الثقافي و الديني للمملكة النوميدية :

1– الوضعية الثقافية: لقد نالت الثقافة بصفة عامة حضها في المملكة النوميدية في فترة الملوك النوميديين، حيث ظهرت إلى جانب الحضارة الليبية، الحضارة

[1] كامبس: ماسينيسا...، المرجع السابق، ص 314، 315.

[2] محمد الصغير غانم: معالم التواجد البوني...، المرجع السابق، ص 225.

الفينيقية و القرطاجية و الإغريقية ثم فيما بعد الحضارة الرومانية ، و لقد استفادة المجتمع النوميدي من هذه الثقافات المتنوعة و المتعددة في جميع مجالاته الحضارية، لكن هذا التأثير لم يغنيه عن حضارته الليبية المحلية المنتشرة في بعض المدن و القرى و الأرياف و لهذا ظهرت في المملكة النوميدية :

أ- **الكتابة الليبية** : اعتمادا على المصادر العلمية ، تبين الكتابة الليبية كان استعمالها ضيقا نوعا ما ، حيث استعملت من قبل بعض رؤساء القبائل مثل ما بين على أحد نصب مكتشف في منطقة تركابين بالقرب من عين مليلة.

لكن انطلاقها الرسمي كان مع فترة الملوك النوميديين حيث أخذت شكلا آخر ، إذ تنوعت أصوات الحروف التي احتوتها ، و طرأ اختلاف على شكلها ، و ربما كان هذا نتيجة لتأثرهم بالكتابة البونية ، لقد كانت النصب الليبية المكتشفة في القرى وحيدة اللغة ، إلا أنه في عهد الملك " مكوسن " ظهرت إلى جانب هذه الكتابة ، اللغة الرسمية البونية تعبيرا عن استمرارها كلغة ثانية و ما دفعنا إلى هذا القول هو نقيشة دوقا الأثرية[1] .

ب- الكتابة البونية: كان بالمملكة النوميدية إلى جانب الحضارة الليبية المحلية ، الثقافة الفينيقية القرطاجية التي بدأ انتشارها في أوساط هذا المجتمع منذ الاتصالات الأولى العائدة للألف الثانية ق.م . استمرت الدولة القرطاجية في نشرها بمعاملتها الحسنة للسكان في البداية، و كذا من جراء اتصالها بالسكان خاصة في المدن الساحلية نتيجة المعاملات التجارية، هذا و لا ننسى تلك العناصر النوميدية المشكلة لجيش المرتزقة القرطاجي و المتشبعة بهذه الثقافة و التي عملت على نشرها بين أوساط المجتمع النوميدي[2].

هذا إلى جانب تشجيع الطبقات الارستقراطية النوميدية لهذه الثقافة ، التي لعبت العديد من الأدوار في مختلف المجالات ، سواء الإدارية أو العسكرية أو الاقتصادية و حتى

[1] محمد الصغير غانم: معالم التواجد البوني...، المرجع السابق، ص 120، كامبس: ماسينيسا...، المرجع السابق، ص ص 331- 333.

[2] محمد الصغير غانم: معالم التواجد البوني...، المرجع السابق، ص 125.

الدينية، و لان الثقافة البونية كانت بمثابة شعاع حضاري عند الملوك و الأمراء النوميديين و كانوا يسعون لبلوغه فعلموا أبنائهم الثقافة البونية في البلاط القرطاجي مثل ماسينسا مثلا .

و لقد شجع الملوك هذه الثقافة بالزواج السياسي الحاصل من حين لأخر بين الأمراء النوميديين و الطبقات الأرستقراطية القرطاجية ، حيث سجل التاريخ العديد من هذه الزيجات مثل : وعد " عبد ملقارت برقة بتزويج ابنته للأمير النوميدي " نارفاس " أثناء حروب المرتزقة و زواج عم الملك ماسينيسا " أوزكليس من بنت أخ حنبعل ، زواج الملك سيفاقس من صونيسب [1]...الخ.

و وفقا لذلك بلغت الثقافة الفينيقية القرطاجية في المدن الساحلية و الداخلية و أصبحت سهلة الاستعمال و أصبحت اللغة الرسمية للملكة و ضربت العملة بها و كتبت النصب الجنائزية و التذكارية ، و بالتدريج الزمني ظهرت إلى جانب الكتابة البونية ، البونية الجديدة أو الحديثة و أصبحت بديلة للكتابة البونية خاصة بعد وفاة الملك " ماسينسيا" بالإضافة إلى ما سبقت فقد ظهرت إلى جانب الثقافة المحلية و القرطاجية ، الثقافة الإغريقية و اللاتينية و كان الفضل في نشرها يرجع للتجار الإغريق و اللاتين و اتصالاتهم بالموانئ النوميدية[2].

2- الناحية الدينية :

لقد عبد المجتمع النوميدي ، الشمس و القمر إلى جانب مختلف المظاهر الطبيعية كالجبال و المغارات و النجوم و الأنهار ، فضلا عن الحيوانات كالبقر و الكبش و الأسد ...الخ و تؤكد المصادر ان الطقوس الدينية وجدت ببلاد المغرب منذ العهد القفصي[3].

و إذا كان المؤرخ " هيرودوت" قد أكد على استمرار عبادة الشمس و القمر ، فقد اتعبر العديد من المؤرخين أن عبادتي بعل حمون و الإلهة تانيت ما هما إلا امتداد لهذا

1

[2] كامبس: ماسينيسا....، المرجع السابق، ص 239.

[3] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع...، المرجع السابق، صر214.

و عموما فقد كان للنوميديين عند قدوم الفينيقيين الهتم و طقوسهم الدينية التي تتغير إلا شكلا في العصور اللاحقة .

و قد انتقلت العبادة من الكهوف و المغارات إلى المعابد مثل معبد الحفرة بسيرتا الذي يسهر عليه كهنوت خاص أين كانت تقدم الأضاحي و تقام الطقوس الخاصة بمختلف الالهة على رأسها الالهين بعل حمون و تانيت بني بعل.

المحاضرة الرابعة عشر: الحياة الاقتصادية في المملكة النوميدية: سنتناول في هذه المحاضرة كل الأنشطة الاقتصادية التي مارسها الانسان النوميدي بدأ بالنشاط الزراعي و ممارسة الحرف الصناعية و أخيرا التجارة.

أولا- النشاط الزراعي بالمملكة: تعتبر الظروف الجغرافية والمناخية التي كانت تميز منطقة شمال إفريقيا عموما و بلاد النوميديين خصوصا منذ القديم إلى يومنا في نظر معظم الباحثين من أهم العوامل المساعدة على استقرار الانسان به، فتوفرها على شريط ساحلي ضيق ذو مناخ رطب و تربة خصبة يليه كلما اتجهنا نحو الداخل مناطق متنوعة التضاريس بين سهول واسعة ذات مناخ شبه جاف صيفا و ممطر شتاء تحتوي هي الأخرى على أراض خصبة و هضاب تنموا فيها نباتات طبيعية تتلاءم مع تربية الماشية و جبال أكثر ارتفاعا ذات مناخ شبه الجاف صيفا و ممطر شتاء ، صالحة هي أيضا لتربية أنواع معينة من الحيوانات كالماعز و الأبقار. ثم تأتي بعدهما الصحراء التي يوفر قسمها الشمالي أيضا مناطق واسعة صالحة للرعي[1].

لكنهم تساءلوا عن متى و كيف مارس الانسان المغاربي القديم هذين النشاطين في ظل النظام الاجتماعي و السياسي القائم على القبيلة و ما يترتب عنه من صراع بديهي بين قبائل البدو و الحضر و ما ينجر عنه من الممارسات السلبية التي جعلت استقرارها مرهون بمدى تمسكها بالأرض من خلال ممارستها سواء للنشاط الزراعي أو الرعي من جهة و أمنها

[1] اصطيفان أكصيل: تاريخ شمال افريقيا القديم، ج5 ، المرجع السابق، ص 66، محمد الحبيب بشاري: دور المقاطعات الافريقية في اقتصاد روما بين 146ق.م و 285م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006- 2007م، ص 53.

من جهة ثانية[1] فانقسموا إلى فريقين الأول يعود بظهور ممارسة هذا النشاط في صورة محتشمة إلى نهاية العصور الحجرية و الثاني يربطه بفترة فجر التاريخ المبهمة زمنيا ومجيئ الفينيقيين ـ كما سبق و أشرت ـ لذلك و تفاديا للتكرار لن أفتح باب النقاش في هذا الموضوع الخاص بزمن ظهور الزراعة لأنني بعد ما تقدم في الفصل الثالث أصبحت لدي قناعة راسخة بظهور هذا النشاط منذ نهاية العصر النيوليتي و أنه قد عرف تطورا تدريجيا كلما تقدم الزمن نحو المراحل التاريخية.

و عليه فسأكتفي بتقصي مزاولته خلال المراحل التاريخية الأولى وصولا إلى المرحلة النوميدية معتمدة في ذلك على بعض ما ورد في النصوص القديمة و كذلك على بعض الشواهد المادية مع ذكرها حسب تسلسلها التاريخي.

و البداية ستكون بما أورده كامبس نقلا عن هيكاتوس(عاش خلال القرنين السادس والخامس) أقدم من تحدث عن الليبيين الذي كانوا يزرعون الأرض قمحا و يتغذون عليه[2]. ثم تليه تلك الفقرات الهامة لأبي التاريخ هيرودوت(484ـ425ق.م) التي تحدث فيها بشأن الشعوب التي سكنت ليبيا مقسما إياها إلى قسمين ليبيون يقطنون غرب نهر تريتونيس يسكنون البيوت و يزرعون الأرض(زراع مستقرون) و ليبيون يسكنون شرقه يمتهنون الرعي (رعاة متنقلون)[3].

أما بالنسبة لوصفه لطبيعة بعض المناطق في ليبيا فقد صرح قائلا:"... **بلاد سنيبس التي يجري بها النهر الذي تنسب إليه، و هي تختلف أشد الاختلاف عن بقية أنحاء ليبيا ذات تربة سوداء و هي أفضل ما تكون لزراعة الحبوب ترويها مياه الينابيع، ثم إنه لا يخشى عليها من القحط أو سيول المطر... و ما تنتجه من محاصيل يعادل محاصيل بلاد بابل. وهناك أرض طيبة التي تأتي في أفضل الأعوام بمائة مثل لكن أرض سنيبس تأتي بثلاث أضعاف هذا...**"[4].

بعد دراستي لهذا النص استوقفتني ثلاثة أمور تمكنت انطلاقا منها استنتاج العديد من

---

[1] اصطيفان أكصيل: تاريخ شمال افريقيا القديم، ج5 ،المرجع السابق، ص 60.

[2] كامبس: المرجع السابق، ص64.

[3] المصدر السابق، ص 367.

[4] هيرودوت: المصدر نفسه، ص369.

الاستنتاجات البسيطة:

1ـ لقد اعترف هيرودوت صراحة بممارسة جزء من الليبيين للنشاط الزراعي و بالرغم من أن هيرودوت قد ذكر فقط بعض القبائل التي كانت تقطن شرق ليبيا و أهمل ذكر من كانت تسكن غربها إلا أن الذي يهمنا أكثر أنه خص الليبيين الذين يسكنون غرب نهر تريتونيس وهم المستقرون المزارعون حسبه مما يجعلني على الأقل أفترض بأنه من الممكن أن تكون القبائل الأخرى التي تسكن المناطق الواقعة شرق ليبيا ـ أقصد هنا تلك القاطنة غرب تونس و شرق الجزائر الحاليةـ كانت هي الأخرى تمارس الزراعة خصوصا أن الطبيعة الجغرافية والمناخية لهذه الأخيرة تساعد على ذلك.

2ـ إن الربط بين الفترة التي عاش فيها هيرودوت و الحدث التاريخي الهام الذي غير من السياسة الاقتصادية لقرطاج وهو معركة هيميرا(480ق.م) هذه الأخيرة التي دفعت بالقرطاجيين إلى اتباع سياسة الوجهة الافريقية التي تعتمد على افتكاك أراضي الليبيين النوميد و تحويلها إلى مزارع و ضيعات زراعية[1] بامتياز معتمدة في ذلك على الأغلب على خبرة الليبيين الذين استعملتهم كعمال، لأنه من غير الممكن في اعتقادي أن يتحول الفرد القرطاجي من تاجر قضى عمره على السواحل متنقلا يبيع و يشتري إلى مزارع مستقر فجأة لأن ذلك يتطلب على الأقل زمنا حتى يستطيع هذا الأخير التأقلم مع الوضع الجديد و هنا هو بحاجة لمن يستعين به أقصد الفرد الليبي الذي ألف التعامل مع أرضه.

3ـ تخص النتيجة الثالثة قضية اعتماد الليبيين على زراعة الحبوب بالدرجة الأولى و الأهم هو استعمالهم لمياه الينابيع لسقي محاصيلهم مما يجعلني أستنتج بأن الليبيين في ذلك الزمن (القرن الخامس) قد عرفوا الزراعة المروية من خلال اعتمدهم على أنظمة معينة للري تمكنهم من الاستغناء على الزراعات البعلية على الأقل وقت الجفاف.

4ـ جعلت كثرة انتاج الحبوب في هذه المنطقة من ليبيا التي جعلت هيرودوت يقارنه بإنتاج أكثر المدن قوة و شهرة في ذلك الوقت وهي مدينة بابل عاصمة الامبراطورية البابلية. هذا الأمر الذي عمق إيماني أكثر بممارسة القبائل الليبية الأخرى للزراعة التي كانت تسكن المنطقة الغربية لقرطاج (بلاد المملكة النوميدية الشرقية مستقبلا) لأن السؤال الذي يطرح

[1]Polybe, III, 30–2, محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، المرجع السابق،ص 43.

نفسه هنا إذا كان الليبيون في المناطق الشرقية لقرطاج خلال القرن الخامس قبل الميلاد(5ق.م) قد مارسوا الزراعة بامتياز ما الذي يمنع نظراءهم في الجهة الغربية لها من ممارسة ذات النشاط خاصة أن بلادهم تتوفر على نفس العوامل الطبيعية والبشرية التي تمكنهم من ذلك؟.

إن اقتصار هيرودوت على ذكر القبائل الليبية الواقعة شرق المناطق القرطاجية و إهماله لبقيتهم قد جعل بعض الباحثين المحدثين يستخدمونه كدليل على عدم معرفتهم للزراعة كالباحث ستيفان قزال الذي قال:" **لقد انتشرت الزراعة ببطيء شديد عند الليبيين فإذا كان سكان شرق تونس يتعاطون في القرن 5ق.م لزراعة الحبوب، و إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للسكان الذين أخضعتهم قرطاجة لسيطرتها المباشرة، فإن أكثرية النوميديين و الموريين من سكان شمال الجزائر و المغرب يقتصرون على تربية الماشية و ذلك حتى في الجهات التي قد تمكنهم فيها التربة من الاقتداء بما يفعله الأهالي في شرق بلاد البربر...**"[1].

يبدو أن ستيفان قزال قد قرأ نص هيرودوت و أوله حسب ما كان هو يريد ووظفه لغرض استعماري محظ و هو جعل البلاد النوميدية عاجزة عن القيام بأي فعل حضاري حتى مع توفر كل الشروط اللازمة دون تدخل الأجنبي و قد وجدوا في قرطاجة النموذج الأول متجاهلا العددي من الحقائق التاريخية و الأثرية نكتفي هنا بذكر واحدة منها فقط و هي أن القرطاجيين هم نتاج امتزاج بين الفينيقيين و الليبيين، لذلك لا يمكن للباحث في اعتقادي التعامل معها على أساس أنها حضارة شرقية فقط.

لكن و للأسف فقد اتبعه في ذلك بعض الباحثين المعاصرين منهم الباحث محمد الحبيب بشاري الذي حذا حذوه قائلا:"... **بأن الليبيين قد مارسوا زراعة الحبوب منذ وقت مبكر لكن الذي وسعها أكثر في الأراضي الافريقية و مقدمتها الأراضي النوميدية هم القرطاجيين**"[2].

في الحقيقة أنني لم أجد أي سبب مقنع يجعل هذا الأخير يعتقد بأن القرطاجيين هم من

[1] المصدر السابق، ص 66.

[1]المصدر السابق، ص 54.

وسع فعلا الزراعة في البلاد النوميدية؟ و إن كنت لا أنفي البة فضائل الحضارة البونية على كامل شمال إفريقيا، خصوصا أن كل الأدلة التاريخية و الأثرية تؤكد عكس ذلك إذا تمت قراءتها باتجاه آخر لهذا في اعتقادي بأنه قد حان الأوان كما قال الباحث محمد العربي عقون من تحرر الفضاء الأكاديمي للبحث و تصحيح الكثير من المغالطات التي تملأ الكتابات الكولونيالية و هذا من أجل التأسيس لنص تاريخي متحرر من إملاءات النزعات الأيديولوجية الكولونيالية على حد تعبيره[1].

لقد ترك لنا سكان المنطقة الواقعة غرب قرطاج ـ بلاد النوميديين بما فيها إقليم كالما وما جاورها ـ العديد من الآثار المادية التي تثبت قدم مزاولتهم لهذا النشاط قبل القرون الأخيرة لما قبل الميلاد كنت قد تناولتها بشيء من التفصيل في المطلب الثاني من المبحث الثالث و كامل المبحث الرابع من الفصل الثالث لذا سأكتفي بذكر مثالين مهمين لهما علاقة مباشرة بهذه المنطقة: الأول يخص إحدى المواقع بهذه المنطقة و يتعلق الأمر بتلك المشاهد الزراعية التي لا تزال الرسوم الصخرية تحتفظ بها في عدد معتبر من المناطق كمخبأ الأروية بالشافية[2].

بينما يتعلق الثاني بآثار التهيئات الزراعي بقطع تازبنت بجبل موستيري في تبسة التي يرى الباحث قابريال كامبس بأنها تعود لفترة أقدم يستحيل تحديدها لكنها تتوافق حسب رأيه مع فترة لم يكن البربر فيها قد تخلوا بعد عن استعمال الأدوات الحجرية، معتمدا في ذلك على وجود عدد من القبور الميغاليتية بالجبل ذاته كدليل عن وجود سكان كانوا مستقرين هم من أقاموا هذا التجمع الفلاحي الذي يعود حسب ما توفر له من معطيات إلى فترة سابقة لعهد ماسينيسا بكثير[3]. و يوافق الباحث شوفاليي كامبس الرأي في مسألة المنشآت الهيدروليكية في نفس الموقع قائلا:(... يؤدي بنا كل هذا إلى الاقرار بأن المنشئات المائية التي نظمها

---

[1] موسوعة الفلاحة الأفريقية الهوية و الأهمية...، ص 248.

[2]Bobo J. Et Morel. J, Les peintures rupestres de l'Abri du Moflon et la station préhistorique du Hammam Sidi Djellaba dans la Cheffia (Est constantinois). Libyca, t. III, 1953, pp : 163-167.

[3] المرجع السابق، ص 101.

الرومان فيما بعد من أصل محلي، و الفكرة مستوحاة من طبيعة البلاد ذاتها...)[1]

كما يرى أيضا بأن سكان تازبنت المزارعون لا يختلفون كثيرا في نمط حياتهم عن المجموعات البربرية الكبرى التي لا تزال تعتمد في اقتصادها على الجمع بين زراعة المدرجات الجبلية و تربية الحيوانات مع السكن بأغنامهم و أبقارهم في نفس المكان[2].

و الجدير بالذكر أن هناك الكثير من المناطق في نوميديا بما فيها مختلف المواقع المكونة للإقليم المدروس بحاجة لتنقيبات و أعمال أثرية ميدانية جادة و موضوعية من شأنها أن تكشف عن الكثير من المعطيات الخاصة بممارسة سكانها للنشاط الزراعي قبل الفترة النوميدية و في انتظار ذلك لا يسعني إلا أن أوظف بعض المعطيات الجغرافية و المناخية التي تخص المنطقة و التي قمت بدراستها بالتفصيل في الفصل الأول. حيث أن اختلاف مظاهر السطح بها أدى إلى تنوع تضاريسها بين الجبال و السهول بنوعيها الضيقة و الواسعة(سهول واد الزناتي ، تاملوكة، عين مخلوف...) مما جعلها تتوفر على مساحات شاسعة صالحة للزراعة هذا فضلا على احتوائها على عدد معتبر من المنابع المائية من جهة و الكثير من الأودية الدائمة الجريان من جهة ثانية.

و يمكنني أن أستدل على ذلك بقول الباحث ستيفان قزال: (... إن مناطق زراعة الحبوب في الماضي هي تقريبا نفسها اليوم وهي في الغالب الناطق السهلية... كما نجد سهول قسنطينة... قالمة....)[3].

أعتقد بأن هذه الظروف ذاتها هي من ساعدت خلال تلك الفترة مختلف الجماعات البشرية في مناطق أخرى على الاستقرار و ممارسة الزراعة بنوعيها الجبلية و السهلية فلما لا نقبل بتأديتها للدور ذاته في إقليمنا خاصة أنه يوفر لنا أدلة مادية موغلة في القدم تدل على استقراره بالمنطقة و أقصد هنا تلك المقابر الميغاليتية و شبه الميغاليتية الكبرى التي تدل على وجود تجمعات سكانية كبيرة بالمنطقة منذ فجر التاريخ و بداية الفترات التاريخية القديمة خاصة أن أغلب المواقع الجغرافية لتلك المقابر توجد بالقرب من مساحات شاسعة

[1]Chevalier (R), La centuriation romaine et la mise en valeur des sols dans la province d'Afrique ,1958, pp 149 ,153.

[2] كامبس: المرجع السابق، ص 102.

[3] ستيفان قزال: تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج 1، ص ص 147، 148.

صالحة للزراعة و لنا في مقبرة الركنية خير دليل، حيث تحيط بالمقبرة أراضي مشتة السطحة المعروفة بخصوبتها كما يحتوي الموقع أيضا على العديد من الأودية الدائمة الجريان(واد الركنية و واد عجارة...) و عدد من العيون (عين الركنية داخل الموقع و عين الصر...).

أما بالنسبة لثالث مصدر أدبي تناول هذه المسألة نجد المؤرخ الإغريقي بوليبوس الذي تحدث عن أهمية تموين الليبيين لقرطاجة بالحبوب وقت الحروب في قوله: (... لم يكن القرطاجيون بحاجة سوى لأراضيهم لتأمين ما كانوا يحتاجونه من غذاء، أما وقت الحرب فقد كان لزاما عليهم أن يستعينوا بما يؤمنه لهم الليبيون...)[1]. لكنه سرعان ما تخلى عن ذلك في قول آخر له ذكر فيه: (.. أن أرض نوميديا كانت غير مجدية و غير قادرة على الانتاج و الفضل الوحيد يعود لماسينيسا الذي طور امكانياتها الفلاحية...)[2]. بعد قراءتي البسيطة و المتواضعة للنص الأول جعلتني أنتبه للعديد من الملاحظات البسيطة تخص الأولى منها ممارسة القرطاجيين للزراعة و براعتهم فيها لأنهم بفضل ذلك استطاعوا أن يؤمنوا حاجياتهم الغذائية أو كما يصطلح عليه في وقتنا الحالي تحقيق أمنهم الغذائي و هو أمر منطقي يتناسب مع الظروف الاقتصادية الجديدة لقرطاج بعد القرن الخامس قبل الميلاد.

في حين تتعلق الثانية بازدهار ممارسة نفس النشاط من قبل الليبيين الذين هم أيضا استطاعوا وقتها تلبية كل احتياجاتهم مما جعلهم يقدمون المساعدات للقرطاجيين وقت الحرب و لعل بوليب يقصد هنا الحروب الرومانية- القرطاجية خاصة الأولى و الثانية. و هو أيضا أمر منطقي و موضوعي يتناسب مع تراكم الخبرات الليبية بعد ممارستهم لهذا النشاط منذ زمن بعيد جدا أكدته المصادر الأدبية القديمة السابقة الذكر و كذا المعطيات الأثرية السابقة و اللاحقة لهذه الفترة.

بينما تتعلق الثالثة بالأسباب التي جعلت بوليب يناقض نفسه ينصف الليبيين في النص الأول ثم يتراجع عن ذلك في النص الثاني. أعتقد بأن السبب الأول مرتبط بتحامله على القرطاجيين لدخولهم في الحرب ضد الرومان هذا من جهة و من جهة ثانية فكأنه يود

[1]Picard, (Ch.), La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, III siècle av J.C, paris 1958, p 83.

[2] ستيفان قزال: تاريخ إفريقيا الشمالية ،ج

مكافأة الليبيين على تمردهم على القرطاجيين في الحرب الرومانية القرطاجية الأولى من خلال ثورة الجند المرتزقة سنة (241ق.م)[1]. أما بالنسبة لقوله الثاني فما هو إلا مدحا مبالغا فيه موجه لشخص ماسينيسا صديق روما و حليفها في قضائها على قرطاج.

أما الباحث كامبس فقد برر قول بوليب الثاني معتبرا إياه قولا موضوعيا يتناسب و الفترة الزمنية التي كتبه فيها، هذه الأخيرة التي تواكب آخر أيام حكم الملك ماسينيسا و في هذه الحال هو يعتقد بأن ما رآه بوليب أثناء زيارته لنوميديا مع صديقه سيبيون الايميلي الذي جاء لعقد صفقة الفيلة مع الملك ماسينيسا و استقبالهما من طرفه سنة(150 ق.م) من أعمال حصاد القمح و الشعير لذلك فمنظر الحصاد في موسم جيد هو حسب رأيه الذي أثر على حكمه[2].

يبدوا في اعتقادي بأن الباحث كامبس يود هو الآخر أن يكافئ ماسينيسا بمحاولته إيجاد مبررات لتصريحات بوليب رآها هو منطقية و موضوعية. و مع ذلك لا يمكنني اطلاقا أن أغفل الانجازات الكبيرة التي قام بها ماسينيسا في المجال الفلاحي طيلة الستتة و الخمسين عاما التي حكمها، حيث تشير كل الشواهد المادية على أنه قام باستصلاح مساحات شاسعة حولها إلى مزارع ملكية تقع بالقرب من المدن أو تحيط بها ، مما جعل البعض منها يحمل عبارة ريجيا أو ريجيوس(ملكية) كصفة تتبع اسمها مثل زاما ريجيا، هيبوريجيوس...الخ.

لذلك من الممكن جدا أن تكون أراضي تلك المدن جزء من الدومان الملكي أي ضمن أملاك الملك الخاصة مع احتمال أن تهيئة أراضيها كان قد تم قبله و البعض الآخر منها أكمله هو و من جاء بعد[3]. و لن أجد دليلا على التطور الذي عرفه النشاط الزراعي في عهد ماسينيسا أفضل من تلك النقيشة المكتشفة في بلاد الاغريق و التي تشير إلى أن الملك ماسينيسا قدم كمية من القمح قدرها (2796 ميدم و نصف) إلى معبد الاله أبولون بجزيرة

[1] Julien(Ch. A), Histoire de l'Afrique du Nord, Tunisie, Algérie, Maroc, t1, p p 72, 73.

[2] المرجع السابق، ص 255.

[3] كامبس: المرجع السابق، ص 257.

ديلوس[1]. إضافة إلى تلك الأرقام الدقيقة التي ذكرها المؤرخ تيت ـ ليف المتعلقة بتلك الكميات الكبيرة من القمح الذي كانت نوميديا تنتج أضعافا مضاعفة منها لدرجة أن ملكها أصبح يقدم هبات منه لأكبر امبراطوريات ذلك العصر.

صادرات المملكة النوميدية من القمح و الشعير:

أذكر على سبيل المثال تزويده للجيوش الرومانية بكميات معتبرة من الحبوب خلال حملاتها على الشرق، فقد أرسل حوالي مائتي ألف لبيرة من القمح و الشعير للجيش الروماني المعسكر في مقدونيا سنة (200ق.م). في حين أرسل بنفس الكمية أيضا من القمح للجيش الروماني المعسكر في الاغريق خلال سنة (198ق.م). بينما في سنة(191ق.م) فقد بعث إلى العاصمة روما بثلاثمائة ألف ليبرة من القمح و بمائتين و خمسين ألف من الشعير. كما أرسل أيضا في نفس السنة بخمسمائة ألف ليبرة من القمح و ثلاثمائة ألف ليبرة من الشعير إلى الاغريق. أما خلال سنة 171ق.م فقد مون جيش مقدونيا بكميات معتبر من القمح وصلت في سنة 171ق.م إلى المليون اليبيرة.

إن القاء مجرد نظرة على الأرقام السابقة تكفي لمعرفة أمرين هامين يتمثل الأمر الأول في أن صادرات المملكة الماسيلية من القمح في زيادة معتبرة و سريعة من فترة إلى أخرى فلو أخذت مثلا الفترة الممتدة من 198ق.م إلى 191ق.م التي عرفت فيها كميات القمح التي قدمها ماسينيسا إلى الرومان زيادة قدرها أربعة أضعاف الكميات المرسلة لهم قبل سنة 198ق.م، و هذا دليل واضح على تطور ممارسة النشاط الزراعي بعد تولي الملك ماسينيسا عرش المملكة.

كما تمكنت أيضا بعد اطلاعي على كميات القمح التي قدمها الملك كهبات خلال الفترات السابقة إلى سكان جزيرة ديلوس قدرت بحوالي 11600قنطار[2] من التأكيد وجهة نظر الباحث كامبس بأنها مجرد مساهمات محدودة من قبل مملكة الماسيل و لا تمثل سوى نسبة ضئيلة مما كانت تنتجه و إلا لما استاء ملكها ماسينيسا من قرار روما بدفع ثمن القمح له[3].

---

[1] محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة لنشأة الزراعة و تطورها في بلاد المغرب، مجلة العلوم الانسانية ، ع17، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر 2002، ص 170.

[2] كامبس: المرجع السابق، ص 243.

[3] المرجع نفسه، ص 243.

لذا إنا أعتقد بأن المملكة الماسيلية قد أصبحت من بين المنتجين الأوائل للقمح في الحوض الغربي للمتوسط خلال فترة حكم ملكها ماسينيسا. و السؤال الذي يطرح نفسه هنا من أين كان ماسينيسا يحصل على كل تلك الكميات من القمح؟ أو بصيغة أخرى هل كان اعتماده على المزارع الملكية الكبرى التي كانت منتشرة عبر كامل ربوع مملكته أو من الجباية أم من كليهما معا؟.

الجدير بالذكر أن ماسينيسا في سنة 170ق.م لم يكن قد استولى بعد على السهول الكبرى لواد مجردة(سهول أمبوريا) التي تعد من أخصب الأراضي المتخصصة في زراعة الحبوب و التي كانت لا تزال تحت السيطرة القرطاجية. و هذا دليل ثان على أن كل الإنتاج من الحبوب المذكور آنفا كان نوميديا خالصا[1].

يبدوا أن التطور لم يخف المؤرخ ديودور الصقلي الذي أبدى اعجابه ببراعة ماسينيسا في العمل الزراعي في قوله: (...لقد برع ماسينيسا كثيرا في العمل الزراعي ،حيث ترك لكل ولد من أورلاده مساحات شاسعة تقدر حوالي بعشرة ألاف بلثر(Plethres 10000) مزودة بكل الأدوات اللازمة لاستغلالها...)[2].

يبدوا من خلال هذا النص بأن ازدهار المجال الزراعي قد استمر زمنا طويلا بعد الملك الراحل ماسينيسا إلى غاية سنة 46ق.م التي عبر فيها يوليوس قيصر عن سعادته بالنصر الذي حققه في إفريقيا من جهة و احتفاله بمأوية سقوط قرطاج من جهة ثانية قائلا: (لقد ضممت إلى روما بلدا يستطيع تزويدها بما تحتاجه من القمح...)[3].

3ـ نماذج من المزروعات النوميدية: يبدوا أن النوميديون قد مارسوا زراعة أنواع مختلفة من المزروعات كانت الحبوب على رأسها القمح و الشعير إضافة إلى معرفتهم لزراعتهم بعض الخضراوات و الأشجار المثمرة كشجرة الزيتون، الكرمة، التين، الرمان هذا فضلا عن استخدامهم لبعض النباتات و الأعشاب البرية كغذاء بعد طبخها.

---

[1] المرجع نفسه، ص 243.

[2] ستيفان قزال: تاريخ إفريقيا الشمالية...، ج5، ص.163.

Decret (F) et Fantar(M.H), L'Afrique du nord dans L'antiquité des origines au V siècle, éd, Payot, Paris, 1981, p 133.

[3] Picard(Ch), La civilisation de l'Afrique Romaine, éd 2, paris, 1990, p59.

عرفت المنطقة النوميدية أيضا زراعة الشعير التي كانت تحل في بعض المناطق محل القمح خاصة منها الأراضي ذات الطابع الجبلي حيث التربة الخفيفة المناسبة لزراعة هذا النوع من الحبوب[1].

هذا فضلا عن زراعتهم لبعض الخضار لكنهم كانوا يفضلون البقول الجافة كالفول[2]و البازلاء و الحمص و العدس. كما كانوا يقومون أيضا بزراعة الثوم الذي كانوا يستهلكونه بكثرة إلى جانب البصل و الكراث و اللفت و كل عائلة اليقطين لأن هذه الأخيرة تتكيف كثيرا مع مناخ البحر المتوسط و تشكل مكونا أساسيا في تحضير مختلف أطباقهم الغذائية[3].

أما بالنسبة لبعض النباتات البرية التي كانوا يقومون بجمعها من الطبيعة مباشرة و إدخالها في تحضير طعامهم نذكر على سبيل المثال نبتة الخرشوف البري ، الكبار، فليو، النعناع، الخزامة و القائمة طويلة[4]. و يمكنني هنا أن أستدل على ذلك بقول المؤرخ الروماني سالوست و إن كان فيه بعض المبالغة:(....أما غذاء الجيتول و الليبيون فكان لحوم الحيوانات البرية و أعشاب الحقول...)[5].

3ـ 2 ــ الزراعات الشجرية: عرفت بلاد شمال إفريقيا القديم عموما و منطقة نوميديا خصوصا زراعة العديد من الأشجار التي لم تكن فيها حسب رأي بعض الباحثين بحاجة إلى أي تأثير أجنبي فينيقي أو محلي قرطاجي لأنها ببساطة كانت أراضيها تتوفر على بعضها

---

[1] كامبس: المرجع السابق، ص ص 202، 204.

[2] يسمي الليبيون الفول من سيوة المصرية إلى غاية المغرب الأقصى بإباون(Ibaun) مع وجود اختلافات بسيطة في نطقه. ينظر : Laoust (E) , Mots choses berbères, Notes de linguistique, et d ethnographies , Paris 1920 p 268. تعتبر نبتات الفول من أكثر النباتات المناسبة لشمال إفريقيا لأن من بين النباتات التي لا تخشى الجفاف بفضل جذورها الطويلة ، و زد على ذلك قدرتها على تثبيت الآزوت الموجود في الهواء الذي يشكل سمادا طبيعيا يزيد في خصوبة التربة مما يسمح بزراعة كل أنواع الحبوب فيها فيما بعد ينظر ستيفان قزال: تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج 1، ص 150.

[3] Pline Lancien, Histoire Naturelle, trad, M.Ajasson, éd, Panckouke, , Paris, 1829 , XIX, 22_ 1, 43_2.

[4] كامبس: المرجع السابق، ص106.

[5]Salluste, Bellum Jugurthinum, XVII, XVIII.

طبيعيا نذكر شجرة الزيتون، الكرمة(الدالية)، اللوز و غيرهم[1].

أبدأ أولا بزراعة شجرة الزيتون التي اختلف الباحثون حول أصولها الأولى و طرحوا عدة إشكاليات تتعلق أغلبها بمن أدخل هذه الشجرة إلى شمال إفريقيا متى و كيف؟ و التي لا يسعن ذكرها كلها في هذا المقام لذا سأكتفي بذكر رأي باحثين منهم فقط لتبين ذلك الاختلاف في وجهات النظر بينهم من جهة و تعدد قراءتهم لنفس النصوص و توظيفها حسب ما يريد كل واحد منهم.

يرى الباحث كامبس بأن هذه الشجرة موجودة في شمال إفريقيا قبل مجيء الفينيقيين و أن سكانه كانو يستخلصون مادة الزيت منه معتبرا بأن هذه المرحلة من القطف و الانتاج قديمة و خالية من أي تأثير أجنبي لأنها تتم بطريقة بدائية مثلما كان أسلافهم النيوليتيون يستخرجونها من ثمار العناب و النشم، هذه الطريقة التي لا تتطلب أي كفاءة تقنية على حد تعبيره و قد اعتمد في ذلك على قول سكولاكس: (إن سكان جربة كانوا يصنعون الزيت من عصر ثمار الزيتون). في حين تكمن المرحلة الثانية حسبه في تحويل غابة الزيتون البري إلى بستان زيتون غير منتظم و بأشجار هرمة التي شبهها بتلك الأشجار البرية المزبورة المنتشرة في زمانه بسفوح جرجرة و الريف و زرهون. بينما تبدأ المرحلة الأخيرة بظهور بساتين الزيتون المغروس بانتظام زمن الفينيقيين و الرومان[2].

إن استعمال الليبيين القدامى لاسمين مختلفين للدلالة على نمطين مختلفين من نفس الشجرة يعتبر حسب نفس الباحث دليلا على أنهم كانوا يعرفون التطعيم في نفس الفترة التي كان فيها الفينيقيون يقومون بغرس بساتين الزيتون الأولى في شمال شرق تونس[3].

أما بالنسبة لانتشار زراعة الزيتون و توسعها في المنطقة قبل العهد الروماني فقد كتب يوليوس قيصر بأنه عندما وصل منطقة أقار (Aggar) المحاصرة من قبل الجيتول انطلق هو بفرقة من الجيش يبحث عن المؤن في المناطق القريبة منها و قد عاد و معه كميات

[1] كامبس: المرجع السابق، ص ص 112، 117ـ 118.

[2] المرجع نفسه، ص 113.

[3] كامبس: المرجع نفسه، ص ص 14، 15.

كبيرة من الزيت و الخمر و كذا القمح[1]. كما أشار أيضا إلى منطقة ليبتيس ضريبة كبيرة قدرها ثلاثة ملايين ليبرة من الزيت سنويا[2].

تشير المعطيات الأثرية بأن أشجار الزيتون كانت منتشرة في السهول القسنطينية العليا لاسيما في جهات تبسة و سوق أهراس و قالمة و من سفوح الجبال الأوراسية إلى سطيف غربا و عند وصول الرومان إلى المنطقة وجدوا هذه الشجرة تحتل مكانة مرموقة في الفلاحة الأفريقية و خير دليل على ذلك ماورد في كتاب ماقون بشأنها[3].

أما بخصوص باقي الأشجار كالكرمة و اللوز فقد اختلف الباحثون أيضا في معرفة السكان المحليين لها قبل مجيء الفينيقيين بالرغم من توفر البعض منها على خصائص تجعل منها شجرة محلية دون نقاش نذكر مثلا شجرتي الكرمة (الدالية) و اللوز اللتين كانتا تنموان بريا منذ الزمن الرابع و دليل ذلك هو عثور الباحثين على الكروم المتحجرة في موقع الدار المربعة التي من المحتمل حسبهم أن تكون معاصرة لجليد ريس[4]. و على الرغم من هذا فالباحث ستيفان قزال قد طرح احتمال أن يكون الفينيقيون هم أول من قام باستنباتها أو على الأقل هم من استجلب أنماط أخرى منها. ألا يبدوا هذا تناقضا علميا لا يمكن تجاهله؟.

3ـ الصناعة: لقد مارسة النوميديون القدامى الكثير من الحرف نذكر منها حرفة الفخار الذي سنتطرق له بشيء من التفصيل فيما يلي.

3ـ1 ـ صناعة الفخار: يعتبر الفخار في نظر الأثريين سجلا زمنيا و ثقافيا جيدا لأنه الشاهد المادي الأكثر حضورا في معظم المواقع الأثرية المختلفة الوظائف (مساكن، مدافن، مخازن...)، و بالتالي يمكنهم الاعتماد عليه للتعرف على مختلف الظواهر الاقتصادية و الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات القديمة من خلال توظيفهم للمعلومات الكورونولوجية

[1]César, Bellum Africum, trad., A. Bouvet, éd, belles lettres, Paris, 1949, LXXXVII,p 63.

[2] César, Ibid, XCVII, p 89.

[3] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 100.

[4] كامبس: المرجع السابق، ص 118، ستيفان قزال: تاريخ شمال إفريقيا، ج 1،ص ص 149، 150.

التي يقدمها للحصول على تآريخ مدعمة بواسطة التطور الزمني لنمط معين من الفخريات على أساس خصائصها المورفولوجية المتعلقة بمختلف التقنيات و أنواع العجينة المستعملة[1].

1ـ طبيعة المادة الأولية و طريقة تحضيرها: يعتقد الباحثون بأن أغلب الأواني الفخارية المكتشفة بمعظم المقابر الميغاليتية المنتشرة سواء بحوض بومرزوق، قستل بتبسة و الركنية باقليم كالما و ما جاورها قد شكلت من عجينة متشابهة من حيث اختيار العجينة و طريقة تحظيرها، حيث يرى الباحث مراد زرارقة اعتمادا على ملاحظاته البصرية التي قام بها على مختلف أنواع الأواني الفخارية المحفوظة بمتحفي الباردو و سيرتا بأن نوعية المادة المستعملة و طريقة تحظير العجينة لم تكن جيدة كما هو معروف في صناعة الأواني الرفيعة الصنع، لأن صناع تلك الأواني قد اعتمدوا على جلب الطين من محيط المقابر المذكورة آنفا و الذي يتكون من طبقات رسوبية جيرية يرجع تأريخها إلى عصر الكريتاسي ذات اللون الأبيض المحمر أو الوردي تتخللها مستويات من الطين الصلب الذي يعرف حاليا بالبياض (الصلصال) لكنهم لم يقوموا بغربلته مما جعلهم يحصلون على عجينة غير متجانسة من حيث مكوناتها لأنها حسبه تحتوي على حبيبات حجرية يصل سمكها إلى غاية 7مم لكن هذا لا يعن أبدا بأن كل الفخاريات التي كانت مستعملة آنذاك كانت على هذه الشاكلة[2].

2ـ طرق تشكيل الأواني الفخارية: لقد أسفرت تقارير الحفريات الأثرية التي تمت بمقبرة الركنية على استخراج عدد هام جدا من الأواني الفخارية مقارنة بتلك المستخرجة من باقي المقابر المنتشرة في شمال إفريقيا ، حيث بلغت مقبرة الركنية المرتبة الثالثة بمائة و ثمانية و أربعون آنية(148) بعد قاستل بثلاثمائة و خمسين آنية(350) و سيلا بمائة و سبع و ثمانين آنية(187)[3]. كما بينت ذات التقارير أيضا بأن نسبة كبيرة منها قد شكلت عن

---

[1] نورية آكلي: المرجع السابق، ص 135.

Lardy(J_M), La céramique protohistoire: présentation d'une approche, Journée du 17 mars 1984 à Guiry_ en Vexin, publication de service départementale d'Archéologie du Val d'Oise, 1987, p25.

[2] مراد زرارقة: المعالم الجنائزية و الهيئات السكنية...، ص 262.

[3] Camps (G), Aux origines de la Berbère, Monuments et rites funéraires, p p222, 225.

طريق اليد باستعمال تقنية القولبة و هو ما يؤكده الشكل الخارجي لتلك الأواني الذي يبدوا خشنا و سميكا غير متجانس في كثير من الأحيان مما دفع بالباحث كامبس للقول بأن فخار الركنية أكثر بدائية و قدما من فخار قاستل[1]. بالرغم من وجود شبه كبير بين معظم الأواني الفخارية المكتشفة داخل المقابر الميغاليتية المتواجدة في كامل شمال إفريقيا من جهة و كافة الأواني الفخارية التي لا تزال تصنع و تستعمل حتى يومنا هذا، حيث فسر بعض الباحثين هذه الاستمرارية في استعمال طريقة القولبة في صناعة الفخار على أن الأولى تشكل أصول الثانية[2].

في حين كانت الطريقة الثانية في صناعة الأواني تعتمد على الدولاب الذي شاع استخدامه منذ آلاف السنين قبل الميلاد بمعظم الحضارات الشرقية القديمة لأنه كان من الضروري استعماله أثناء تشكيل الأواني المستقيمة،[3].

3ـ عملية طلاء الأواني و تزيينها: بعد انتهاء الحرفي من تشكيله للعجينة و حصوله على الآنية التي يريد عادة ما يقوم في المرحلة التالية بدهنها بلون آخر يختلف عن لون العجينة مكوننا طبقة ملساء تعرف لدى الباحثين بعملية التبطين الطيني الذي يستعمل فيه الحرفي طلاء طينيا تختلف خصائصه عن الطلاء المزجج عند عملية التفخير أي الحرق[4].

كان على الحرفي أن يضع التبطين الطيني قبل عملية التفخير بواسطة النقع بالفوطة أو بالفرشاة. أما بالنسبة لاستعمال الدهن فالمقصود به هو الطريقة التي كانت تستخدم في انجاز الزخرفة أكثر من طبيعتها علما أنه يوجد نوعان منه يختلفان من حيث التركيبة طلاء مكون من عناصر معدنية و آخر عضوي مكون من عناصر نباتية أو حيوانية هذا الأخير

[1]Camps(G), La Céramique des monuments mégalithiques, p 531.

[2] ستيفان قزال: تاريخ شمال إفريقيا القديم،ج6، ص ص 57، 58، مراد زرارقة: المعالم الجنائزية و الهيئات السكنية...،ص 264.

[3] نورية آكلي: المرجع السابق، ص137.

[4] نورية آكلي: المرجع السابق، ص 137.

الذي لا يمكن للحرفي أن يضعه قبل الحرق خوفا من أن تتشوه زخرفته لذا كان عليه وضعه بعد عملية الحرق[1].

4ـ **عملية الحرق أو التفخير**: تعتبر عملية حرق الأواني في بعض الأحيان آخر عملية يقوم بها الحرفي بعد طلاء الأواني و في البعض الآخر ما قبل الأخيرة و يتعلق الأمر ببعض الأواني التي تدهن بطلاء عضوي كما سبق و أشرنا، و مع ذلك فهذه العملية تعد فعلا أدق مرحلة لأنها المسؤول الأخير عن متانة وصلابة الآنية من جهة و لونها من جهة ثانية[2].

يعتقد بعض الباحثين بأن الأفران التي كان سكان شمال إفريقيا القدامى يستعملونها في حرق الأواني الفخارية لم تكن لتختلف عن نظيرتها التي لا يزال السكان المعاصرون يستعملونها لذات الغرض حيث وقف الباحث مراد زرارقة شخصيا على اجراء مختلف الخطوات و المراحل الهامة أثناء صناعة و تشكيل نماذج من الفخار المقولب و حرقه بالطرق التقليدية، و المهم أن هذه الأخيرة أعطت نفس النتائج مقارنة بالفخاريات المستخرجة من المعالم الجنائزية خاصة من حيث اللون على حد تعبيره[3].

4- النشاط التجاري: عرفت منطقة الشمال الافريقي القديم حركة تجارية منذ أقد العصور حيث يذكر هيرودوت أولى المبادلات التجاري البسيطة التي كانت تجمع الليبيين القاطنين بالمناطق الساحلية بنظرائهم الفينيقيين المشهورة تحت عنوان المبادلات الخرساء هذه الأخيرة التي أدى فيها عنصر الثقة دورا كبيرا في نجاحها و استمراريتها زمنا طويلا[4].

4 ـ 1 ـطبيعة المبادلات التجارية بالمنطقة من خلال الأدلة المادية: في الحقيقة من الصعب جدا على أي باحث أن يتناول موضوع التجارة الداخلية في شمال إفريقيا القديم خلال الفترة الليبو- بونية- النوميدية في ظل قلة المصادر الأدبية التي آثرت أن تتناول

[1] نورية آكلي : المرجع نفسه، ص ص 137، 138.

[2] نورية آكلي: المرجع السابق، ص 138.

[3] مراد زرارقة: المعالم الجنائزية و الهيئات السكنية...، ص 265.

[4] هيرودوت: المصدر السابق، ص 369.

بعض الجوانب من تاريخنا فقط عند تقاطعه مع تاريخ أممها التي تنتمي إليها و أقصد هنا إشاراتها المختلفة لبعض الصفقات التجارية التي قام الملوك النوميد بعقدها مع نظرائهم من الحكام سواء في روما أو بعض المدن الاغريقية دون أن يشيروا بالتفصيل لمختلفة المبادلات التجارية التي كانت تجري داخل المدن الافريقية نفسها، باستثناء البعض منها كمدينة سيرتا مثلا كونها عاصمة المملكة النوميدية قد ذكرت كثيرا أثناء الحربين الرومانية- القرطاجية الثانية و الثالثة.

صنف الباحث قزال الباعة و المشترين في منطقة الشمال الافريقي القديم أثناء الفترة النوميدية إلى ثلاث أصناف يشمل الصنف الأول البدو الرعاة الذين يعرضون الصوف و الجلود و الدواب في حين يظم الصنف الثاني سكان المدن الذين يعرضن هم أيضا كل أنواع المنتوجات التي تصنع في مدينتهم أو المستوردة منها، أما الثالث فيشتمل على كبار التجار القادمين من وراء البحر مثل التجار الايطاليين الذين كانوا يتواجدون بشكل دائم تقريبا أو مقيمين في سيرتا و فاقا(باجة)، أولئك هم من كانوا يعقدون صفقات الحبوب الكبرى على حد تعبيره مع الملوك الذين يحصلون على كميات كبيرة من الحبوب إما عن طريق الضرائب المفروضة على رعاياهم و التي كانت تدفع عينية أو مما كانت تنتجه ضيعاتهم ذات المساحات الكبيرة من القمح و الشعير كما سبق و أشرنا[1].

كما افترض الباحث أيضا بأن الرعايا أيضا قد اقتدوا بملوكهم مما قد يجعل من احتمال وجود المضاربات هذه الأخيرة التي تستلزم وجود وسطاء و أماكن للبيع في شكل أسواق و معارض كبرى سواء في المدن أو عند أبواب المدن، ونظاما للنقل يعتمد على البردعة أكثر من العربة لانعدام الطرق، مع العلم أن كل هذا لم يصل به أي خبر للباحث[2].

يبدوا أن الباحث في نظري قد بالغ كثيرا في مسألة انعدام الطرق كليا و كذلك بالنسبة للوسيلة المستعملة في النقل حيث أعتقد بأن استعمال العربات في نقل البضائع كان معمولا به و الدليل على ذلك ما ذكره هيرودوت بشأن استعمال نفس الوسيلة من قبل قبيلة القرامنت

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية القديم ،ج5، ص 171.

[2] نفسه، ص 171.

الذي تطرقت له في العنصر السابق[1] هذا في القرن الخامس قبل الميلاد فما بالك في القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد التي شهدت فيها المنطقة الليبية العديد من التطورات شملت معظم المجالات خاصة الاقتصادية منها.

يرى الباحث محمد العربي عقون بأنه على الرغم من قلة الوثائق التي تلقي الضوء على التجارة الداخلية في المدن و الأرياف النوميدية يمكن استنتاج وجود أسواق أسبوعية و أخرى موسمية في شكل معارض كبرى[2]. هذه الأخيرة هي التي لعبت حسبه دورا هاما في ازدهار العاصمة سيرتا ذاتها لأنها كانت خلال تلك الفترة ملتقى سلع الشمال بسلع الجنوب ، حيث يذكر أن بعض الصحراويين كانوا يرحلون إلى أراضي الليبيين كالفاروسيين الذين ذكرهم الجغرافي استرابون قادمين إلى سيرتا من أجل بعض الأسواق التي كانت تقام بها [3]، كما تخبرنا المصادر أيضا بأن تجارا أغارقة كانوا يترددون على عاصمة ماسينيسا، حيث عثر بالمدينة على نقيشتين إغريقيتين من العهد الملكي لا بد أن تكونا لتاجرين في حين عثر على واحدة أخرى بمدينة عنابة[4]. أما نظراؤهم من الايطاليين فعلى الأغلب أن إقامتهم كانت دائمة بها[5]، و لعل الأسواق التي لا تزال اليوم تحمل أسماء أيام الأسبوع هي امتداد لذلك النظام القديم[6].

[1] المصدر السابق، ص 364.

[2] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص50.

[3] ستيفان قزال: تاريخ افريقيا الشمالية، ج5، ص 14.

[4] ستيفان قزال: تاريخ شمال إفريقيا، ج6، ص ص 70ـ 72.

[5] كامس: المرجع السابق، ص 319.

[6] المرجع السابق، ص 50.

المحاضرة الخامسة عشر: الحروب الرومانية ـ القرطاجية الثلاثة أسبابها مراحلها ونتائجها.

سجل العالم القديم في غضون النصف الأول من القرن الثالث ق.م، بروز قوة سياسية ناشئة اكتسحت البلاد الإيطالية وأصبحت تفرض نفسها على ساحة الأحداث العالمية المتوسطية، وتطمح إلى مزاحمة الإغريق و القرطاجيين في الهيمنة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، و تتمثل هذه القوة في " روما"، التي أقترن تاريخ ظهورها بتاريخ قرطاجة في شمال إفريقيا. منذ أن قامت بتلك السلسلة من الحروب التي تعرف بالبونية، و التي انتهت بالقضاء على الإمبراطورية القرطاجية من ناحية و سقوط المدن الإغريقية الغربية من ناحية أخرى في يد روما[1].

يرجع الباحثين العلاقات القرطاجية الرومانية قبل الحروب البونية إلى أربعة معاهدات تجارية تعود المعاهدة الأولى إلى القرن السادس قبل الميلاد حسب المؤرخ الروماني Polybe أي عام 506 ق م نصت على منع روما من الملاحة في حوض البحر الأبيض المتوسط. في حين أرخت الثانية إما بسنة 348[2] ق م أو 352 ق م وقد ورد فيها أيضا منع روما من الملاحة تعزيزا للمعاهدة الأولى بالإضافة إلى عدم السماح لها بالتجارة في ليبيا وجزيرة سردينيا في حين يمكنها التبادل التجاري مع قرطاجة وبعض مدن صقليا كما كانت قرطاجة من جهتها حرة في ممارسة التجارة في روما والقيام بحملات تأديبية ضد المدن الغير متحالفة مع روما.

بينما جاء في المعاهدة الثالثة سنة 306ق.م عدم السماح لروما بالتدخل في شؤون صقلية و بالمقابل تمنع قرطاجة أيضا من القيام بحملات ضد أي مدينة في إيطاليا خاصة في منطقة إيطاليا الوسطى. أما المعاهدة الرابعة سنة 279 ق م أو ربيع 278 ق م لم تلغ هذه المعاهدة ما سبق الاتفاق عليه في المعاهدات الأولى والشيء الجديد فيها هو إمكانية

[1] عمار المحجوبي، كراس التاريخ(نشريه خاصة بالأساتذة)،وزارة التربية و التعليم العالي و البحث العلمي، الجمهورية التونسية، 1990-1991، ص 302.

[2] محمد الصغير غانم : المملكة النوميديةو الحضارة البونية...، المرجع السابق، ص 42.

الاتفاق على المساعدة العسكرية بين الطرفين ضد القائد Pyrus الإغريقي في ش ج إيطاليا[1].

بعد تخلي قرطاجة عن المعاهدة ولم تساعد روما في حربها لأنها كانت تعمل على إبقاء الحرب بين روما والإغريق وعندما تخلصت هذه الاخيرة من حروبها أصبحت العلاقة بينهما سيئة وكانت روما هذه المرة أقوى مما كانت عليه وفي هذه الفترة استولت قرطاجة على مدينة Messine وأصبحت بذلك تشكل خطرا على روما التي راحت تحاول الاستيلاء على Messine وهذا ما أدى إلى نشوب الحروب البونيه الأولى[2].

1. الحرب البونية الأولى:

كانت علاقة قرطاجة بروما على صيغة معاهدات أربعة ودية حيث احتلت فيها قرطاجة مركز القوة الأولى لكن مع تنامي قوة روما لم يعد الامر خاصة أن قرطاجة لم تعد تعمل بالبند الخاص بالاتحاد في معاهدتها مع روما و هو السبب الذي أدى إلى نشوب الحرب البونية الأولى التي دامت 23 سنة.

المرحلة الأولى 264←261ق م: كانت روما تحاول السيطرة على Messine فقط وفي عام 263 ق م أرسلت 40 ألف مقاتل إلى صقليا واستعملت في هذه المرحلة سياستها الدبلوماسية وتمكنت من الحصول على دعم القائد Herron السيراكوزي ، فبقيت قرطاجة منفردة مما اضطرها للانسحاب من المناطق الغربية لسيراكوزا، ولما كانت القوة البحرية القرطاجية مسيطرة فرأت القوة الرومانية أنه من الضروري سيطرتها على كل جزيرة صقليا لإبعاد الخطر القرطاجي وهنا أنشأت أسطولها القوي[3].

المرحلة الثانية 260 ق م←255 ق م: مع إنشاء الأسطول الروماني بدأت روما تتفوق خاصة في معركة بحرية ألحقت خسائر بقرطاجة التي فقدت فيها 45 سفينة وابتداء من

[1] محمد الهادي حارش : التاريخ السياسي ...، المرجع السابق، ص 56.

[2]

[3] محمد الهادي حارش: التاريخ السياسي...، المرجع السابق، ص 57 ، 58,

256 ق م اتخذت روما خطة أخرى وهيئت لذلك 230 سفينة وهنا حاولت قرطاجة هزم هذه السفن قبل أن تغادر الموانئ لكنها فشلت وخسرت 100 سفينة وبذلك تمكنت روما من الإرساء في مدينة تونس في ضواحي القليبية فحاصرت مدينة قرطاج (وبهذا أصبحت مهددة من كل الجوانب لكن بفضل جهودها توصلت إلى تجنيد قوة متكونة من المرتزقة واستطاعت في مطلع سنة 255 ق م أن تتخلص من حصار روما بعد قتل القائد الروماني Regulus فعاد ما تبقى من الجيش الروماني إلى روما وأثناء العودة التقى بالأسطول القرطاجي وتمكن من أسر عدد هائل من السفن القرطاجية ورغم هذا انهزم الأسطول الروماني ولحق بالجيشين خسائر هامة وأدى هذا إلى ضعف الطرفين وخسرت قرطاجة 110 سفينة[1].

-**المرحلة الثالثة 255 ق م←247ق م:** كانت روما ترى أنه من المستحيل أن تواصل الحرب مباشرة مع قرطاجة فحاولت السيطرة على المواقع القرطاجية بجزيرة صقليا وهذا بتعزيز أسطولها البحري بالسفن القرطاجية وفي نفس الوقت الذي كانت فيه قرطاجة في حرب مع النوميديين فإن روما تعرضت قبل ذلك إلى خسائر بسبب العواصف وسوء حالة الجو من جهة وقلة الخبرة البحرية عند القادة من جهة أخرى، ويلاحظ أن قرطاجة لم تستغل هذه الفرصة (ضعف القوة الرومانية) باسترجاع مدنها التي استولت عليها روما سابقا.

المرحلة الرابعة 247 ق م←241ق م: وهي المرحلة الأخيرة من الحرب البونيه الأولى واصل فيها الجيش الروماني محاصرته للمدن الصقلية مواجها القوات القرطاجية وقد تدعمت روما سنة 243 ق م بأسطول جديد يزيد عدد سفنه عن 200 سفينة وراحت تنافس بذلك السفن القرطاجية فوقعت معركة سنة 242 ق م بينهما انهزمت فيها قرطاجة ووجدت نفسها مضطرة للتفاوض مع روما فأملت روما على قرطاجة بعض الشروط منها: على قرطاجة مغادرة جزيرة صقليا مع دفع 2200 طالن وهذا في ظرف 20سنة، التخلي كليا عن جزيرة صقليا وارتفاع المبلغ إلى 3200 في ظرف 10 سنوات، فرضت روما على قرطاجة التخلي على بعض الجزر التي احتلتها سابقا[2].

[1] كامبس: ماسينيسا...، ص 55.، محمد الهادي حارش: التاريخ السياسي...، المرجع السابق، ص 59 .

[2] كامبس : ماسينيسا...، المرجع السابق، 55، محمد الهادي حارش: التاريخ السياسي..، المرجع السابق، ص 61.

ومن خلال نتيجة هذه الحرب تبين لروما أنه بفضل مجلس شيوخها والمواطنين الرومانيين أنه بإمكان روما أن تجمع وتكون أعظم قوة رغم نقصها في الخبرة البحرية ومن نتيجة هذه الحرب أيضا التي جرت غالبا في البحر هو تضرر لكلا الطرفين حيث تحطمت السفن ولما كان القرطاجيون في وضعية دفاع (لم تستغل فرصة ضعف الأسطول الروماني سابقا في استرجاع المدن المحتلة) لم تستغل إذا هذه الفرصة لتتخلص من العدو الروماني وهذا راجع إلى السياسة التي تعتمدها قرطاجة والمتمثلة في التفاوض هذا من جهة ومن جهة أخرى كان النظام السياسي القرطاجي سببا لانهزامها (قتل القائد حنون من طرف محكمة 104 عضوا أي إصرار مجلس الشيوخ على معاقبة القادة، وهناك سبب آخر يتمثل في الجانب النوميدي إذ اضطرت قرطاجة لتقليص قوتها من صقليا وإرسالها إلى إفريقيا لصد ثورة الجند المأجور[1].

– **الحرب البونية الثانية 218←202 ق م:** وجدت قرطاجة نفسها أمام مشاكل كثيرة بعد خروجها من الحرب البونية الأولى ومن بين هذه المشاكل: تقلص الممتلكات القرطاجية جعلها تضيع العديد من مصادر مداخيلها ، ثم تحرر النوميديين في شمال إفريقيا الذي أدى إلى قيام ثورات الشعوب المحلية كما أدى هذا إلى حدوث خلل في ميزانيتها ونتج عنه كذلك قيام ثورة المرتزقة (في الجيش) بالإضافة إلى تضييع جنوب إسبانيا الغني بالمعادن الثمينة كما أنه في نهاية الحرب البونية الأولى قامت كل الشعوب الموجودة في جزيرة صقليا وفي سردينيا وكورسيكا بثورات ضد قرطاجة وهذا بمساعدة روما مما أدى بقرطاجة إلى الخروج وترك الأراضي[2].

نتيجة لهذه الأوضاع حاولت قرطاجة النهوض مرة أخرى وكلف القائد بركة هملكار بإعادة المجد إلى قرطاجة؛ فأرسل إلى شبه جزيرة ابريا (اسبانيا) وكانت هذه الفرصة الرئيسية لها كي تعيد مجدها وكان هذا سنة 237 ق م، فبعد مضي 08 سنوات من الحروب و الدبلوماسية التي قادها هملكار بركة استطاع أن يخضع عددا من القبائل الاسبانية التي

---

[1] Polybe, I ,2,65, 88. 62 ـ 61 كامبس: ماسينيسا...، المرجع السابق، ص

[2] استيفان أكصيل: تاريخ افرقيا الشمالية، ج 3، ص 40، كامبس : ماسينيسا...، المرجع السابق، ص 210.

بإمكانها تزويده بالمقاتلين لكن موت هملكار بركة عام 229 حال دون ذلك. جاء بعده صهره أزروبعل Hasdrubal ، مؤسس قرطاجة الجديدة في اسبانيا والتي عرفت بقرطاجنة عام 228ق م[1].

إن محاولة قرطاجة لإعادة مجدها لقي اعتراضا شديدا في أوساط روما التي كانت في هذه الفترة حليفة وصديقة لمصاليا وكانت لديها مصالح في شمال اسبانيا وبالتالي استنجدت مصاليا بروما ووضعت حدودا للتوسعات القرطاجية وكان هذا بإرسال –في بادئ الأمر– بعثه من طرف مجلس الشيوخ الروماني إلى مصاليا من أجل التحقق والتحقيق حول موضوع الخلافات بينها وبين قرطاجة وبعد التحقيقات طلبت روما من Hasdrubal أن لا يتجاوز نهر الايبرو الذي يبعد مدينة بسانجونت Sagonté التابعة لقرطاجة بـ 150 كلم فطلبت روما من قرطاجة أن تتخلى عن مدينة سانجونت كذلك رغم أنها تابعة لقرطاجة حتى تصبح تابعة لصالح مصاليا ، واضطرت قرطاجة لقبول كل هذه الشروط في بدئ الامر لكن بروز حنبعل قلب الموازين.

ظهور حنبعل_: بعد موت أزروبعل (Hasdrubal) سنة 219 ق م خلفه القائد حنبعل الذي كان متأثرا بالاغريقين كثيرا فحاول استرجاع مدينة سانجونت وحاصرها مدة 08 أشهر، واستطاع أن يسترجعها لأن روما كانت منشغلة في حروبها ضد اليونان ولم تستطع التدخل لمنعه، من هنا وضع حنبعل خطة تتمثل في تكوين قوة أساسية من أجل القضاء على روما وبهذا استرجعت قرطاجة مرة أخرى قوتها وأصبح باستطاعتها أن تحارب روما.

–المرحلة الأولى 218←215 ق م: تميزت بانتصارات حنبعل الذي استطاع أن يكون قوة برية لينطلق بها في ربيع 218 ق م إلى اجتياز نهر الايبرو وكانت هذه القوة تتكون من 60 ألف مشاة و 10 ألاف فارس (معظمهم نوميديون) وقطيع من الفيلة (37 فيل) اجتاز نهر وأخضع بعض القبائل ثم ضمها لقرطاجة واتجه إلى جبال البيريني ثم واصل سيره إلى مصاليا حتى أدرك نهر Pô وهنا لقي معارضة من طرف القبائل الغالية Gaulois لكن مهارته وسياسته مكنته من العبور بعد أن أقنعهم بأنه جاء يساعدهم للتخلص من التبعية

[1] محمد الهادس حارش: التاريخ السياسي...، المرجع السابق، ص 62.

الرومانية ثم واصل سيره نحو Grenoble وحاول اجتياز جبال الآلب Alpe قبل الشتاء ، فوصل في الخريف بعد فقدان عدد هائل من جيشه إلى سهل Pô في إيطاليا.

أدركت قرطاجة أن خطتها كانت مجرد حبر على ورق فكانت تريد أن ترسل قائدا إلى اسبانيا وآخر إلى إفريقيا لما دخل حنبعل أراضي ايطاليا انحازت إليه بعض القبائل وانضمت بذلك إلى قرطاجة، كما تشير إلى عدة معارك وقعت بينه وبين القوتين وأشهر المعارك معركة تيسينو Ticino التي كان الانتصار فيها لصالح حنبعل ،والفضل يرجع إلى الفرسان النوميديين.

وفيما بعد تخلت بعض القبائل عن روما وهذا ما كان يرجوه حنبعل ويعمل عليه إذ كانت خطته تهدف إلى تهديد الوحدة الايطالية ومن المعارك التي انتصر فيها كذلك تراسيمن TRASAMINE و TREBIA

بعد الهزائم المتتالية حاولت روما أن تغير خططها لكنها باءت بالفشل ،وهذا ما أدى إلى وقوع مجزرة Canae التي فقدت فيها روما 70 من المشاة و06 آلاف من الفرسان أما عدد القتلى القرطاجيين لا يتجاوز 5700 (كان هذا عام 216 ق م)

رغم هذه الهزائم لم يستغل حنبعل الفرصة ويذهب إلى روما والقضاء عليها نهائيا ، فاهتم بهدفه الأول المتمثل في تهديم الوحدة الرومانية لاسترجاع الأراضي القرطاجية بجزيرة سردينيا ثم يتولى القضاء على روما[1].

المرحلة الأولى: ترتب عن هذه الهزائم أزمة سياسية في روما إذ انقسم مجلس الشيوخ الروماني إلى كتلتين أو فريقين وبعد صراعات حامية عين قائدا ليضع حدا لهذه الأزمة وهو فابيوس ماكسيموس، اتخذ هذا الأخير سياسة الهجوم وعدم ترك الفرصة للقوات القرطاجية للهجوم واعتمد في خطته على السرعة في ضرب القرطاجيين ، نلاحظ أن في هذه الفترة باءت محاولة قرطاجة في استرجاع أراضيها بالفشل ، فمن هنا حاول حنبعل ضرب روما مستعملا الدبلوماسية فتحالف مع القائد الإغريقي فيليب المقدوني وطلب من قائد و حاكم

[1] محمد الهادي حارش: التاريخ السياسي..، المرجع السابق، ص 67.

سراكوزي , كان آنذاك في صقليا لكن هذا الحاكم مات وقضي على حنبعل مما أدى إلى تغيير خطته.

المرحلة الثانية 212←202 ق م: ابتدأت الأوضاع تعود إلى صالح روما بعد معركة زاما التي أجريت في إفريقيا (جاما التونسية) فخسرت قرطاجة بعض الأراضي التابعة لها في ايطاليا؛ ومن بينها مدينة CAPOUE سنة 211 ق م ، ثم خطر روما لأنها ضربت القوى القرطاجية في اسبانيا وهذا بعد تعيين قائدين للجيش أحد هذين القائدين هو تشييون SCIPION EMILIEN الذي اتجه إلى اسبانيا واستطاع أن يستولي ويضرب القوى القرطاجية هناك ، وفي هذه الفترة لما توجه حنبعل إلى ايطاليا و ترك أخوه أسدروبعل قائد في اسبانيا وكانت تنقص هذا الأخير القوى الكافية لصد الهجومات الرومانية ، وضيعت قرطاجة منطقة PECULE سنة 209 ق م وقبلها ضيعت منطقة TARENTE سنة 209 ق م ، و توفي بعدها أسدروبعل وفي عام 206ق م ثم الاستيلاء على كل شبه جزيرة اسبانيا من طرف روما ، وبدأت تتوسع إلى أن وصلت إلى صقليا بعد أن استرجعت كورسكا وسردينيا [1].

في ذلك الوقت كان حنبعل يحاول في ايطاليا وينتظر الإمدادات من أخيه التي لم تصله وهنا اغتنمت روما الفرصة فتوجه شبيون إلى افريقيا وأرسى بالمواقع التابعة لقرطاجة عام 204 ق م بضواحي مدينة أوتيكا ، فاضطر مجلس الشيوخ القرطاجي استدعاء حنبعل لينجده من الخطر الروماني ،ففي سنة 202 ق م وقعت حرب مشهورة معروفة بمعركة زاما (جاما الحالية في تونس) التي لعب فيها النوميديين دورا أساسيا خاصة في الفروسيه ، ولكن هذه المرة وقفوا إلى جانب روما وليس إلى جانب قرطاجة هذا ما أدى إلى هزيمة حنبعل وهذا اقتضى إبرام معاهدة بين القرطاجيين والرومانيين تحمل هذه المعاهدة في طياتها شروط أملتها روما على قرطاجا.

1. أن تستبقي قرطاجة ممتلكاتها في إفريقيا وتتمتع باستقلالها.
2. أن تسلم كل الأسرى والمحاربين والرومانيين إلى روما.

[1] استيفان أكصيل: تاريخ افرقيا الشمالية ...، ج3، ص 182.

3. أن تسلم قرطاجة كل ما تملكه من سفن حربية ما عدا 10 سفن رديئة وتسليم كافة الفيلة وأن تمتنع من المجئ بفيلة أخرى وتدريبها على القتال.
4. أن تثير قرطاجة الحروب إلا بإذن روما وهذا ما أدى بمسينيسا أن يسترجع الأراضي التي أخذت منه ومن أجداده.
5. أن تدفع قرطاجة غرامة مالية تقدر بـ 10 آلاف وزنة أوبية، 1 أوبية = 26.16 كغ من ذهب أو فضة[1].

-الحرب البونية الثالثة 149←146 ق م: بعد الحرب البونية II استطاعت روما ان تفرض وجودها وقوتها في الحوض المتوسط ، في حين كانت الخسائر ثقيلة على قرطاجة التي فقدت معظم أراضيها ، وزادها عرقلة ذلك الشرط الذي أملته روما عليها حول استرجاع العاهل ماسينيسا لأراضيه وأراضي أجداده ، فلذلك اعتبرت الحرب البونية III بمثابة بداية لنهاية القوة القرطاجية في حوض البحر المتوسط.

احتفظت قرطاجة بثلثي تونس في حين توسع ماسينيسا واستمرت توسعاته من 202 – 150 ق م كما اشتعلت الحرب بينه وبين قرطاجة ؛ فحاولت هذه الأخيرة أن تضع حدا لذلك فراحت تطلب من روما التدخل في هذه القضية لكنها رفضت.

بعناء شديد حاولت قرطاجة أن تسترجع قوتها خاصة لما انتهت من دفع الضريبة لروما وتوفر لها من المال الذي جعل روما تتخوف من قرطاجة وحتى من ماسينيسا.

نشير أن في هذه الفترات كانت روما تعاني من مشاكل هامة في مجلس شيوخها إذ انقسم إلى حزبين حزب يرى أن ماسينيسا سوف يحاول الاعتداء على روما، فلذا يجب أن تضع حدا لتوسعاته وذلك بالتدخل والاستيلاء على الأراضي القرطاجية قبله (حرب بين ماسينيسا وقرطاجة) ، كما شهد مجلس الشيوخ القرطاجي أزمة هو الآخر وانقسم إلى حزبين الأول مؤيد لماسينيسا والثاني ضده ، وهنا قامت قرطاجة بطرد كل الخائنين وطلب هؤلاء من ماسينيسا أن يتدخل ليرجعهم إلى قرطاجة، في سنة 150 ق م أرسل ماسينسا ابنيه غلوسه

[1] محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية...، المرجع السابق، ص 68.

ومسيبسا ليتوسطوا في هذه القضية الخاصة بالمؤيدين فطلبا من قرطاجة أن تسامح المؤيدين لكنها رفضت وهذا ما سبب في نشوب حرب بين ماسينسا وقرطاجة ، كما كانت المكيدة التي دبرتها قرطاجة للقائد غلوسة المتمثلة في إرسال جيشا عقبه (نجا من هذه المكيدة) إحدى الأسباب المباشرة لنشوب الحرب[1].

رغم تجاوزه سن 88 سنة قام ماسينيسا بتهيئة جيش وقاده متجها لاحتلال قرطاجة ، وهذه الأخيرة هيئت جيشا فيه أزيد من 25 ألف مقاتل و400 من بين فرسانه من النوميديين وأثناء قدوم ماسينسا إلى قرطاجة انضمت بعض القبائل النوميدية إلى قرطاجة ولذلك وجدنا الفرسان النوميديين في الجيش القرطاجي في هذه المرة كذلك بهذا تكافأت القوتان (خيانة النوميديين).

هنا يطالب ماسينسا قرطاجة أن تسلم له الخائنين (بلغ عدد القرطاجيين بعد انضمام النومديين إلى 60.000 مقاتل) لكن قرطاجة رفضت ذلك، و في صيف 150 ق م قام الملك ماسينسا بحصار على الجيوش القرطاجية وذلك بحفر بعض الخنادق ومنع المئونة على القرطاجيين هذا جعل القرطاجيون ينسحبون ويستسلمون ثم قبلوا ولبوا مطلب ماسينسا فسلم الخائنون لماسينيسا تدخلت روما لتضع هدنة بينهما ، فشعرت روما بالخطر بعدما بدأت قرطاجة تستعيد قوتها فأرسلت بعثة تترأسها إحدى شخصيات مجلس الشيوخ الروماني المتمثلة في شخصِ Caton إلى إفريقيا من أجل التحقيق[2].

وعند رجوعه إلى مجلس الشيوخ بروما أخبرهم **كاتون** بما شاهده من خيرات في قرطاجة ونفوذ قوي آلت إليه ، طالبا من م ش أن يضع حدا للقوة القرطاجية وبشكل صارم ، ومن هنا تقرر إعلان الحرب على قرطاجة وتنفيذ حكم الإعدام عليها وهنا قال كاتون قولته الشهيرة " Delenda est Carthago لنقضي على قرطاجة ".

[1] محمد الهادي حارش: التاريخ السياسي...، المرجع السابق، ص كامبس : ماسينيسا ...، المرجع السابق، ص :

[2] محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية...، المرجع السابق، ص 89، كامبس : ماسينيسا...، المرجع السابق، ص 236 .

بدأت قرطاجة تتفاوض وترسل الرسائل إلى روما وتعدها بأنها ستعدم كل الذين تسببوا في قيام الحرب (لأن قرطاجة خالفت معاهدة الحرب البونية II وأعلنت الحرب على ماسينسا) وأنها لا تنوي الحرب لكن مجلس الشيوخ الروماني رفض هذه الحلول وهنا شعرت قرطاجة بأنه قضي عليها...

ومن بين الأسباب التي أدت بروما إلى إعلان الحرب ضد قرطاج هو تخوفها من ماسينسا على أن يكون حنبعل ثاني.

أرسلت روما جيشا إلى أوتيكا التي كانت قد استسلمت وأعلنت حلفها لروما، وفي ربيع 149 ق م أرسلت روما جيشا يزيد عن 60.000 مقاتل و4000 فارس و150 سفينة حربية متنوعة إلى أوتيكا ووضع الجيش الروماني تحت قيادة Scipion ورافقه المؤرخ Polybius ،فراحت قرطاجة تحاول مرة أخرى إرضاء روما وتفادي الحرب وذلك بإرسالها لأكثر من 300 رهينة لكن روما رفضت هذه المبادرة وطلبت تسليم كل الأسلحة القرطاجية.

ومن بين الشخصيات القرطاجية التي من المفروض أن تعدم القائد Hasdrubal الذي هرب وكون جيشا (تزعمت قرطاجة أنها ستدعمه) (هو الذي شن الحرب على ماسينسا).

وفي صيف 149 قامت روما بالاستيلاء على قرطاجة بكل الوسائل ،وفي الخريف حاولت الجيوش القرطاجية القضاءعلى الجيوش الرومانية ، لكن تدخل القائد Scipion لينقذ الجيش الروماني ويضع حدا للجيش القرطاجي.

وفي شتاء 148 ق م مرض ماسينيسا وتوفي وقسم السلطة على أبنائه الثلاثة: غلوسه، مسيبسا، ماستنيعل فكلف مسيبسا بالسلطة الإدارية وأعطى الجيش لغلوسه والقضاء لماستنبعل[1].

[1] محمد حسين فنطر : يوغرطة.، المرجع السابق، ص 102، محمد الهادي حارش: التاريخ السياسي..، المرجع السابق، ص ص 70- 71.

في ذلك الحين أملت روما على قرطاجة طلبات قاسية لكنها لم تستسلم فحاصرتها روما وشنت عليها هجوما عام 146 (بفضل Hasdrubal استطاعت قرطاجة أن تمدد عمرها) فكل المعابد الموجودة داخل قرطاجة حولت إلى مصانع للأسلحة وقدمت النساء صيغتهن و شعورهن لصنع الحبال و في سنة 147أراد سيبيون الإفريقي أن يقوم بحصار شديد على قرطاجة وهجوما قويا ليقضي عليها في نهاية 147 حاولت قرطاجة مع القائد غلوسة من خلال التفاوض وطلبت منه أن يكون وسيطا بينها وبين روما لكنه رفض، وفي ربيع 146 ق م تم الهجوم من الجيوش الرومانية ووقعت الحرب النهائية ، وقبل سقوط قرطاجة قررت روما إملاء شروط على قرطاجة وهي الخروج نهائيا من أراضي قرطاجة لأنها ستهدمها كليا ويمكنها بناء مدينة أخرى فيما بعد، لكن القرطاجيون صمدوا وقرروا المقاومة وكانت الحرب لصالح روما وأبرمت النيران لتحرق المدينة فقضي عليها وانتحرت النساء القرطاجيات بالارتماء في النار خوفا من الأسر، وبذلك أطلق على قرطاجة المدينة الملعونة، وكانت مدن أخرى قد تخلت عن قرطاجة وانضمت لروما منها أوتيكا ..فهكذا كانت نهاية الإمبراطورية البونية عام 146 ق.م [1] .

[1] محمد الهادي حارش : التاريخ السياسي...، المرجع السابق، ص 70.

المحاضرة السادسة عشر: الاحتلال الروماني لشمال افريقيا و ثورة يوغرطة

إن القضاء على قرطاجة سنة 146 ق.م من قبل الرومان كان في الواقع صراعا حول السيادة في غربي البحر المتوسط بين قرطاج و روما التي كانت تهدف بعد اسقاط قرطاجة من فرض سيطرتها على كل الممتلكات و المستعمرات القرطاجية في شمال افرقيا و خارجه حيث ساعدتها نهاية قرطاجة على وضع يدها على شمال افريقيا في نهاية الامر والبداية كانت تحويل الأراضي القرطاجية إلى مقاطعة رومانية أطلق عليها اسم " مقاطعة إفريقيا الرومانية (Provincia Africa Romana) سنة 146.

ثم تجدد الصراع بين الرومان و المنطقة الإفريقية لكن هذه المرة مع شخصيات من المملكة النوميدية حليفة و صديقة الرومان منذ اعتلاء الملك " ماسينيسا " العرش، حيث تمثل في الحرب التي خاضها يوغرطة ضد الهيمنة و الضغط الروماني المفروض على المملكة، إلا أن الانتصار الروماني على المتمرد " يوغرطة" سنة 105 ق.م لم تسفر عن إنشاء مقاطعة رومانية جديدة كما حدث مع قرطاجة سابقا ، بل اكتفى الرومان بفرض شروطهم السياسية و هيمنتهم من خلف الستار باعتبار المملكة ملك مشاع للشعب الروماني، و من المحتمل أن دخول روما في جهات قتالية أخرى من بلاد اليونان و الخوف من رد الفعل المقترب من القبائل الغاضبة المساندة ليوغرطة ، قد جعل الرومان لا يتسرعون من القيام بمشروع توسع إقليمي جديد بالمنطقة، خاصة أنهم ضمنوا استمرار المصالح الرومانية بإفريقيا دون اللجوء إلى استعمال القوة عن طريق مجموعة شخصيات و زعماء محليون الذين ارتبطوا بالصراع المتبادل مع روما.

1ـ يوغرطة من اعجاب الرومان به إلى عدائه لهم. نستهل محاضرتنا هذه بالقول الشهير للقائد النوميدي الفذ يوغرطة: **(.. روما مدينة للبيع ومصيرها الهلاك ستعرض للبيع يوما إن وجدت من يشتريها...)** يمكننا أن نستنتج من هذا القول مدى العداء الذي يكنه العاهل النوميدي للرومان الذين لم يكتفوا بالقضاء على عدوتهم قرطاجة ـ كما سبق و أشرنا ـ في

المحاضرات السابقة بل حاولوا التدخل في شؤون المملكة النوميدية الداخلية و هذا ما أكدت عليه الوصية المشؤومة التي تركها الملك ماسينيسا للقائد سيبيون الايميلي الذي أعاد تقسيم السلطة بين أبناء ماسينيسا الثلاثة حيث منح مسيبسا شؤون الادارة في حين كلف غلوسا بقيادة الجيش، بينما ترك القضاء لمستنبعل[1]، و لحسن حظ المملكة أن آلت جميع السلطات مستقبلا إلى مسيبسا بعد وفاة أخويه الذي حكم لمدة ثلاثين سنة(148ـ 118ق.م)[2]، عرفت المملكة خلالها الاستقرار السياسي الي لم يلبث أن عكر صفوه بوفاته وإعادة تقسيم السلطة من جديد بين أبناء مسيبسا(هيمصال وأذربعل من صلبه و يوغرطة ابن أخيه الذي تبناه)[3].

إن خلفية تبني الملك مسيبسا لابن أخيه يوغرطة كانت مرتبطة حتما إما بمصالح هذا الأخير أو بالمصالح الرومانية خصوصا أن يوغرطة قد أثبت في كثير من المناسبات قوته وجدارته بالحكم نظرا لحنكته و خبرته في جميع المجالات لاسيما العسكرية منها، فقد حقق عدة انتصارات جعلت كل من عمه و القائد الروماني يعجبان به على الرغم من محاولة الأول التخلص منه في عديد المرات أمر بارساله لمساعدة الرومان[4] في حصارهم لمدينة نوماس في شبه جزيرة إيبيريا[5] سنة 134ق.م التي عاد منها بنصر مؤزر كسب به ود و ثقة الثاني الذي كلفه أيضا بمهمات صعبة كللت بنجاحه مما جعله يرسله إلى عمه مع رسالة جاء فيها : (... **لقد أظهر ابنك يوغرطة شجاعة فائقة في حرب نوماس ستسعدك كما أسعدتني، لذا سأبذل ما في وسعي أن ينال هذا الفذ ما يستحقه من رضا و تقدسر مجلس**

[1]محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، دار الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، 1998،ص 94، محمد الصغير غانم: علاقة نوميديا بالرومان، مجلة التراث، ع2، دار الشهاب باتنة، 1987، ص 13.

[2] محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، المرجع السابق، ص 93، نقيشة ميسيبسا ، مجلة سيرتا، ع4، 1980، ص، 13.

[3]محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، المرجع نفسه، ص 94، نقيشة دقة الأثريةدراسة لغوية و تاريخية ،مجلة العلوم الانسانية، ع 10، جامعة قسنطينة، ص 101ـ 112.

[4]محمد الصغير غانم: مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 166.

[5]جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري ثورات الأوراس و التخوم الصحراوية نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة المجاستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2007ـ 2008، ص 55، محمد السعيد قاصري: ثورة يوغرطة، أشغال الملتقى الوطني الثالث 30، 31 مارس، الأوراس عبر التاريخ، منشورات المتحف العمومي الوطني خنشلة، 2015، ص 451.

الشيوخ الروماني ، فبسم صداقتنا المتينة أهنئك بابنك الشجاع فهو جدير بك و باجده ماسينيسا...)[1].

إن قصة الصراع حول العرش النوميدي بعد وفاة الملك مسيبسا شبيهة في باطنها بالصراع الأول بين أبناء ماسينيسا[2] و محاولة الطرف الروماني إعادة المملكة إلى النقطة التي بدأت منها القائمة أساسا على فكرة تقسيم السلطة على الورثة الثلاثة هيمصال وأذربعل و يوغرطة كما أسلفنا غير أن هذا الأخير لم يكن راضيا على التقسيم و إنما تظاهر بذلك كي يتجنب المواجهة المسلحة مع الرومان منذ الوهلة الأولى لأنه كان يطمح لإعادة توحيد المملكة من جديد و هو ما حدث فعلا بعد تمكنه من القضاء على ابني عمه متجاهلا كل لجان التحقيق التي كان مجلس الشيوخ الروماني يرسلها من حين لآخر لعاصمة الولاية الافريقية الرومانية بأوتيكا كلما أرسل أحد أبناء عمه إليهم يستنجدون بهم، و أخيرا تمكن يوغرطة من الوصول إلى العاصمة سيرتا والاستيلاء عليها سنة 112ق.م[3] معلنا بذلك توحيده للمملكة النوميدية بعد محاولته القضاء على نفوذ الجالية الايطالية و الحد من نشاطها السياسي و الاقتصادي هذا الفعل الذي اعتبرته روما تمردا عليها و اعلانا للحرب ضدها في حين اعتبره يوغرطة الذي استمر في التظاهر بولائه للرومان رد فعل على تدخلها في صراعه مع ابن عمه[4].

2ـ يوغرطة يهدد مصالح روما و ينتصر عليها: بعد تمكن يوغرطة من توحيد المملكة، ثارت ضده طبقة العامة في روما بعد تجرئه على أفراد جاليتهم في سيرتا معتبرين ذلك التصرف اهانة لشرف الرومان جميعا، مطالبين بإرسال حملة تأديبية للملك النوميدي، غير حنكة يوغرطة و بعد نظره دفعه لإرسال وفد إلى مجلس الشيوخ الروماني برئاسة ابنه لشرح الموقف النوميدي و التفاوض بشأن الصلح معهم. لكن لم يتمكن الوفد من دخول مدينة روما بسبب تعنت مجلس الشيوخ الذي رفض استقبال المبعوثين و طالبوا بتسليم المملكة و الملك

---

[1]Salluste, Bellum Jugurthinum, IX.

[2]محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 146ق.م ـ 40م، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985، ص ص 30، 31.

[3]Camps(G.): Jugurtha, encyclopédie,berber,TXXVI, 2004,p. 3975.

[4]محمد البشير شنيتي: سياسة الرومنة المرجع السابق، ص 57.

للرومان مع ضرورة الامتثال التام للقوانين الرومانية مستقبلا[1]. كما قرر ارسال القائد الروماني بيستيا (Bestia)على رأس جيش قوامه 40.000 جندي سنة 111ق.م الذي تمكن من التوغل في الأراضي النوميدية المجاورة لولاية إفريقيا الرومانية لكن الملك النوميدي تمكن من توقيع صلح معه مقابل اعتراف بيستيا له بالسيادة على كامل نوميديا باستثناء مدينة لبدة الكبرى(Leptis Magna) في حين على يوغرطة أن يقدم له مبلغا زهيدا من المال و بعض المواشي و الخيول و الفيلة[2].

لقد اعتبر المؤرخ الروماني سالوستيوس أن هذه الصفقة خيانة تشارك فيها يوغرطة مع بيستيا الذي باع حسبه ذمته للملك النوميدي. و أما هذا النصر الذي حققه يوغرطة أرسل مجلس الشيوخ الروماني في استدعاء قائده لإنهاء مهامه موجها له تهمة تلقي الرشوة من يوغرطة الذي طلبه هو الآخر للمثول كشاهد على ذلك[3].

إن خبرة يوغرطة السياسية التي اكتسبها خلال إقامته في روما و احتكاكه بأعضاء مجلس الشيوخ استطاع كسب تأييد البعض منهم لصالحه حيث يذكر سالوستيوس بأنه اتفق مع كايوس بيبيوس وأفشلا معا جلسة الاستماع في مجلس الشيوخ، و في هذه الأثناء التي كان يوغرطة يحارب فيها على جبهات متعددة فقد قام بتدبير حادثة اغتيال ماسيفا ابن عمه غولوسن بسبب تعاونه مع أذربعل و على إثر هذه الحادثة التي أثارت ضجة رأى أعضاء مجلس الشيوخ ضرورة عودة يوغرطة لمملكته بينما أخذوا هم في التجهيز للحرب ضده[4].

قام مجلس الشيوخ الروماني بارسال القنصل سوبرينوس ألبينوس كقائد للقوات الرومانية إلى إفريقيا للانتقام من يوغرطة سنة 110ق.م ، لكن هذا الأخير تمكن من هزيمته فعاد إلى روما ليأتي شقيقه أوليوس ألبينوس بدلا عنه فقام يوغرطة باستدراجه إلى معركة بالقرب من سيتول (يعتقد أنها بالقرب من مدينة قالمة حاليا) في جانفي 110ق.م[5] و انتصر عليه، مما دفعه للعودة إلى روما التي اختارت هذه المرة أكثر القناصل حنكة و خبرة و هو القنصل

[1] Salluste, Bellum Jugurthinum, XXVIII.

[2]جمال المسرحي: المرجع السابق، ص65.

[3] Salluste, Bellum Jugurthinum, XXXIV.

[4] Ibid,XXXV.

[5] Ibid,XVII, XVIII.

ميتيلوس الذي نزل بإفريقيا سنة 109ق.م و أعاد تنظيم جيشه من جديد مستعينا بضابطين عرف عنهما الذكاء الحاد و الدهاء السياسي و العسكري و هما ريتولوس و ماريوس لكنهما لم يستطيعا في بادئ الأمر الوقوف أما جيش يوغرطة الذي تمكن من احتلال مدينة باجة و التوغل نحو الجنوب الغربي وصولا لوادي مثول، كما استطاع أيضا هزيمتهم في مدينة زاما[1].

3ـ خيانة الملك بوكوس و نهاية ثورة يوغرطة: بعد كل تلك الانتصارات تمكن القائد ميتولوس من هزيمة يوغرطة سنة 108ق.م و يسترجع منه مدينة باجة، فاضطر يوغرطة للجوء إلى تالة و منها إلى قفصة و بعدها إلى الغرب نحو المملكة المورية مرورا بالأراضي الصحراوية أين يتواجد الجيتول الذين طلب مساعدتهم محاولا بضرورة الانضمام إليهم شأنهم في ذلك شأن الملك الموري بوكوس الذي زوجه بابنته و أظهر له كامل استعداده للوقوف معه ضد الرومان و فعلا استطاعا معا تحقيق عدة انتصارات كان أولها استرجاع مدينة سيرتا بعد سيطرة الرومان عليها[2].

إن لجوء القائد الروماني سولا للتآمر مع بوكوس ضد يوغرطة مقابل وعده بمنحه جزء من أراضي نوميديا بعد القضاء على يوغرطة أعمى بصيرة الملك الموري و جعله يسلم صهره يوغرطة في أواخر سنة 105ق.م لتنطفئ ثورة القائد النوميدي الذي أصبح أسطورة أبدية بالنسبة للرومان و التي دامت قرابة السبع سنوات من(112ق.م ـ 105ق .م)[3] .

[1]محمد العربي العقون: المؤرخون القدامى، غايوس كريسبيوس سللوستيوس(86ـ 53ق.م) و كتابه حرب يوغرطة، دار الهدى ، عين مليلة، 2006، ص 54.

[2]محمد الهادي حارش: مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2013م

[3]محمد حسين فنطر : يوغرطة من ملوك شمال افريقيا و أبطالها، الدار التونسية ، تونس، ص269.

المحاضرة السابعة عشر: الاحتلال الروماني لنوميديا صراع يوبا الأول و يوليوس قيصر:

تأثر المنطقة الإفريقية بالصراعات الحاصلة في روما بين أنصار مجلس الشيوخ و الجمهوريين أنصار التيار الديمقراطي الشعبي، مما جعل المنطقة عرضة لانقسامات داخلية زاد في تعميقها القادة الرومان المتنافسون بهدف السيطرة على منطقة و ثورتها لتموين حملاتهم العسكرية في حوض المتوسط و استغلال إمكانياتها البشرية و المادية لأحرار الانتصار.

المشاكل الاقتصادية و الاجتماعية التي كانت تعاني منها روما نتيجة تزايد أعداد الجنود المسحيين من الخدمة و العبيد الذين كانوا شكلوا عبئا تقيلا على الاقتصاد الروماني الذي كان موجها نحو المجهود الحربي، مما أدى إلى حدوث ثورات داخلية و حروب أهلية طالب أصحابها بحقوقهم من السادة الرومان و الطبقات الأرستقراطية الفاحشة الثراء، مما عزز فكرة التوسع الاستيطاني لدى القادة الرومان خارج إيطاليا كحل بديل للمشاكل التي تهدد روما.

– الصراع بين القادة العسكريين الرومان بعد وفاة ماريوس سنة 86 ق.م و نشوء خلاف بين أنصار هذا الأخير و القائد " سولا" و أنصاره ، و تفيد المصادر أن أمير نوميدي يدعى " حيرباص" ، قد انتهزي فرصة نشوب هذه الأزمة السياسية بين أنصار القائدين الرومانيين و قام بحركة تمرد في نوميديا حيث قام بعزل الملكين الشرعيين " هيمسال الثاني " ملك نوميديا الشرقية و ماسينيسا الثاني ملك نوميديا الغربية، حيث كان حيرباص هذا ممن ناصروا حزب ماريوس و أتباعه.

بعد اعتلاء يوبا الأول عرش المملكة النوميدية (62 ق.م– 50 ق.م) تجدد الصراع في روما بين كل من بومبي و يوليوس قيصر . هذا الأخير الذي أدرك بأن ضمان مواصلة

توسعاته في بلاد الإغريق و الشرق توجب عليه السيطرة على شمال إفريقيا لضمان تموين روما و مجهودها الحربي بالغذاء.

– تسليم المقاطعة الإفريقية الرومانية ليوبا في حالة انتصارهم.

– مساعدة يوبا على اصدرا حملات نقدية تحمل اسمه.

–و أمام انهزام قائد حملة قيصر " يوليوس كيريون" في أوتيكا و حضرموت أمام البوميين و حليفهم يوبا عزز قيصر النزول بنفسه من السواحل الافريقية و خوض المعركة الفاصلة مع خصوصه هناك سنة 46 ق.م كما عمل على عقد سلسلة من التحالفات لتطويق أعداءه و ضمان انتصار قواته، فكان تحالف مع ملك موريطانيا " بوكوس الثاني " الذي كانت تربطه علاقات خصومة و عداء ضد يوبا ، حيث كان يخشى هو الأخر على مملكته من أصار بومبي و حليفهم يوبا. كما تحالف كذلك مع زعيم المرتزقة الايطالي " سيتيوس ، و ذلك مقابل حصولهما (بوكوس و سيتييوس) على مكافآت سخية بعد النصر على الأعداء[1].

– نتائج حملة يوليوس قيصر:

– إنشاء قيصر الولاية الرومانية الثانية بعد الإلغاء النهائي لمملكة نوميديا ، أطلق عليها اسم " أفريكا الجديدة و تميزا لها على ولاية الإفريقية القديمة التي أنشئت عام 146 ق.م و قد شملت هذه الولاية القسم الشرقي من المملكة و عين رأسها سالوست. منح القسم الشمالي الشرقي من المملكة إلى مرتزقة سيتيوس شملت بعض المدن الهامة من هذا الإقليم و سيرتا –روسيكادا – شولو– ميلاف و استولى على هؤلاء المرتزقة على أراضي واسعة من المنطقة المذكورة (الشمال القسنطيني).– منح الملك الموريطاني بوكوس ما تبقى من القسم الغربي للملكة مكافأة له على خدماته المقدمة لقيصر ، حيث أصبحت حدود مملكته شرقا تلامس مصب الوادي الكبير .

[1] محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1999، ص 43.

– بعد مقتل يوليوس قيصر عام 44 ق.م عزل " سالوست" من منصبه في مقاطعة إفريقيا الجديدة و عين عليها حاكم آخر: سيكتيوس " الذي اتصف بمناهضته لمجلس الشيوخ الروماني و مناصرته للحزب المعارض المشكل من الحكم الثلاثي مما أدى إلى حدوث أزمة سياسية حادة في روما و انتقلت أثارها إلى المقاطعات الرومانية في إفريقيا ، حيث اغتنم الأمير النوميدي " أرابيون ابن ماسينيسا " هذه الاضطرابات و تزعم ثورة لاسترجاع مملكة أبائه فعقد حلفا مع حاكم إفريقيا الجديدة الذي عزله مجلس الشيوخ من منصبه و أسندوا مهامه لحاكم إفريقيا القديمة و بفضل مساعدة أرابيون تمكن سيكتيوس من تثبيت نفسه و تحقيق انتصاره على حاكم إفريقيا القديمة، و بفضل مساعدة أربيون فقد تمكن من تثبيت نفسه و تحقيق انتصاره على حاكم إفريقيا القديمة ، أما أربيون فقد تمكن من قتل المرتزق " سيتيوس " و طرد مرتزقة من الشرق النوميدي ثم أزاح بوكوس الثاني من القسم الغربي من المملكة[1].

– بالنسبة لمملكة موريطانيا امتدت حدودها من المحيط الأطلس غربا إلى نهر لمساقا شرقا يحكمها بوكوس الثاني إلى غاية سنة 33 ق.م حين توفى هذا الأخير و لم يترك وريثا على العرش ، و بذلك آلت مملكة موريطانيا إلى روما و وضعت تحت تصرف إدارة عسكرية لمدة 8 سنوات بأمر من أكتافيوس أغسطس ، و في سنة 25 ق.م قام بتنصيب يوبا الثاني ملكا على موريطانيا الموسعة التي امتدت من المحيط الأطلسي إلى حدود الولاية الإفريقية الجديدة و استمر الوضع كذلك إلى غاية 40 م تاريخ مقتل الملك " بطليموس بن يوبا الثاني" حيث خدعت موريطانيا مرة أخرى للاحتلال الروماني المباشر و أعلن سنة 42 م عن تقسم موريطانيا إلى جزأين " موريطانيا القيصرية و عاصمتها قيصرية (شرشال) وموريطانيا الطنجية و عاصمتها طنجة[2].

[1]محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 83، 84.

[2] محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال، المرجع السابق، ص 46، 61.

خاتمة: بعد دراستنا لكل محاور مقياس تاريخ و حضارة المغرب القديم 1 توصلنا إلى النتائج الآتية:

1 ـ تعددت و تنوعت المصادر الأدبية و المادية التي من خلالها يمكننا دراسة مختلف الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و مع ذلك لايزال المؤرخ و الباحث في تاريخ و حضارة المغرب القديم يواجه الكثير من الصعوبات في التأريخ لبعض المراحل التاريخية الهامة التي مرت بها بلاد المغرب القديم خاصة لما يتعلق الامر ببعض المواضيع الخلافية بين المؤرخين القدامى منهم و المحدثين مثل المتعلقة منها بالأصول الخارجية للأجناس التي سكنت و عمرت المنطقة المدروسة و بعض انتاجها الحضاري.

2ـ كما لمسنا أيضا محاولة الكثير من المرخين الرومان والاغريق يستغلون فرصة ضياع المؤلفات والكتابات المحلية لصياغة أحداث تاريخية خدمة لدولهم الاستعمارية مثلما كتبه سالوستيوس المعروف بتحيزه الشديد للرومان و كرهه و حقده على الملك يوغرطة.

3ـ كشفت المصادر المادية التي تركها المغاربة القدمى من البونيين و النوميد عن الكثير من المعطيات التاريخية حول الأوضاع الاجتماعية التي سكتت عنها المصادر الأدبية الرومانية و اليونانية العامة منها و المتخصصة التي من البداية كانت قد أرخت لتواجد سلطتها في المنطقة.

4ـ من خلال ما ورد في جل المصادر بنوعيها لمسنا انفتاح مختلف القبائل الليبية على العالم الخارجي وعليه فمسألة التأثيرات الحضارية من و إلى المنطقة المدروسة أمر واقع خاصة مع جيرانها المصريين و المهاجرين الفينيقيين و كذا اليونانيين عبر المعابر الحضارية الكبر البرية منها و البحرية و لنا في المعتقدات و الطقوس القرطاجية و النوميدية الكثير التأثيرات الخاريجية المصرية و الفينيقية و الاغريقية.

5ـ عرفت بلاد المغرب القديم بدء من القرن الثاني عشر قبل الميلاد تغيرات سياسية و اقتصادية هامة نتج عنها دخول دماء جديدة للمجتمع الليبي ساهمت فيما بعد بظهور جنس بشري جديد مزيج بين الليبي و الفينيقي و هو الجنس القرطاجي الذي بنى أقوى مدينة تطورت بمرور الزمن من مجدرد مدينة تجارية في بداية نشأتها إلى مدينة عاصمة

لإمبراطورية مترامية الأطراف شرقا و غربا تاركة وراءها رصيدا حضاريا واشعاعا ثقافيا استمر حتى بعد سقوطها لأكثر من أربعة قرون.

6ـ كما عرفت المنطقة النوميدية عدة تطورات مست مختلف أوضاعها السياسية الاجتماعية و الثقافية و الفكرية مع مطلع القرن الرابع قبل الميلاد بظهور الممالك النوميدية و تطورها في مختلف ميادين جعلها تؤثر في ميزان العلاقات بين الدول القوية القرطاجية والرومانية حيث أصبحت طرفا فاعلا في الاحداث مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد وساهمت بقوة في في صناعة الاحداث السياسية التي غيرت المشهد السياسي في المنطقة المدروسة بعد سقوط قرطاجة و بداية الاحتلال الروماني.

7ـ على الرغم من حدوث العديد من التغيرات الحضارية بعد الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم إلا أن تمسك سكانه بهويتهم المحلية و بنمط معيشتهم دفعهم للدفاع عنها كلما سمحت لهم الفرصة من خلال تمسكهم باللغة و الثقافة البونية .

8ـ شهدت كل مدن المملكة النوميدية فعالية اقتصادية أكبر كنتيجة لقوة و ارادة سياسية كبيرة أظهرها حكام و ملوك المملكة في تطوير النظام الاجتماعي هذا الأخير الذي عرف عدة تطورات عبر مختلف المراحل التاريخية التي مر بها ضمنت له بناء أنماط عديدة من العلاقات القائمة أساسا على التواصل بمختلف أنواعه الاجتماعي ، الاقتصادي و الثقافي وهذا بطبيعة الحال لا يمكن أن يحدث دون التنقل بين الأماكن و التفتح على الآخر.

9ـ شهدت المنطقة المغاربية القديم عدة أطماع استعمارية من قبل أقوى شعوب ذلك العصر نقصد بهم المصريون الاغريق و الرومان بسبب الثروات الطبيعية و الاستقرار السياسي فيها

10ـ ان انفتاح شمال افريقيا القديم الاقتصادي و السياسي على الحوض الشرقي والغربي للمتوسط جعله عرضة للتوسعات الاستعمارية الاغريقية و الرومانية سواء عن طريق الصراع الاغريقي القرطاجي أو الصراع الروماني القرطاجي هذا الأخير الذي تسبب في احتلال كامل شمال افريقيا القديم.

11ـ قاومت قرطاجة ببسالة في وجه الاستعمار الروماني لكنها خسرت في النهاية بسبب فقدانها لثقة النوميديين الذين جعلتهم أعداء فيما بينهم (صراع المملكتين النوميديتين الشرقية و الغربية) و بسبب فشلها في إدارة التوازنات السياسية في المنطقة.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر باللغة العربية و المترجمة:

1. أغسطين: مدينة الله، مج 12، الكتاب الثاني، تر الخور أسقف يوحنا الحلو ط2، دار المشرق ، بيروت لبنان، 2007.

2 ـ أوروسيوس : تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة

3 ـ سالوستيوس: حرب يوغرطة، تر محمد الهادي حارش، ط1، الجزائر، 1991م.

4 ـ عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، تح خليل شهادة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، .2000

5 ـ هيرودوت: تاريخ هيرودوت، تر عبد الاله الملاح، إصدارات المجمع الثقافي ، أبو ضبي، الامرات العربية المتحدة، 2001

ثانيا: المصادر باللغة الأجنبية:

1-Pline (L.), Histoire Naturelle,IV, Trad, J. Desanges, Paris, 1980.

2-Procope, Guerre des vandales, I, VIII

3-Salluste, Bellum Jugurthinum, XXVIII.

3 -Tacite ; Les Annales , éd Goelzer, 1953 , II52 , III20 , IV23 26

ثالثا: المراجع باللغة العربية و المترجمة:

1 ـ اصطيفان أكصيل: تاريخ إفريقيا الشمالية القديم، ج6

2 ـ باقر طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، 1956،

3 ـ حارش محمد الهادي ، التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة " يوبا الأول " (203- 46 ق.م)، 1985.

4 ـ حارش محمد الهادي: دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة و النشر، 5،2001 ـ حارش محمد الهادي : التاريخ المغاربي القديم ، السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامي.

6 ـ حارش محمد الهادي: مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2013م

7 ـ حتى فليب : تاريخ سوريا و لبنان و فلسطسن، تر، جورج حداد، ج1، بيروت، 1958.

8 ـ ديورانت ول : قصة الحضارة، تر، محمد بدران، ج1، مج3
9 ـ رؤوف شلبي: أضواء على المسيحية ، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1975
10ـ شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية،ج 1، تر محمد المزالي و البشير بن سلامة، ط2، الدار التونيسية للنشر و التوزيع، تونس 1968
11 ـ شافية شارن : حضارة مصر الفرعونية ، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون الجزائر ، 2009
12ـ الصباغ ليلى: دراسة في منهجية البحث التاريخي، دمشق، 1997
13 ـ الصفدي هشام: تاريخ الشرق القديم،حضارات آسيا الغربية،دمشق،1982.
14 ـ العابد مفيد رائف: تاريخ الاغريق، دمشق،1995.
15 ـ عبد الملك سلاطنية، المصادر التاريخية و الأثرية و أهميتها في البحث التاريخي و الأثري، ط.1 ، دار الإرشاد للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر 2013
16 ـ عصفور أبو المحاسن المدن الفينيقية، بيروت، 1981، ص 73.
17 ـ عقون محمد العربي: موسوعة الفلاحة الافرقية الهوية و الأهمية ، اعمال ملتقى المدينة و الريف في الجزائر القديمة ، 6– 7 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد، 2013، 247– 255 .
18 ـ عمار المحجوبي: ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السيفيري(146ق.م ـ 235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.
19ـ الفرجاوي أحمد: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة، تونس، 1993
20ـ فرسوى دوكريه: قرطاجة الحضارة و التاريخ، تر يوسف شلب الشام، دمشق، 1994.
21 ـ فنطر محمد حسين: الحرف و الصورة في قرطاج، ألف منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس1999، ص 326.
22 ـ فنطر محمد حسين: قرطاجة و حضارتها، مجلة المنهل، ع454، 1987
23 ـ فهمي خشيم علي: نصوص ليبية من: هيرودوتس و سترابون و بليني الأكبر و 24ـ ديودوروس الصقلي و بروكوبيوس و القيصري و ليون الإفريقي، منشورات دار مكتبة الفكر ، طربلس، ليبيا ، 1967
25ـ كامبس: في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، تر محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية 2009م.
26ـ لودفيغ اميل: البحر المتوسط، تر عادل زعيتر، مصر، 1952

27 ـ لويس ممفورد:المدينة على مر العصور أصلها و تطورها و مستقبلها ،ج1 ، تر إبراهيم نصحي ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، 1964

28 ـ محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات) ،دار الحكمة ، 2003

29 ـ محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1999.

30ـ محمد البشير شنيتي: الجزائر قراء في جذور التاريخ و شواهد الحضارة ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر 2013.

31ـ محمد البشير شنيتي: نوميديا و روما الامبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، كنوز الحكمة، 2012.

32 ـ محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003 .

33ـ محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1998

34ـ محمد الصغير غانم: معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2003، ص103

35ـ محمد الصغير غانم: مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005

36 ـ محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ و فجر التاريخ)، ج1، وزارة الثقافة و السياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

37 ـ محمد العربي العقون: المؤرخون القدامى، غايوس كريسبيوس سللوستيوس(86ـ 53ق.م) و كتابه حرب يوغرطة، دار الهدى ، عين مليلة، 2006

38 ـ محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 2008م.

39ـ محمد حسين فنطر: يوغرطة من ملوك شمال افريقيا و أبطالها،الدار التونسية، تونس

40 ـ مصطفى عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية ، بنغازي، 1966،

41 ـ مهران محمد بيومي: المدن الفينيقية، بيروت لبنان، 1994

42ـ ميادان مادلين هورس: تاريخ قرطاج، تر: اراهيم باشا، بيروت، 1991

43 ـ نعيسة يوسف جميل : تاريخ تطور الفكر السياسي، دمشق،1982، 44ـ هنريات كامبس فابر: الزيتون و الزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تر محمد العربي العقون، دار الهدى عين مليلة.

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية:

1-Azineres et Suran, Auteurs Grecs et Latins, 4 eme édition , Librairie Hautier, Paris.

2-Bondi, Sandro Filippo, Political and Adminstrative Organization from the Phoenicians

2-Brzzi, Giovanni, Hanibal's Expidition, Ed,s, Moscati, Milan, 1988

3-Camps (G.), Aux Origines de la Berbère, Massinissa ou le Début de l'Histoire, imprimerie Officielle, Alger, 1961

4-Camps (G.), La céramique des sépultures berbères de Tiddis, Libyca. Anthrop. Archéol. Préhist., T.VI, 1956, p.p. 155-203.

5-Chabot(J-B), Recueil des inscriptions libyques, imprimerie nationale ,Paris 1940.

6-Decret et M. Fantar, L'Afrique du Nord dans l'antiquité (Histoire et civilisation des origine au V eme, siècle), Payot, Paris, 1981

7-E.F. Gautier , Le passé de l'Afrique du Nord, les siècles obscurs, ed. Payot, Paris, 1937, pp.(5-25).

8-Faidherbe (M)General, Collection Faidherb complète des numidiques inscriptions ,Paris 1867

9-Fantar. Mohamed : North Africa from the phoenicians, bompiani, 1988,

10-Gsell(St), Les Monuments Antiques de L'Algérie, T1, T2, Ancienne librairie Thorin et fils Albert fontemoing, paris, 1927. 11- Atlas Archéologique de l'Algérie, T1, (textes),Ed Alger, 1997.

11-Jean-Marie Lassère ; Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, éd centre national de la recherche scientifique, paris,1977
12-Judas(A), Note sur quelques inscriptions puniques (dont une inédite) trouvées a Ghelma, Op.cit., p. 188.
13-Judas, Etudes démonstratives de la langue phéniciennes et de la langue libyque, Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France
14-Judge.Hary : World History, Vol,3 , Oxford,
15- L, Ballout, Préhistoire de l'Afrique du Nord, Paris 1955
16- Lardy(J_M), La céramique protohistoire: présentation d'une approche, Journée du 17 mars 1984 à Guiry_ en Vexin, publication de service départementale d'Archéologie du Val d'Oise, 1987
17-Lassere(J.M), Manuel d'épigraphie romaine, vol. 1, Paris, 2007
18-Leglay (M), Saturne Africain. Histoire
19-Mazard (J), Corpus-Nummorum Numidiae Mauretaniaeque , Paris, 1955
20- Picard, (Ch.), La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, III siècle av J.C, paris 1958,
21-Reboud(M), Recueil des inscriptions libyico- berbère , Paris 1870
21-Shaw ; Voyages Dans Plusieurs Provinces De La Berbère 184
22-Sznycer(M), La littérature punique, Archéologie, vol1, n2, 1968-1969

خامسا: الأطروحة و الرسائل الجامعية بالفرنسية:

1- ben younnès(A.K.) , la présence punique en pays numide ,institut national du patrimoine Tunis, p. 452.
2- Ben Zina (Z.), Documents épigraphiques relatifes au culte d Aesculape Africain, Mémoire de maitrise, Universite des langues et lettres de grenoble.

الأطروحات و الرسائل الجامعية:

1. بلعابد زينب : المقدس و الرمز من خلال نصب معبد الحفرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006- 2007

2- . جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري ثورات الأوراس و التخوم الصحراوية نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة المجاستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2007- 2008

سادسا: الدوريات بالعربية:

1 – عبد العزيز بن لحرش، دور المخلفات الأثرية في دراسة التاريخ القديم ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 12 ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 1999

1-محمد الصغير غانم ، وجهة نظر حول إعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم ، أعمال الملتقى الوطني الثالث الأثري و الدراسات التاريخية ، المسيلة ، 1995، ص ص.(31-37).

3- محمد الصغير غانم: علاقة نوميديا بالرومان، مجلة التراث، ع2، دار الشهاب باتنة، 1987.

4-محمد الهادي حارش، أصول عبادة بعل حامون في قرطاجة، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 3، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، 1987، ص ص.(109-112).

سابعا: الدوريات و المجلات باللغة الأجنبية:

1-Bobo J. Et Morel. J, Les peintures rupestres de l'Abri du Moflon et la station préhistorique du Hammam Sidi Djellaba dans la Cheffia (Est constantinois). Libyca, t. III, 1953, pp : 163-167.

2-Bosco (M.J.), Toponymie Phéniciennes, sur le préfix GI, IAM, RUS, SUB, De certains localités de l'Afrique du nord, R.S.A.C., 1922-1923, p353.

3-chevalier (R), La centuriation romaine et la mise en valeur des sols dans la province d'Afrique ,1958, pp 149 ,153

4-Fantar(M.H), baal hammon, recherches sur l'identité et l'histoire d'un dieu phénico – punique consiglio nazional delle ricerche, Roma 1991, Africa, serie Reppal, X, 1997, p.148.

5-Ferjaoui(A), Les stèles punique de Constantine ,Rappel ,6, 1988, p.289.

6-Mohmed houssine Fantar, baal hammon recherches sur identité et l'histoire d'un dieu phénco _punique, consiglio nazional delle riceche ,Roma , 1999, Africa , T5, 1997